

شعر الرصافي الرفاء البطني دراسة موضوعية - فنية

رسالة تقدم بها

خالد شكر محمود صالح الفراجي

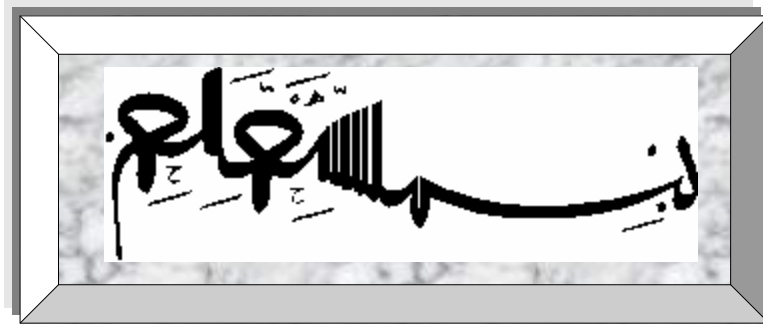
الى مجلس كلية التربية - ابن رشد / جامعة بغداد
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير آداب في اللغة
العربية / ادب

بأشراف الدكتور

عبد الرحمن كريم عذاب اللامي

٢٠٠٣ م

١٤٢٤ هـ



﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾



الأهداء



الى والدي : الذي تحمل من اجلنا اعباء الحياة ومرارتها
الى والدتي : التي غمرتنا بفيض حبها ورعايتها

﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

الى اخي واتي واخي واتي

الى زوجتي واطفالي

حُباً ووفاءً وتقدير اقدم

هذا الجهد الجهد

الباحث



شكر و امتنان



بِسْمِ اللَّهِ وانا انهي بحثي المتواضع ان اذكر ببالغ الفخر والاعتزاز فضل استاذي المشرف الدكتور عبد الرحمن كريم اللامي ضارباً به المثل في خلقه وتواضعه وعلمه وما ابداه من حرص على امانة البحث وتفوق الباحث .

ومن الذين احمد صنيعهم واقوم باسداء الشكر لهم استاذي الدكتور حسين نصر والدكتورة هدى شوكت و الدكتور عباس مصطفى الصالحي والدكتورة سوسن المعاضيدي والاستاذة حذام الالوسي وجميع اساتذة قسم اللغة العربية في كلية التربية الاولى .

كذلك وددت ان ابعث عبارات الامتنان الى الاساتذة الاجلاء اخص بالذكر منهم الاستاذ احمد علي روضان و علي حمود كناصر و علي جاسم حمود حامد حسين داود و ثائر علوان وعبد علاوي .

وشكري الى العاملين في المكتبة المركزية ومكتبة قسم اللغة العربية في كلية التربية الاولى ومكتبة كلية الاداب والمكتبة الوطنية والمكتبة الرفاعية في سامراء .

وجميع من تفضل علي بالدعاء والمساندة سائلاً المولى عز وجل ان يحشرنا جميعاً في زمرة الحبيب المصطفى محمد بن عبد الله ﷺ انه على ذلك قدير .

الباحث

تصويبات

ت	الصفحة	الخطأ	الصواب	الملاحظات
.١	١	تاشقين	تاشفين	
.٢	٣	سنين	سني	
.٣	٤	لفنت	لقتت	
.٤	٦	المعرب	المطرب	
.٥	١٤	غومي	غومس	
.٦	٣٤	من	عن	
.٧	٣٦	بيتين	ثلاثة ابيات	
.٨	٦١	غزيك	غزيل	
.٩	٦٦	الاعتداد	الاعتذار	
.١٠	٧٨	المعطر	المطر	
.١١	٧٩	قيس	قس	
.١٢	٨٠	الحاسدون	الحاسدين	
.١٣	٩٢	ابلس	ابليس	
.١٤	٩٣	ثلاثي	ثلاثة	
.١٥	٩٤	حفار	صفار	
.١٦	٩٩	لعلق	يعلق	
.١٧	١٠٦	اثراً	اثر	
.١٨	١٠٧	في	قد	
.١٩	١١٣	هذلك	هزلك	
.٢٠	١١٧	عبد القادر	عبد القاهر	

بحرف	لحرف	١٢١	.٢١
البعيد	البعيد	١٢٢	.٢٢
فأين	فأين	١٢٢	.٢٣
المجد	المحب	١٤٥	.٢٤
الفنون	السمات	١٤٩	.٢٥
نوعان	نوعين	١٥٢	.٢٦
الغوير	الضوير	١٦٣	.٢٧
السقيا	الصبا	١٦٦	.٢٨
يتجول	يتحول	١٧٣	.٢٩
عقي	عقبي	١٨٤	.٣٠

المحتويات

الصفحة	المادة	ت
أ - ب	المقدمة ١
١٠ - ١	التمهيد ٢
٢٨ - ١٢	الفصل الاول ، المبحث الاول ، سيرته ٣
١٣ - ١٢	اسمه ، لقبه ، كنيته ٤
١٤ - ١٣	ولادته ، نشأته ٥
١٥ - ١٤	شخصيته ، اخلاقه ٦
١٦ - ١٥	هجرته ٧
١٧ - ١٦	وفاته ٨
١٨ - ١٧	ديوان شعره ٩
٢١ - ١٩	المبحث الثاني ، آراء العلماء والمؤرخين في ادبه ١٠
٢٨ - ٢٢	المبحث الثالث ، مصادر ثقافته ١١
٢٥ - ٢٣	القرآن الكريم ١٢
٢٦ - ٢٥	اللغة العربية ١٣
٢٨ - ٢٦	كتب التراث ١٤
٩٢ - ٣٠	الفصل الثاني ، موضوعات واغراض شعره ١٥
٣١ - ٣٠	موضوعات واغراض الشعر في عصر الموحدين ١٦
٤٨ - ٣٢	المبحث الاول ، المديح ١٧
٣٦ - ٣٤	موقفه من التكسب ١٨
٤٨ - ٣٦	قصائده المدحية ١٩
٦٣ - ٤٩	المبحث الثاني ، الوصف ٢٠
٥٩ - ٥٠	وصف الطبيعة ٢١
٦٢ - ٥٩	وصف المهن وما يتعلق بها ٢٢
٦٣ - ٦٢	صفات اخرى ٢٣
٧٤ - ٦٤	المبحث الثالث ، الاخوانيات ٢٤
٩٢ - ٧٥	المبحث الرابع ، اغراض اخرى ٢٥
٨٢ - ٧٥	الرثاء ٢٦
٨٧ - ٨٣	الغزل ٢٧

٢٨ .	الحنين الى المعاهد والاحباب	٨٧ - ٩١
٢٩ .	الهجاء	٩١ - ٩٢
٣٠ .	الفصل الثالث ، الدراسة الفنية	٩٣ - ١٩١
٣١ .	المبحث الاول ، بناء النص الشعري	٩٣ - ١٠٠
٣٢ .	اللغة	١٠٠ - ١٠٤
٣٣ .	المعجم الشعري	١٠٥ - ١١١
٣٤ .	الاسلوب	١١٢ - ١٣٣
٣٥ .	المبحث الثاني ، الصورة الشعرية ، وسائل تشكيلها ...	١٣٤ - ١٦٣
٣٦ .	التشبيه	١٣٥ - ١٤١
٣٧ .	الاستعارة	١٤١ - ١٤٦
٣٨ .	الكناية	١٤٦ - ١٤٨
٣٩ .	الطباق والمقابلة	١٤٩ - ١٥٣
٤٠ .	الاقتباس والتضمين	١٥٤ - ١٦٣
٤١ .	المبحث الثالث ، الموسيقى والاوزان	١٦٤ - ١٩١
٤٢ .	الموسيقى الخارجية	١٦٤ - ١٧٣
٤٣ .	حروف الروي	١٧٣ - ١٧٥
٤٤ .	القافية	١٧٥ - ١٧٨
٤٥ .	الموسيقى الداخلية	١٧٩ - ١٩١
٤٦ .	الجناس	١٧٩ - ١٨٣
٤٧ .	التكرار	١٨٣ - ١٨٦
٤٨ .	رد الاعجاز على الصدور	١٨٦ - ١٨٨
٤٩ .	الترصيع	١٨٨ - ١٩٠
٥٠ .	التدوير	١٩٠ - ١٩١
٥١ .	الخاتمة	١٩٢ - ١٩٥
٥٢ .	المصادر والمراجع	١٩٦ - ٢٠٥
٥٣ .	الخلاصة باللغة الانكليزية	

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، واصلي وأسلم على من ارسله الله رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وعلى من اقتفى اثرهم الى يوم الدين.

وبعد...

تناولت الدراسة شاعراً بارزاً من شعراء العربية، ظل بعيداً عن متناول البحث والدراسة على الرغم من كونه اسماً لامعاً في عالم الشعر العربي في عصر الموحدين وبدافع الرغبة والحماس للخوض في دراسة تعنى بجانب من تراثنا الحافل بالامجاد والمآثر، وقع اختياري على موضوع (شعر الرصافي الرفاء البلسني - دراسة موضوعية - فنية).

فهذا الشاعر على اهميته، وجودة شعره، ونتاجه الادبي الغزير - لم يحظ بالدراسة الكافية الوافية من قبل على حد علمنا واستقصائنا... فعمدت الى دراسته دراسة جادة غير مسبوقة تعتمد تحليل النصوص ودراسة الاغراض وتكشف كوامن الابداع في أدبه، وتلقي الضوء على القدرات الفنية لواحد من اشهر شعراء الاندلس في القرن السادس الهجري. منقبين عن نفائس المعاني مبرزين الالفاظ المتخيرة، وقد طابقت بينها بحنكة جعلت شعره يتسم بنغمات موسيقية اخاذة تصل الى القلب بلا استئذان، نابعا عن موهبة فطرية خالية من التكلف مع جمال التركيب وسلامته من التعقيد.

وبعد التوكل على الله عزمت على التطواف في رحاب علم من اعلام الشعر والادب التي زخرت بها الاندلس، والتي تأكد لي حقاً ما قاله العارفون فيه، الا انني - وللأمانة - وقد واجهتني صعوبات ومشاكل اهمها قلة المصادر التي تناولت شاعرنا هذا، اذ لم اجد في هذه المصادر ما يشفي الغليل وهي ضئيلة باخباره، وما جاء فيها لا يعدو شذرات مقتضية لا تعطي صورة واضحة لأبعاد شخصيته الادبية، لذا اعتمدت في دراستي على تحليل شعره بالدرجة الاولى ثم العصر الذي عاش فيه، فأخذت اطيل النظر

في مؤلفات المؤرخين كأبن الأبار ولسان الدين بن الخطيب، وابن صاحب الصلاة، وابن خلكان وغيرهم والتمس ما اريد عن بعض المعاصرين واستفدت من المراجع القليلة التي تناولت ادب ذلك العصر ولعل اهمها (الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه) للدكتور مصطفى الشكعة و (الشعر الاندلسي بحث في تطوره وخصائصه) للمستشرق الاسباني غرسيه غومس و (تاريخ الفكر الاندلسي) لباليثيا، لذا كانت دراستي للرصافي البنسي في ثلاثة فصول مهدت لها بحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والادبية والعلمية.

الفصل الاول: خصصته لدراسة سيرة الشاعر، اذ تضمن ثلاثة مباحث، تحدث في المبحث الاول عن اسمه ولقبه وكنيته ومولده ونشأته وهجرته ووفاته. والمبحث الثاني تضمن آراء العلماء والمؤرخين في ادبه، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن مصادر ثقافته وهي القرآن الكريم واللغة العربية وكتب التراث.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن موضوعات شعره وضم اربعة مباحث : خصصت الاول للحديث عن غرض المدح وموقف الشاعر من قضية التكسب بالشعر. والمبحث الثاني شمل غرض الوصف، والمبحث الثالث شمل الاخوانيات ، والمبحث الاخير تضمن اغراض اخرى.

اما **الفصل الثالث:** فقد عني بالدراسة الفنية وضم ثلاثة مباحث، ضم المبحث الاول بناء النص الشعري واللغة والاسلوب، والمبحث الثاني تضمن الصورة الشعرية ووسائل تشكيلها، والمبحث الثالث تحدثت فيه عن الموسيقى والاوزان . وانتهيت البحث بخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصل اليها الباحث.

ولست ازعم بذلك انني اوفيت الشاعر حقه ، او بلغت ما ترضاه نفسي ، ولكنني استطيع ان اجزم انني انفقت في ذلك جهداً مضنياً اعيا الجسم وارهق الفكر والقلب واضعف البصر، وكانت غايتي في ذلك الوصول الى الحقيقة، فان وفقت وذلك مبتغاي ، وان اخطأت فتلك صفة الانسان، واشهد الله انني لم ادخر جهداً في سبيل اتمام هذا العمل وما انا الا مبتدئ حاولت ان اكشف الظلام عن شاعر طالما غاب لفترة طويلة عن البحث والاستقصاء.

والله الموفق الى سواء السبيل.



التمهيد :

نظرة عامة في الظروف السياسية في القرن السادس الهجري في الاندلس

اضطربت الاوضاع السياسية في نهاية عصر المرابطين بسبب الخلافات الحادة على السلطة بين امراء المرابطين ومنهم خروج ابن ابي بكر بن يوسف بن تاشقين على طاعة عمه علي بن يوسف بن تاشقين مما زاد الامر سوءاً^(١)، وظهر مرحلة ثانية من حكام الطوائف في الاندلس ، وبذلك اصبحت البلاد تعيش في دوامة وعدم استقرار، لذا وجد الموحدون الفرصة مواتية لاعلان حركتهم الدينية التي اتخذت من التوحيد شعارا لها، وكان داعية الحركة هو محمد بن عبد الله بن تومرت الذي اعلن الثورة على المرابطين سنة ٥١٤هـ بدعوى انهم جسموا الخالق وذهب الى اكثر من ذلك حين عددهم كفرة خارجين على الدين الاسلامي، يقول (واعلموا وفقكم الله ان جهادكم فرض على الاعيان على كل من فيه طاقة على القتال واجتهدوا في جهاد الكفرة المثلثين فجاهدهم اعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة، لأنهم جسموا الخالق سبحانه وانكروا التوحيد وعاندوا الحق))^(٢)، ويبدو ان محمد بن تومرت اراد من خلال الصاق تلك التهم بالمرابطين ان يجمع الناس حوله ويوحد صفوفهم متناسيا الدور الذي لعبه المرابطون في سبيل الدفاع عن المدن الاندلسية وجاهدهم في سبيل اعلاء كلمة الدين مع انهم كما يقول ابن الخطيب ((قل ان راوا ايالة انفع او اجرا في قتال العدو من لمتونة))^(٣)، لكن المقام لم يدم طويلا لابن تومرت فوافاه الاجل سنة ٥٢٤هـ فأل امر الموحدين الى اقرب

(١) الاستقصا لآخبار المغرب ، تأليف احمد بن خالد الناصري، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ٢، ١٩٥٤ : ٥٥
(٢) اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، لابي بكر الصنهاجي، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة بولس لنتر الكيتي ببرايز ١٩٢٨ : ٩ .
(٣) اعمال الاعلام: لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ل. بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦ : ٢٦٥ .





المقربين للمهدي وهو عبد المؤمن بن علي، والذي عده بعض المؤرخين المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين^(١)، وأولى الاعمال التي قام بها هي توطيد سلطته في المغرب والقضاء على آخر معاقل المرابطين في مراكش سنة ٥٤١ هـ، فبعد ان استتب الامن والنظام في المغرب بدأت آماله تتجه صوب الاندلس وفي هذه الفترة كانت قد توحدت أغلب مدن الاندلس، فوزع الولاة على المدن الاندلسية^(٢).

واراد عبدالمؤمن ان يسير الامور بنفسه ويطمئن على مستقبل دولته الفتية في الاندلس، فتحرك بجموع غفيرة قاصدا اليها سنة (٥٥٥هـ)^(٣) وكان يوما عظيما من ايام الدولة الموحدية وقبل ان يصل الى جبل طارق باشهر امر ببناء مدينة فيه، وقد سمي هذا الجبل ((بجبل الفتح))^(٤)، ووفد الى هذا المكان شعراء من كل البلاد، والقوا القصائد في حضرته وكان من بينهم شاعرنا الرصافي الذي لم يتجاوز العشرين من العمر عندما القى قصيدته التي مدح فيها عبدالمؤمن^(٥)، ومن هناك وزع الولاة على المدن الاندلسية، تولى ابنه يوسف اعمال اشبيلية، وولى ابا حفص عمر قرطبة، وولى ابا سعيد غرناطة وبذلك ملك اغلب مدن الاندلس. لكنه اصيب بمرض عضال توفي على اثره سنة (٥٥٨ هـ) وقد عد بعض المؤرخين خلافة عبد المؤمن ((اعظم خلافة قامت بالغرب الاسلامي))^(٦) وهو (من اعظم خلفاء الغرب الاسلامي)^(٧)

(١) المغرب: حسن محمد جوهر وصلاح العرب، دار المعارف - مصر ١٩٦٤ : ١٠٣ . وينظر عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، د. عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦٤ : ٣٠٩

(٢) ينظر البيان المقرب، لابن غداري، تحقيق محمد بن تاوت واميردس هوسي ممرانده، دار كريماديس للطباعة - تطوان، ١٩٦٠م : ٣٤، ٣١.

(٣) ينظر الاستقصا لأخبار المغرب والاندلس ٢ : ١٢٥، وينظر كذلك الاتيس المطرب لأبن ابي زرع، طبعة فاس، ١٨٨٥ : ٢ : ٤٢١ ؛ النجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٥، وينظر كذلك عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس، محمد عبدالله عنان : ٣٨٢.

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الاستقصا لأخبار المغرب والاندلس: ٢ : ١٣١.

(٦) وفيات الاعيان لابن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت : ٤٩٣ .

(٧) عصر المرابطين والموحدين في الاندلس : ٣٩٧ .



فتولى ابنه يوسف الملقب (بأبي يعقوب) مقاليد الامور فبايعه الناس وانقضت اليه كلمة الموحدين ^(١) لقد واجه الخليفة الجديد صعوبات كبيرة في بداية حكمه تمثلت بامتناع اخويه السيد محمد بن عبد المؤمن والى اشبيلية ، والسيد عبدالله والى قرطبة عن اعطائه البيعة التي اوصى بها عبدالمؤمن قبل موته الا بعد فترة من الزمن، وقد مال الناس اليه وايدوه لما رأوا فيه من تخفيف اعباء الحرب عنهم، وتسريح الجيوش الضخمة، واكثر من العطاء للجند، ورفع عنهم الضرائب الباهضة ^(٢)، وعلى الرغم من صغر سنه عندما تولى الخلافة، الا انه اظهر براعة فائقة في معالجته للامور بفطنته ^(٣)، وقد حدثت في سني حكمه العديد من المعارك ، كان اولها سنة ٥٦٠ هـ عندما حشد امير بلنسية زعماء الاندلس لقتال الموحدين، والتقى الجمعان بالقرب من مرسيه، ودارت معركة شديدة حقق فيها الموحدون نصرا عظيما، كان لها ابلغ الاثر في انضمام بعض زعماء الاندلس الى حكم الموحدين ومن بينهم ، ابو جعفر الوقشي ^(٤) والى جيان مرسيه السابق وكان عالماً وشاعراً، ومقاتلاً شجاعاً ^(٥).

بعد ان سحق ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن الثورات المناهضة لحكمه في المغرب والاندلس تاقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد اصلاح حالها وجهاد العدو فيها وتم له ذلك سنة (٥٦٧ هـ) ^(٦) فتوجه الى اشبيلية عاصمة الاندلس في ذلك العصر واستقبله الولاة والقضاة والفقهاء من كل المدن والجهات ،

(١) وفيات الاعيان : ٤ : ٤٩٣ .

(٢) ينظر: تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين، يوسف اشباخ، ترجمة عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، شركة مؤسسة الخانجي، القاهرة: ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٥ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الاستقصا لخبار المغرب و الاندلس ، ٢ : ١٣٨ .





الخاضعة له وكان عليه اولا ان يقضي على قوة ابن مردنيش التي استفحلت في شرقي الاندلس، فعين اخاه ابا سعيد قائدا للجيش الذي ارسله للاستيلاء على مرسية، فخرج اليه ابن مردنيش بزيه الرومي مع جنده فالتقى الجمعان في معركة ((الجلاب))^(١) فانهزم ابن مردنيش وجنده ومقاتلات على اثار هذه المعركة سنة ٥٦٧ (٢).

وبذلك استولى الموحدون على هذه المدينة الهامة والتي كانت فاتحة لانقيار ملك ابن مردنيش في شرق الاندلس واستسلام ابناؤه وميلهم الى الصلح مع الموحيدين والتي تنازلوا بموجبها عن جميع الاراضي التي كانت بحوزتهم ومنها: بلنسية، ومرسية، مريطر، وشاطبه، ودانية، ولفنت، وشقر، ولورقه وغيرها، وان يعرضهم عن ذلك بمناصب يتقلدونها، وان يقطع لهم ارض في مملكته. فتزوج ابو يعقوب ابنة سعيد بن مردنيش، وخط اهله بنفسه واورثهم ملك البلاد الشرقية زمنا غير يسير^(٣) ثم عاد الى المغرب سنة (٥٧١ هـ) لاصلاح حالها وبقي فيها الى سنة (٥٧٧ هـ) عندما وفدت اليه جماعة من الاندلس لزيارته ودعوته للعودة اليها وبسبب الغارات التي بدأت تشن على اطراف المدن الاندلسية الخاضعة لدولة الموحيدين فعزم على الرحيل للمرة الثانية سنة (٥٨٠ هـ) بنفس تواقفة للجهاد في سبيل الله واخذ يقود الجيش بنفسه في كل المعارك دون كلل او ملل حتى اصيب بطعنة نافذة سقط على اثارها مضرجا بدماءه في السنة نفسها، فحمل الى تينمل في المغرب فدفن هناك بجوار ابيه وابن تومرت.

كل هذه الاحداث السياسية كان لها ابلغ الاثر في حياة شاعرنا الرصافي البلبسي والتي ظهرت جليلة في شعره، فقد وجد هذا الشاعر في حكام الموحيدين الرمز المنقذ لهذه الامة من الضياع والفرقة التي كانت تعصف بالاندلس بسبب غياب القيادة الحازمة الواعية المؤمنة بدينها وامتها، لذلك مال الى مدحهم بصدق ووفاء لهم لعظم الدور الذي لعبه هؤلاء الحكام في المحافظة على نشر الدين الاسلامي وجهادهم الاعداء الكفرة الذين يريدون اطفاء نور الله بكل الطرق والوسائل ((ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون)). وعلى الرغم من انه لم يوص بولاية العهد من بعده الا ان ابنه يعقوب الذي تلقب (بالمنصور) قد خلف اباه في الحكم واتبع سياسة الاصلاح، فانفق مبالغ طائلة على الفقراء والمساكين، و اطل

(١) ينظر الاتيس المطرب لابن ابي زرع (طبعة فاس ١٨٨٥م) ٢ : ٤٢٠ .

(٢) ينظر اعمال الاعلام: ٢٧٠، وينظر عصر تاريخ المرابطين والموحيدين: ٣١٩.

(٣) نفسه.



سراح المسجونين الذين اعتقلوا لذنوب ثانوية، وتعويض الذين ظلموا في زمن وفي عهده وقع اهم حدث في تاريخ الدولة الا وهو موقعة ((الأرك)) تلك المعركة التي هزت عرش الافرنج ، فعلى الرغم من مرض المنصور ابي الا ان يخوض المعركة بنفسه ويبدو السبب في ذلك غيرته على الاسلام والمسلمين وعطرسة ملوك النصارى ولهجتهم المتعالية هي التي دفعته للجهاد في سبيل الله^(١)، فبعد ان عدّ العدة عبر بقواته الى الاندلس سنة (٥٩١هـ) مخترقا السهول والجبال والهضاب دون توقف وصل الى مكان المعركة وقسم الجيش ورسم الخطة وكان كثير الاعتماد على مبدأ الشورى الذي ربما كان سببا في انتصاره في هذه المعركة، فالتقى الجيشان في ((الارك)) وانتهت بهزيمة النصارى شرّ هزيمة بعد ان قتل منهم اكثر من ثلاثين الف قتيل^(٢) وبلغ السلطان الموحي اوج عظمته بعد هذه المعركة، ثم عين ابنه ابو عبدالله محمد الناصر وليا للعهد، واخذ يشاركه في تسيير دفة الحكم، وذكر اسمه في خطبة الجمعة الى جانب اسم امير المؤمنين^(٣) ، ويبدو الدافع الى ذلك هو الاحساس بدنو الأجل وانه سيفارق هذه الدنيا بعد ان ((ملأها حروبا وعركت عوده وعجمته فكان لها خير مسعر))^(٤)، فقد توفي في قصره بمراكش في الثاني والعشرين من ربيع الاول (سنة ٥٩٥هـ) فخلفه ولي عهده ((الناصر)) وحدثت في عهده اهم المعارك في تاريخ الاندلس وهي معركة ((العقاب)) سنة (٦٠٩هـ) والتي هزم فيها الناصر هزيمة منكرة كان لها ابلغ الاثر في انهيار الوجود العربي في الاندلس وبالتالي انهيار دولة الموحيين^(٥) وبهذا تطوى صفحة ناصعة من صفحات التاريخ العربي الاسلامي المجيد .

(١) تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحيين، يوسف اشياح: ٣٣٢ .

(٢) نفسه : ٣٣٧ .

(٣) نفسه : ٣٤٠ .

(٤) مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس، د. عبدالكريم التواني، نشر وتوزيع مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ط١، ١٩٦٧ : ٣٨٠ . وينظر تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحيين : ٣٤٠ .

(٥) ينظر الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحي، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء ،

المغرب ١٩٧٩م : ١٧ .





الحياة الاجتماعية في عصر الموحدين

لقد انعكس عدم الاستقرار في هذا العصر على نفسية الانسان الاندلسي مما ادى الى خلق جو من الاستياء لدى عامة الناس، لكن هذا الوضع املته الظروف السياسية التي تحيط بالمجتمع الاندلسي ، فالخطر الدائم حولهم من كل حذب وصوب متمثلا بالنصارى الذين يتحينون الفرص للانقضاض على المجتمع الاندلسي الذي اصبح مجتمعا اسلاميا تسوده الحرية والعدالة والتسامح، وهذا لا يعني ان المجتمع الاندلسي لم ينعم بالأمن والاستقرار في ظل حكم الموحدين ، فقد برزت فترات طويلة نعمت فيها الاندلس بالأمن والاستقرار لاسيما في خلافة يوسف بن عبدالمؤمن الذي عمّ بعهده الرخاء وساد الامن وانتشر السلام، يقول صاحب الانيس المعرب ((ملك من مدينة تطيلة قاصية بلاد شرق الاندلس الى مدينة شترين من بلاد غرب الاندلس، يجبى اليه خراج ذلك كله دون لكس ولا جور فكثرت الاموال في ايامه وتمهدت البلاد، وتأمنت الطرقات وضبطت الثغور وصلح امر الناس في البادية والحاضرة وذلك لحسن سيرته الجميلة وعدله الشامل لرعيته وتفقدته لأحوال بلاده القريبة والبعيدة ومباشرته امور مملكته بنفسه حتى لا يغيب عليه شيء ولا يدخله فتور عن النظر في اموره ولا يوكلها الى غيره))^(١).

لقد حظيت المرأة الاندلسية في هذا المجال بنصيب وافر من الحرية في هذا العصر والدليل على ذلك احترام الساسة والمفكرين ، فابن رشد (ت ٥٩٤هـ) الفيلسوف الاندلسي لا يرى فرقا بين الرجل والمرأة ولكن المرأة اضعف من الرجل في القدرات الجسمية وطالب بايجاد العمل المناسب الذي يوافق قدرات المرأة البدنية والعقلية ، وقد هاجم اهل المشرق لمنعهم المرأة من العمل وخدمة المجتمع حسب قدراتها العقلية والانسانية ((وكأنها لم تخلق الا للانجاب والارضاع))^(٢).

(١) لأئيس المطرب ابن ابي زرع : ٢ : ٤٢٤ . وينظر كذلك تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبدالهادي التازي، بيروت، ١٩٦٤ : ١٤٠-١٤١.

(٢) ينظر: ظهر الاسلام، احمد امين، مكتبة النهضة المصرية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، ١٩٥٩، ح ٣ : ٢٥٧.





ومما يوضح مدى التقدم والنضوج الفكري في هذا العصر وينم عن مقدار التحرر في الفكر الاسلامي في نظرته الى المرأة ودعوته لفسح المجال امامها للعمل البناء والمثمر فلي بناء المجتمع هذه النظرة المتسامحة هي التي دفعت العديد من الشعراء في رثاء زوجاتهم ومنهم ابو عامر بن الحمارة^(١). وكذلك كثرة النساء الشواعر في هذا العصر ومنهن الشاعرة حفصة الركنونية صاحبة جعفر بن سعيد وشواعر اخريات يعلن غزلا صريحا ونرى من خلال هذه الاشعار الصراحة في العلاقات مع الرجال دون وازع من خوف او محاسبة من أي جهة مما يدل على سعة الحرية المعطاة للمرأة^(٢).

اما الموقف من اليهود والنصارى فقد خيرهم عبدالمؤمن بن علي بين ثلاث فاما ان يدخلوا الاسلام، او يلتحقوا بدار الحرب، او تخرب ديارهم فاسلمت طائفة منهم ولحق بدار الحرب طائفة اخرى^(٣)، وتدل هذه السياسة على التعصب البعيد عن تعاليم الدين الاسلامي ولكنها في فترات اخرى امتازت بنوع من التسامح والاعتدال في معاملة اليهود والنصارى، فبقيت الكنائس والاديرة الى جانب الجوامع تقام فيها طقوسهم وتراتيلهم وشعائهم الدينية، وهذا دليل على عدم التعصب والانفتاح والتسامح الديني.

(١) هو الاديب والفيلسوف ابو عامر بن الحمارة تلميذ ابن باجة توفي سنة ٥٧٠هـ. ينظر تاريخ الادب العربي، عمر فروخ، ٥ : ٤١٦.

(٢) انظر الذيل والتكملة، عبدالمك المراكشي، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، ١٩٦٤، ٥ : ٦٠٨.

(٣) ينظر النجوم الزاهرة لابن تغري، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة العربية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ٥ : ٢٨١.



الحياة الادبية والعلمية

بالرغم من الاحداث التي استنفدت جهدا كبيرا من دولة الموحدين نلاحظ هناك حياة علمية تستحق الفخر والاعجاب ، وقد اتسمت هذه الحياة بالقوة والازدهار على العكس من الحياة السياسية التي اتسمت - كما قلنا سابقا - بالفتن والاضطرابات الداخلية والحروب والمنازعات الخارجية .

ولكن هذه الفتن والنزاعات لم تؤثر على الحياة الادبية والعلمية تأثيرا سلبيا، بل ربما كان لها اثر ايجابي في تقدم الآداب والعلوم، ففي مجال الأدب والشعر ظهر الكثير من الشعراء والادباء واول مناسبة جمعت هؤلاء الشعراء دعوة عبدالمؤمن ابن علي خليفة الموحدين حين عبر الى الاندلس ونزوله في جبل طارق والذي سمي بعد ذلك بجبل الفتح، ومنهم محمد بن حبوس الفاسي (ت ٥٧٠هـ) والاصم المرواني (ت ٥٦١هـ) وابو بكر بن المنخل الشلبي (ت ٥٨٠هـ) وابن صاحب الصلاة (ت ٦١٤هـ) وابو جعفر بن سعيد (ت ٥٥٩هـ) وابو العباس الحراوي (ت) ، كما ظهر شعراء آخرين وهم عبدالرحمن السهيلي (ت ٦٤٩هـ) وابو الحسن محمد بن جبير وابو البقاء الرندي (ت ٦٨٤هـ) وغيرهم ، وهؤلاء الشعراء كانت لهم منزلة عظيمة في الشعر الاندلسي، ونبغ في التاريخ ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ) وابن صاحب الصلاة (ت ٥٧٧هـ) ، وفي المغازي والسير ابو بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ) وكتابه (سراج الملوك) وفي الجغرافية ابن جبير وكتابه (الرحلة) وفي الطب ابو بكر محمد بن زهر (ت ٥٩٦هـ) وفي علم النبات برع ابن البيطار (ت ٦٤٦هـ) وابو جعفر محمد بن احمد الغافقي (ت ٥٦١هـ) وفي الشريعة ابن الاقليش (ت) وفي اللغة والنحو ابو علي الشلوبين (ت) وابن السيد البطليوسي (ت) وفي الفلك البطروحي (ت) ، اما الفلسفة فقد حضيت باهتمام كبير من قبل الاندلسيين في هذه الفترة وظهر فيها مذهبان الاول أرسطي ومثله ابن باجه (ت ٥٣٣هـ) وابو بكر بن طفيل (ت ٥٨١هـ) وابو الوليد بن رشد (ت ٥٩٤هـ) .



والثاني إفلاطوني ومثله محي الدين ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) المتصوف الحائر الجوال ، الذي ترك اثراً وضاحاً في العالم الاسلامي والاوربي ، وهو صاحب كتاب نصوص الحكم والديوان والفتحات المكية (١) .

ان هذا الازدهار العلمي كانت له اسبابه التي كان في مقدمتها التشجيع الواسع من حكام الاندلس الذين كانوا خلال هذه الفترة اما من العلماء او من المحبين لهم، فلقد كان ((سراج الموحدين)) (٢) عبدالمؤمن بن علي يؤثر اهل العلم ويحبهم ويحسن اليهم، فيستدعيهم من انحاء البلاد للسكنى عنده والجوار بحضرته، ويعطيهم الارزاق الواسعة ويظهر لهم الاجلال والمودة (٣)، وليس ذلك بغريب عنه. فقد كان ((فقيها عالما بالاصول والجدل والحديث مشاركا في كثير من الامور الدينية والدينية)) (٤)، اضافة الى ذلك كان عبدالمؤمن كاتباً بليغاً واديباً فصيحاً عذب المنطق واماماً في النحو واللغة، حافظاً للتاريخ اماماً للناس وشاعراً ينظم الشعر الجيد)) (٥) كما كانت له مطارحات شعرية مع وزيره ابن عطية (٦) .

كذلك فعل ابو يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن (٥٥٨هـ - ٥٨٠هـ) ، فقد وفدت اليه الشعراء من الاندلس والمغرب وطالت اقامتهم عنده لمدة خمسة وعشرين يوماً ثم خلفه ابنه يعقوب بن عبدالمؤمن الملقب بالمنصور (٥٨٠هـ - ٥٩٥هـ) الذي عرف بولعه بالادب والعلم يقول محمد رشيد ملين ((كان اديباً ينظم الشعر وينقد القصيدة وكان كاتباً خفيف الروح)) (٧) لذلك ازدهرت الثقافة في عصر هذا الملك العظيم ففتح ابواب قصره للمجالس العلمية فكان يخصص يوماً للادباء ويوماً للفقهاء

(١) ينظر تاريخ الفكر الاندلسي - بالنتيا - ترجمة حسين مونس، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٥٥ : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) ينظر الاسلام في المغرب والاندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبدالعزيز و محمد صلاح الدين، مكتبة النهضة، مصر د.ت : ٢٣٧ .

(٣) المعجب ، الكتاب الثالث : ٢٩٣ .

(٤) الاستقصا ل اخبار المغرب، ح ٢ : ١٣٠ .

(٥) ينظر العبر في أخبار من غير - للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣، ح ٤ : ١٣١ .

(٦) تاريخ المن بالامامة : ٢٥٤ .

(٧) عصر المنصور الموحدي ، مطبعة الشمال الافريقي : ١٦٣ .



ويوماً للاطباء^(١). من كل ما تقدم يمكننا القول بأن العصر الموحي من العصور التي بزغت فيها شمس الحضارة لتنتير امام شعوب اوربا التي كانت تعيش عصر التخلف والانحطاك والظلم - وتخرجها الى عالم النور والعلم النافع عالم الحرية الاسلامية والعدل والمساواة .

(١) عصر المنصور الموحي، محمد رشيد ملين، مطبعة الشمال الافريقي (د-ت): ١٦٣.



الفصل الأول

سپرنه



الفصل الأول

سيرته

المبحث الأول

حياته

اسمه – كنيته - لقبه

هو أبو عبدالله محمد بن غالب الرصافي، الرّقاء البلنسي (١)، الاندلسي (٢)، الوزير الكاتب (٣)، والشاعر المشهور، وهو واحد من اعلام الادب في الاندلس، له حسه الفني الذي انفرد به عن بقية شعراء وقته صاحب العاطفة الفياضة، التي نبعت عن ايمان مطلق بما يقول، ولد شاعرنا في رصافة بلنسية واليها نسب. وقد حضيت هذه البقعة من ارض الاندلس بنصيب وافر من الجمال والتي بهرت الكتاب والمؤرخين والادباء فوصفوها بأدق وصف من ذلك ما جاء في المسهب للحجاري ((مطيب الاندلس، ومطمع الاعين والانفس، وقد خصها الله بأحسن مكان، وحفها بانهار والجنان، فلا ترى الا مياءً تتفرع، ولا تسمع الا اطيّاراً تسجع، ولا تستنشق تنفح، وما اجلت لحظاً بها في شيء الا قلت هذا امّح، ولها البحيرة التي تزيد من ضوء بلنسية صحو الشمس عليها. ويقال ان ضوء بلنسية يزيد على ضوء بلاد الاندلس، وجوها صقيل لا ترى فيها ما يكدر خاطراً ولا بصراً)) (٤)، اذن في هذه

(١) التكملة : لأبن الابار، ترجمة رقم (٧٧٢)، الاحاطة لسان الدين الخطيب، المجلد الثاني : ٢٨٦، ادباء مالقه. لأبن خميس المالقي: ٦٨، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤ : ٢٤٢، المقتضب لابن الابار: ٥٦، رايات المبرزين لابن سعيد : ٨٤، مسالك الابصار س٣٧ : ١٣٠، الاعلام للزركلي ٦ : ، تاريخ الاندلس لابن الكردبوس : ٨٦ .

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٤ : ٣٠٩، وفيات الاعيان لابن خلكان ٤ : ٤٣٢ .

(٣) المعجب ، عبدالواحد المراكشي : ٢٨٦ .

(٤) المغرب لابن سعيد ٢ : ٢٩٧ .



البيئة الساحرة ولد الرصافي البنسي فلا غرابة ان تنفجر فيه كوامن الابداع وتتعلمق في نفسه الرقة ورهافة الحس والتي استطاع بتأثير هذه البيئة ان يرسم لنا صورا زاهية بالحيوية والتجدد نال بها الخلود والشهرة على الرغم من ابتعاده في اكثر الاحيان عن المظاهر البراقة والجري وراء مغريات الحياة الزائلة. وبذلك نال الخلود في سجل الشعراء المتعفين.

ولادته ونشأته

لم تحدد المصادر التي ترجمت للرصافي الرفاء تحديدا دقيقا زمن ولادته ، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك من خلال الاشارة التي وردت في المعجب ومفادها ان الرصافي حين القى قصيدته في حضرة عبد المؤمن خليفة الموحدين في جبل الفتح عندما عبر الى الاندلس والتي مطلعها: (١)

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

((لم تكمل له عشرون سنة)) (٢) من هذه الإشارة استنتج الدكتور إحسان عباس بان سنة ولادته قد تكون في حدود سنة (٥٣٦هـ) (٣) وهذا هو اقرب الآراء إلى الصواب لانه لا يوجد بين أيدينا دليل يوافق او ينقض هذا الرأي .

اما مكان ولادته فقد أشارت المصادر انه ولد في رصافة بنسية (٤) وهي عبارة عن بساتين وحدائق زاهية كان يتوسطها على ما يبدو - قصر وتخللها المياه الجارية وهي من ابداع متفرجات بنسية ، انشأها الأمير عبد الله بن عبد الرحمن

(١) الديوان : ٧٠ .

(٢) المعجب ، عبد الواحد المراكشي : ٢٩٠ .

(٣) مقدمة الديوان : ١٣ .

(٤) المقتضب في تحفة القادم ٥٦ ، الحلة السيرة ٢ : ٢٦٤ ، صفة جزيرة الاندلس للحميري ، عني بنشرها ليفي بروفنسال ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٧ .



الداخل الملقب بالبنسي^(١) سنة ٢٠٨هـ وتقع الى الجنوب الشرقي من بنسية بينها وبين البحر^(٢).

في هذه البيئة الجميلة نما وترعرع شاعرنا فمذ الطفولة تفتحت عيناه برؤية الجمال ترجمها بقصائد رائعة تفيض عذوبة وحيوية وتتم عن احساس مرهف وتذوق لمواطن جمال الطبيعة الساحرة . ولكنه لسبب ما فارق مهد الطفولة برفقة والده الى مكان آخر يقول ابن الابار : ((خرج من وطنه صغيرا فكان يكثر الحنين اليه ويقصر اكثر منظومه عليه))^(٣) وظل يذكر اماكن اللهو في عهد الطفولة كالرصافة وجسر معان والبحيرة والنهر والمناظر الطبيعية الاخرى فيقف على الديار على طريقة الجاهليين فيقول:^(٤)

قفا عبر مأمورين ولتصدا	على ثقة للغبث فاستسقى القطرا
بجسر معان و الرصافة انه	على القطر ان يسقى الرصافة والجسرا
بلادي التي ريشت قويدمتي بها	فريخا وأوتني قرارتها وكرا
مباديء لين العيش في ريق الصبا	ابى الله ان لا نسى لها ابدا ذكرا

اما تفاصيل حياته الخاصة والاجتماعية فقد سكتت المصادر عن الاشارة اليها لا من قريب ولا من بعيد سوى انه عاش ((ضرورة لم يتزوج))^(٥).

شخصيته و اخلاقه

تحدثت المصادر القديمة باسهاب عن شخصية الرصافي و اخلاقه، وقد قال عنه صاحب ادباء مالقة ((وحدثني الفقيه ابو عمرو بن سالم رحمه الله ومن خطه

(١) ينظر رايات المبرزين ابن سعيد، تحقيق غرسيه غومي، ط١، مدريد(د-ت) : ٨٤، المغرب تحقيق د.

شوقي ضيف - مصر - ١٩٥٥، ٢ : ٣٤٢، نفح الطيب للمقري، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨، ٣ : ٢٢١.

(٢) تاريخ الإدلس ٨٦ (نص ابن الكردوس).

(٣) التكملة : ٥٢٠، نفح الطيب ٤ : ٩.

(٤) الديوان : ٦٨.

(٥) الحلة السيرة لابن الابار ١٢ : ٢٦٤.



نقلت، قال حدثني الوزير الحسيب ابو الحسين شاکر بن الفقيه الاديب ابي عبدالله ابن الفخار المالقي رحمه الله قال : ما رأيت من عمري رجلا احسن سمنا واطول صمتا من ابي عبدالله الرصافي من اعقل الناس))^(١) وقال ايضا ((كان الفقيه ابو عبدالله الرصافي من اعقل الناس وكان رفاءً فما سمع له احد من جيرانه كلمه في احد))^(٢)، وقال عنه في موضع آخر ((وكان من اعقل الناس واحسنهم خلقا وخلقاً))^(٣)، وقال عنه صاحب كتاب الصلة ((كان عفيفاً، ساكناً، وقوراً، ذا سمت وعقل))^(٤)، وقال عنه ايضا عبدالملك المراكشي كان ((كاتباً بليغاً، ديناً، وقوراً، عفيفاً، متفهماً))^(٥). لقد اورد لسان الدين الخطيب قصة تدل على حلمه وعقله يقول فيها ((وكان بازائه ابو جعفر البنسي)). وكان متوقد خاطر، فربما تكلم مع احد التجار، فكان منه هفوة، فيقول له جلسائه شتان والله بينك وبين ابي عبيدالله في العقل والصمت، فربما طالبه بأشياء ليجاوبه عليها، فما يزيد على القسم)) ثم قال ((فلما كان احد الايام جاء البنسي ليفتح دكانه، فتعمد القاء الغلق من يده فوق على رأس ابي عبدالله، وهو مقبل على شغله فسال دمه، ثم ربط رأسه، وعاد الى شغله. فلما رأى ذلك منه ابو جعفر ترمى عليه وجعل يقبل يديه ويقول: واله ما سمعت برجل اصبر منك ولا اعقل))^(٦).

ومن خلال ما تقدم يتضح ان الشاعر كان متدينا من ذوي الفضل معدودا في اهل الخير متواضعا وكان ممن يحسن الصلة بالناس على اختلاف طبقاتهم واجناسهم.

هجرته

لقد كان المكان الذي هاجر اليه الرصافي هو مدينة ((مالقه)) واتخذها دارا لاقامته الى ان توفي بها رحمه الله والسبب في هجرته الى مالقه هو اضطراب

(١) ادباء مالقة ٦٨-٦٩، المقتضب في تحفة القادم لابن الابار : ٥٦.

(٢) المصدر نفسه: ٦٩.

(٣) المصدر نفسه: ٦٩.

(٤) صلة الصلة لابن الزبير، تحقيق لافي بروفنسال، الرباط ١٩٣٧م، ٢ : ١٥٠.

(٥) الذيل والتكملة، عبدالواحد المراكشي ٥ : ٦٠٩.

(٦) الاحاطة لسان الدين الخطيب ٢ : ٥٠٦.



الاحوال السياسية في بلنسية والسعي في طلب الرزق ، وقد رفض الدكتور احسان عباس السبب الاول بقوله ((من السهل ان نفترض ان اضطراب الاحوال السياسية في بلنسية هو الذي حكم على والده بالرحيل عنها، ولكن هذا الفرض لا يثبت للمناقشة اذا عرفنا ان سائر البلاد الشرقية لم تكن احسن حالا من بلنسية في هذا الصدد، ويمكن ان يقال ان غالبا - الوالد - انما هاجر من بلنسية سعيا وراء الرزق بعد ان ضاقت به الحال في بلده))^(١) ، وهذا الرأي هو الاقرب الى الواقع لانه كان في مالقه سوق كبير للرفاتين يستطيع والده العمل في هذا السوق ليحصل على رزقه ويبدو ان الرصافي قد ورث هذه المهنة من ابيه التي جعلها مهنته الاساسية على الرغم من قلة المال المتأت من هذه المهنة وابي ان يمدح تكسبا ثم ارتحل بعد ذلك الى غرناطة ومدح الوالي عبدالملك بن سعيد قائلا :^(٢)

ايذا تفيض وخاطرا متوقدا
دعها تبت قيساً على علم الندى

ثم قيس الله ان يعير بحر الزقاق وقد وصف تلك الرحلة قائلا :^(٣)

ركبت لها بحر الزقاق تعمدا
وللفلك بين العدوتين تبارى

و سافر الى المغرب وزار مكناسة الزيتون ووصفها قائلا^(٤) :

ولا مكناسة الزيتون من وطن
احسن بمنظرها المربي على العجب

وفاته

حددت المصادر التي ترجمت للشاعر على انه توفي في مالقة في التاسع عشر من رمضان سنة (٥٧٢هـ)^(٥) الا ابن خميس ((ت ٦٣٩ هـ)) فقد ذكر ان وفاته كانت سنة ((٥٧٣ هـ)) و ارجح الرأي الثاني والسبب في ذلك يعود الى ان

(١) مقدمة الديوان : ١١ .

(٢) الديوان : ٥٤ .

(٣) نفسه : ٨٦ .

(٤) نفسه : ٤٧ .

(٥) الاحاطة : ٢ : ٥١٥ ، الحلة السیراء ٢ : ٢٦٤ ، المقتضب : ٥٩ .



الذي ذكر ذلك كان في زمنه اقرب الى الشاعر ، لقد ترك الرصافي البننسي ما يخلد اسمه بأحرف من نور وهي تلك الاشعار التي وصلنا جزءا منها وفقد اكثرها وخلقه المتواضع الذي روته لنا المصادر مما حدى ببعض اصدقائه الى رثائه ببعض الابيات التي كتبت على قبره ، قال ابو عمر: وقفت معه، يعني الشريف (١) ، ومعنا صاحبنا ابو الحسن ابن الحكيم على قبر الفقيه ابي عبد الله الرصافي، فتراحمنا عليه، وذكرنا اخباره، وارتجل ابو الحسن الشريف هذه الابيات وذلك يوم الجمعة الخامس من رمضان من سنة (٥٩٧هـ) بجانب مالقة حرسها الله تعالى)).

وكان لنا منه النباهة والقدر
فيصير فيه النور قد زف والزهر
وشتى المعالي الغر والنظم والنثر
يطيب به في كل اونة نشر
رمالهم الا التأسف والذكر
فألوانهم صفر وادمعهم حمر
مروجة حتى يجمعنا الحشر (٢)

سقى قبر من اضحى لدينا به الفخر
صوائب مزن ينثني النبات حوله
معيك ايا قبر الرصافة والحجا
بكي الرصافي الذي كان ذكره
عيون الاحباب اقاموا بقبره
وقد غشيتهم للتذكر روعة
عليك - ابا عبدالاله- تحية

ديوان شعره

يعد الرصافي شاعرا واديبا (٣) من شعراء الاندلس المشهورين (٤)، له ديوان ذكرته المصادر القديمة وقد حمله ابو عبدالله الحجاري وابو الحسن بن جبير وعلي بن كسرى (٥) المالقي واذاعوه بين الناس لكنه لم يصل الينا ، ويبدو انه فقد مع ما فقد

- (١) هو ابو الحسن علي بن عبدالله العلوي، كان من ادباء مالقة ذوي الحسب والمعرفة اللذين عاصروا الرصافي البننسي وصاحبوه . ينظر ادباء مالقة ١٦٧-١٦٨ .
- (٢) ادباء مالقة : ١٦٨ .
- (٣) بغية الملتمس - الطيبي : مطبعة روخس المسيحية : ١٨٨١ م : ١٠٩ ، وينظر ادباء مالقة : ٦٨ .
- (٤) نفع الطيب ٤ : ٣٧ ، ٤٠٢ .
- (٥) ادباء مالقة : ٧٠ .



من نفائس التراث الأندلسي، ولقد قام الدكتور احسان عباس بجمع شعره من المضان المتيسرة وقد طبعه مرتين الأولى سنة ١٩٦٠ وتظم هذه الطبعة تسعة وخمسين قصيدة ومقطوعة ، والثانية سنة (١٩٨٣م) وتظم سبعة وسبعين قصيدة ومقطوعة.

والحقيقة ان الرصافي الرفاء من ابرز شعراء القرن السادس الهجري، وقد كان لفقدان ديوانه اثر كبير في اهمال دراسته، ولقد عاصر شاعرنا ادباء وشعراء كثيرين كان من ابرزهم الاديب الكاتب ابو جعفر احمد بن عطية (ت ٥٥٣هـ) وزير عبدالمؤمن^(١) ونذكر منهم ايضا ابن قزمان (ت ٥٥٥هـ) ((امام اهل الزجل المنظوم))^(٢)، ولقد ظهر لنا من خلال مجموعته الشعري بانه شاعر كبير متمكن يقف في مصاف شعراء العربية الكبار وشعره مرآة ناصعة انعكست عليه صورة العصر السياسية وخصائصه الفكرية والثقافية ، لقد نظم الرصافي في مختلف اغراض الشعر المعروفة كالمدح ، والرثاء ، والغزل، والتهنئة ، والمراجعات الاخوانية ، والحنين الى الديار ، والوصف وغيرها، وله قطعة نثرية في وصف قلما تمتاز بقصر العبارة وتتميقها بالسجع ووضوح الفكرة موظفا فيها جانبا كبيرا من ثقافته التي عرف بها في شعره .

(١) الحلة السيرة لابن الابار : ٢٦٤ .

(٢) المغرب ١ : ١٠٠ ، ١ : ١٦٧ ، تحفة القادم (ترجمة ٢٥)، الاحاطة في اخبار غرناطة ٢ : ٢٩٤ ، الوافي ٤ : ٣٠٠ .



المبحث الثاني آراء العلماء و المؤرخين في أدبه

لقد نال الرصافي الرفاء ثناءً منقطع النظير من الباحثين القدامى والمحدثين وسنتحدث اولاً عن آراء القدامى فقد اعجبوا بأدبه اعجاباً شديداً، يقول عنه صاحب ادباء مالقة ((فحل الشعراء ورئيس الادباء))^(١) وقال عنه المؤرخ عبدالواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ) ((وهو من مجيدي شعراء عصره، لاسيما في المقاطع كالخمسة أبيات مما دونها))^(٢) ويقول عنه المؤرخ و الناقد ابن الابار (ت ٦٥٨هـ) ((شاعر وقته المعترف له بالاجادة وكان من الرقة سلاسة الطبع وتنقيح القريض وتجويده على طريقة متحدة))^(٣)، ويقول عنه في المقتضب ((وكان في قصائده كثيرا ما يذكر شوقه الى معاهده ويأتي بما يعجب ويعجز))^(٤)، اما المؤرخ محمد بن عبد المالك المراكشي فيقول ((كان شاعرا مجيدا رقيق الغزل سلس الطبع بارع التشبهات بديع الاستعارات نبيل المقاصد والاغراض))^(٥)، وقال عنه صاحب كتاب صلة الصلة (ت ٧٠٨هـ) ((كان فحلاً من فحول الشعراء))^(٦)، كما ذكره العمري فقال ((شاعر سلب المدام نشوتها وحكى في الظلام حلوتها وجاء من الادب بما تخف به رجاياته، ويلج المسامح حاجاته))^(٧)، وكذلك ذكره الصفي فقال : ((كان شاعر زمانه شعره مدون ينافس فيه))^(٨)، وقال عنه المؤرخ والاديب ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) ((وشعره لا

(١) ادباء مالقة لابن خميس المالقي : ٦٨ .

(٢) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ٣ : ٢٩٠ .

(٣) التكملة لابن الابار ٢ : ٥٢٠ .

(٤) المقتضب من تحفة القادم لابن الابار : ٥٦ .

(٥) الذيل والتكملة ، ابن عبد الملك : ٢٥٠ .

(٦) صلة الصلة لابن الزبير: ١٠٧: ٢ .

(٧) مسالك الابصار ، اصدار فؤاد سزكين مع علاء الدين جوفاشا، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية

في جامعة فرنكفورت، طبع بالتصوير عن مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ، ١٩٨٨ ، ٣ : ١٣٠ .

(٨) الوافي بالوفيات، الصفي ٤ : ٣٠٩ .



نهاية فوفه رونقا ومائية ، حلاوة وطلاوة، ورقة وديباجة، وتمكن الفاظ، وتأصل
 معني^(١)، ويقول عنه صاحب أعمال الأعلام ت (٧٧٦ هـ) ((شاعر الاندلس في
 وقته))^(٢) كما سماه الاديب والمؤرخ احمد المقري ت (٩٨٦ هـ) ((ابن رومي الاندلس
))^(٣) لأن شعره يمثل محاولات لتوليد المعاني الجديدة وحسن التعليل وابرار الصورة
 المبتكرة ، وقال عنه مؤلف وفيات الاعيان لابن خلكان ت () ((له اشعار ظريفة
 ومقاصد في النظم لطيفة وشعره سائر بالآفاق))^(٤). ولقد برزت قدرته كشاعر كبير
 ومبدع في اكثر من مناسبة ولعل من اهمها المناسبة التي جمعت مع الشعراء الذين
 استدعاهم الخليفة عبد المؤمن بن علي عندما نزل جبل الفتح ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك
 وانما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم^(٥). ومن اهم هؤلاء الشعراء اضافة الى الرصافي محمد بن حبوس الفاسي، والاصم
 مرواني وابن سيد الملقب بـ (اللص)^(٦) وابو بكر بن المنخل الشلبي وابن صاحب
 الصلاة وابو جعفر بن سعيد وابو العباس الجراوي ، وقد نال هؤلاء الشعراء الجوائز من
 الخليفة كما نالوا البركة مع الناس ثلاث مرات. ولقد طالت الاقامة بهم عشرين يوما^(٧).
 اذن دعوة الشاعر الى هذا الحفل الكبير يحمل في طياته معاني عديدة منها ذبوع صيته
 وشهرته بين الناس ، هذه الشهرة التي وضعت جنبا الى جنب مع الشعراء البارزين في
 الاندلس ، وبهذا يكون الشاعر قد تجاوز عهد التجارب الاولى ومن التقدير لقرينته
 الصافية ذات المنهل العذب ان يقال انه لم يكن يومئذ قد اكمل العشرين من عمره .
 اما الادباء والنقاد المحدثون فقد كشفوا الستار عن اعماله الرائعة التي تدل
 على عبقرية متأصلة في فكر الشاعر، يقول الاديب والناقد الدكتور مصطفى الشكعة

(١) الإحاطة في اخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب، المجلد الثاني : ٥٠٧ .

(٢) أعمال الأعلام، لسان الدين ابن الخطيب : ٢٤٦ .

(٣) نفع الطيب ٥ : ١٥٨ .

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٤٣٢ .

(٥) المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة : ١٤٢-١٦٧ .

(٦) اللص : هو ابن سيد ، من شعراء الدولة الموحدية وسمي باللص لاغراته على اشعار الناس ينظر :

(٧) المصدر نفسه : ١٦٧ .



((ان الرصافي الرفاء يتأنق تأنقا بالغا في وصفه للنهر ويوفق توفيقا معجبا فما خلع عليه من تشبيهه وبما اسبغ عليه من الوان))^(١) ، ثم اسبغ عليه الاستاذ الدكتور عبد الله الجبوري صفة الشاعر ((الفذ))^(٢)، وقال عنه الاديب الاستاذ الدكتور احسان عباس ((ان الرصافي يقف في مصاف البارعين من شعراء الاندلس))^(٣). لقد اتسمت اعماله بالابداع والاصالة ، يقول عنه الدكتور محمد مجيد السعيد ((وقد ابداع في ابياته التي يصف فيها دولاب ، والتي كانت محتذى للكثيرين من بعده تأثروا بها واستغلوا معانيها))^(٤). لقد عدده بعض الادباء من الشعراء المعدودين في بلنسه ، يقول الدكتور عدنان صالح مصطفى ((ومن شعراء بلنسية المعدودين، شاعرها الذي لها ان تفخر به يملئ فيها، ابن غالب ابو عبدالله الرصافي))^(٥)، اما المستشرق الاسباني غرسيه غومس بانه حامل علم الطريقة المشرقية قال ((وجعلت نواحي الدولة برؤساء او شعراء ممن اجادوا قول الشعر وبرعوا فيه. وقد رفع علم الطريقة المشرقية ابو عبدالله محمد بن غالب البننسي المعروف بالرصافي))^(٦)، اما المؤرخ الدكتور محمد عبد الله عنان فيقول في مقدمة كتاب الاحاطة ((ويضم طائفة من اكابر الكتاب والادباء والشعراء.... ومنهم ابن غالب الرصافي))^(٧) ويقول الدكتور محمد رضوان الداية ((والرصافي يذكر عادة في مدرسة ابن خفاجة: المحافظين على رونق الشعر الجزل، وتقوم طريفته الشعرية على التنقيح والتجويد))^(٨)، وقد عدده د. الواركلي من مرموقي شعراء الاندلس في القرن السادس الهجري^(٩).

- (١) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم لملايين - بيروت ١٩٧٤ : ٣١٦.
- (٢) اشعار ابي الشيبص الخزاعي، عبدالله الجبوري، وزارة التربية ١٩٦٧ : ١٢٦ .
- (٣) مقدمة الديوان : ٢٧ .
- (٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين : ١٤٣ .
- (٥) في الشعر الاندلسي : عدنان صالح، دار الثقافة - الدوحة ، ط ٢ : ٩٥ .
- (٦) الشعر الاندلسي: غومس ،ترجمة حسين مونس ، مكتبة النهضة - القاهرة ١٩٥٢ .
- (٧) الاحاطة ٢ : ٧ .
- (٨) في الادب الاندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر ، دمشق، سورية ، ط ١ : ٦٧ .
- (٩) المستدرک على ديوان الرصافي البننسي، د. عبدالكريم الواركلي ، مجلة دراسات اندلسية ، العدد العاشر ١٩٩٣ : ٩ .



المبحث الثالث مصادر ثقافته

لم تتحدث المصادر التي تناولت حياة الشاعر عن بدايات حياته العلمية والادبية ، فلم نعرف شيئاً عن المصادر التي استقى الشاعر ثقافته منها، فنحن لا نستطيع ان نجزم من خلال المعلومات المتوفرة بين ايدينا باسماء الشيوخ والمؤدبين الذين تتلمذ الشاعر على ايديهم، ولكن يبدو ان الشاعر قد نال ثقافته الاولية في مدينة بلنسية، يقول (١)

بلادي التي ربشت قويدمتي
فريخا وآونتي قرارتها وكرا
مبادئ لين العيش في ريق الصبى
ابى الله ان انسى لها ايدا ذكرا

وإذا عرفنا جانباً من نظم التعلم السائدة في الاندلس قد نهتدي الى الكيفية التي تلقى بها الشاعر العلم في بدايات حياته، لقد ذكر لنا العلامة ابن خلدون كلاماً عن الطرق التي اتبعها الاندلسيون في تعليم اولادهم فقال: ((واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم. الا انه لما كان القرآن اصل ذلك دراسة ومتبع الدين والعلوم جعلوه اصلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.)) (٢). يفهم من كلام ابن خلدون غير المرتبط بزمان ان الاندلسيين كانوا يرسلون اولادهم الى اماكن تسمى المكاتب لغرض تعليمهم القراءة والكتابة والخط، وكان القرآن الكريم مادة تعلمهم من حيث كونه ((نصوصاً)) تؤدى مهمة تعليم القراءة والخط للغة كلها الى جانب ترسيخ بعض معاني الاسلام في قلوب الاولاد، ولم يقتصر التعلم على اقرار القرآن الكريم كمنهج اساسي، بل كانوا يختارون نصوصاً من الشعر لينشأ الطالب فصيحاً عذب اللسان. ويبدو ان شاعرنا الرصافي الرفاء قد نال حظه الوافر من التعلم ونهل العلم

(١) الديوان : ٦٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون - تحقيق الدكتور علي عبدالواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٢ : ٤ : ١٢٤٠-١.



من منهله العذب والذي ظهر لنا جليا في شعره ، ويمكننا تتبع المصادر الاساسية لتثقافته الواسعة من خلال :

١- القرآن الكريم

٢- اللغة العربية

٣- كتب التراث

اولاً : القرآن الكريم:

يعد القرآن الكريم الرافد الاساسي الأول بل يمكن القول انه اهم روافد ثقافة الرصافي البنسي، فهو الذروة التي وصلت اليها اللغة العربية، ولأنه كلام الله المعجز فقد نهل الشاعر من هذا المنهل العذب وعكف على دراسته دراسة مستفيضة حتى وصف ((بالفقيه))^(١)، وقد افاد الشاعر من ثقافته القرآنية ووظفها خير توظيف في شعره مما يدل على سعة اطلاعه على اسرار الكتاب الرباني المعجز، ولم يقتصر تأثره على الالفاظ والمعاني، بل شملت الصورة والاسلوب، لذلك لم نجد قصيدة من قصائد الشاعر في مختلف الاغراض الشعرية ، من دون ان نلتمس الاثر الواضح لثقافتها الإيمانية، لذا كان لزاماً علينا التطرق الى بعض نماذج هذا التأثير ليكتسب البحث نوعاً من الجدة والرصانة، وسنتحدث عن هذا الموضوع بصورة مفصلة في موضوع الدراسة الفنية انشاء الله، ولكن هذا لا يمنع ان نذكر بعض الامثلة ، منها قوله في الاخوانيات :^(٢)

حتى اذا ما قضوا من كأسها وطرا وضاحكوها الى حد من الطرب

وهي اشارة جلية الى القرآن الكريم، فالشاعر يستحضر قصة ابطال عادة التبني في قوله تعالى : ((وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى

(١) ادباء مالقه: ٦٩. ولفظ الفقيه في المغرب والاندلس تطلق على الرجل المثقف بصورة عامة. ينظر :

تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، محمد عبدالرحيم غنيمه، تطوان: ١٩٥٣م : ٢٣٣.

(٢) الديوان : ٤٦ .



زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا^(١) واستخدمها الشاعر في موضوع الاخوانيات والحنين الى اصدقائه الذين فارقوا الحياة .

وقوله : (٢)

تراحم انفس الرياح بزهرها رجوما فلا شيطان يقربها ذعرا

فيها اشارة واضحة الى قوله تعالى: ((وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ)^(٣)، فأزهار مدينته في تمايلها تحت تأثير الرياح تشبه تساقط الشهب على الشياطين فلا يستطيع هؤلاء الاقتراب منها.

لهذا كان القرآن الكريم بالنسبة لشاعرنا الرصافي البننسي نبراسا يستقي من فيض اقباسه النورانية ويجعلها اساسا في بناء اشعاره ايمانا منه بما تحدثه هذه الالفاظ القرآنية من تأثير واضح في نفسية الانسان الاندلسي المسلم. ومن صور التأثير بالقرآن الكريم استحضر القصص القرآني في شعره لاسيما قصة موسى عليه السلام ، فقد كان لهذه القصة صدى واسعا في شعره، ويرى الباحث ان هذا الاعجاب متأت من خيال الشاعر في التشابه بين المكان الذي نزل عليه موسى عليه السلام وهو جبل الطور ، والمكان الذي نزل عليه عبد المؤمن بن علي حينما فتح الاندلس يقول: (٤)

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

اما الالفاظ والمصطلحات القرآنية فهي كثيرة في شعره نحو (أحمد، محمد، موسى، النجم قبس، الطور، ينقد، هيهات، الرعد، اللغوب، الزاد، مداد... الخ)، نلمس من ذلك ان القرآن العظيم وما اشتمل عليه من الآيات والقصص والمواعظ والحكم

(١) سورة الاحزاب، الاية ٣٧.

(٢) الديوان : ٧٠.

(٣) سورة الملك، الاية: ٥.

(٤) الديوان : ٨٧.



والاشارات كان المعين الذي لا ينضب امام الشاعر يستقي منه ما يشاء لتقوية معاني شعره، ولم يكن هذا الشاعر مسلما فقط بل كان عربي الروح ممجدا كل قيم العروبة والاسلام من كرم وشجاعة وفروسية وتضحية وما الى ذلك من القيم الاصلية، ولقد ظهر لنا من خلال سيرته تمسكه الشديد بالدين الاسلامي وتعاليمه السامية بسبب خطورة الاوضاع السياسية، والصراع الدامي بين المسلمين في الاندلس والنصارى الذين كانوا يتحينون الفرص للقضاء على هذا الدين الذي بسببه تحرر الانسان في شتى بقاع الارض التي كانت تعج بالظلم والطغيان .

ثانيا- اللغة العربية:

يمكننا القول ان اللغة العربية هي الرافد الاساسي الثاني الذي ساهم في بناء ثقافة الشاعر اللغوية، وربما يقال ان كل الشعراء او اغلبهم يملكون موهبة الاحساس باللغة، وهم يختلفون في درجة الاحساس بهذه اللغة، اما شاعرنا فدرجة احساسه باللغة العربية عالية جدا وواضحة ، لنتأمل وصفه لمدينة بلنسية تلك الاوصاف الرائعة التي تدل على غوصه في اعماق اللغة بحثا عن المعاني الطريفة، يقول: (١)

بلنسية تلك الزبرجدة التي تسيل عليها كل لؤلؤة نهرا
كأن عروسا ابدع الله حسنهما فصير من شرخ الشباب لها عمرا
هي الدرة البيضاء من حيث جنتها اضاءت ومن للدر يشبه البдра

فقد احس الشاعر بجمالية هذه اللغة وآسره هذا الجمال مما دفعه الى التنقيب في تراثها وتوظيفه في شعره يقول: (٢)

قالوا وقد اكثروا في حبه عدلي لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو ان امري في الصبابة لي لاخترت ذاك، ولكن ليس ذلك لي

(١) الديوان : ٧٠ .

(٢) نفسه : ٣٣ .



وينتقي الشاعر من هذه اللغة الالفاظ ، الرقيقة ، الموحية لكي يجعل هذه الكلمات قريبة الى القلوب ترضي الانواق المترفة في الاندلس يقول : (١)

ومهفهف كالغصن الا انه سلب التثني النوم عن اثائه

ويمكننا ملاحظة صفاء لغته ومتانتها في قوله: (٢)

و مهذل الشطين تحتسب انه متسيل من درة لصفائه
فءت عليه مع الهجيرة سرحة صدنت لفيئتها صحيفة مائه

كيف لا يبدع الشاعر في تعبيره عن خلجات نفسه بهذه اللغة التي شرفها الله لتكون لغة القرآن الكريم .

لقد كانت اللغة العربية ساحرة بجمالها لشاعرنا الرصافي البنسي نظرا لما تتميز به من روعة الفاظها وصورها وقدرتها على التعبير عن ما يجول في خاطر كل انسان يمتلك قدرا من الشاعرية ورهافة الحس، فاستطاع هذا الشاعر بما يحمله من ذوق ادبي رفيع وحس مرهفة وخيال واسع ان يترجمها الى قصائد شعرية تفيض رقة وعذوبة .

ثالثاً - كتب التراث:

ويدخل ضمن كتب التراث دواوين الشعر الجاهلي والاسلامي والاموي والعباسي ودواوين الشعر الاندلسي والحوادث والابخار والتاريخ والانساب، وبما ان أي شاعر لا بد ان يتأثر بالشعراء السابقين ، فقد تأثر الرصافي البنسي بشعراء العرب في الجاهلية ومن صور ذلك التأثر ما نراه في شعره من ذكر الطلل والوقوف على الديار، من ذلك قوله: (٣)

خليلي ان اصدر اليها فانها هي الوطن المحبوب اوكلته الصدرا

(١) الديوان : ٣٣ .

(٢) نفسه : ٣٢ .

(٣) نفسه : ٧١ .



ويقف على الديار كعادة الجاهليين: (١)

قفا غير مأمورين ولتصديا بها على ثقة للغيث فاستسقى القطرا

اما الشعر الاندلسي فقد كان حاضرا في مخيلته على الدوام من ذلك قوله: (٢)

محنك حلب الايام اشطرها وساقها سوق حادي العير للعر

فالشاعر قد تأثر بابن خفاجة في وصفه للجبل (٣).

اما الحوادث والاخبار فتعد دليلا على سعة اطلاعه وثقافته العريضة، من ذلك ذكر اسماء الامكنة التي ارتبطت بحوادث معينة ومنها ذكر مدينة (بابل) التي ارتبط اسمها بالسحر، يقول:

هل درت بابل انا فنة تجعل السحر من السحر رقى

اما الجمل والعبارات التاريخية التي تقف وراءها احداث تاريخية كشخصية طارق بن زياد الذي فتح الاندلس الذي نرى ذكره في ثنايا قصائده المدحية يقول: (٤)

نعم اليد البيضاء آس طارق نار الذكاء على مكارمها هدى

ومن الشخصيات الاخرى شخصية النبي موسى وسليمان والحكيم لقمان ، ويميل الشاعر الى استخدام هذه الشخصيات في شعره لغرض تعميق الدلالة في شعره ومحاولة بث الجو الديني في هذه القصائد، يقول: (٥)

سقطت ولم تملك يمينك ردها فوددت يا موسى لو انك يوشع

يقول عن سليمان عليه السلام : (٦)

استغفر الله الا قصة سلفت قد كان فهمها يوما سليمان

وعن الحكيم لقمان يقول : (١)

(١) نفسه : ٦٨ .

(٢) الديوان : ٩٣ .

(٣) ينظر : ديوان ابن خفاجة : تحقيق د . مصطفى غازي ، القاهرة ، ١٩٧٤ : ٥٠ .

(٤) الديوان : ١١٢ .

(٥) نفسه : ١٠٦ .

(٦) نفسه : ١٢٩ .



كأما يتعاطى فضل منطقته
عند التكلم لقمان و سحبان
وكذلك اشارة في بعض قصائده الفاظ ((كقيس، إياد، عنسي)) التي تدل على
معرفة بالانساب ، يقول: (٢)
فتى من قيس عيلان تلاقى
على سيمائه كرم ونور

(١) نفسه: ١٢٨.

(٢) نفسه: ٨٣.

الفصل الثاني الثاني

موضوعات الشعر في عصر
الموحدين
(موضوعات واغراض شعره)



الفصل الثاني

موضوعات الشعر في عصر الموحدين تمهيد

لم تتغير الموضوعات الشعرية في القرن السادس الهجري كثير في الاندلس عما كانت عليه في العصور السابقة، فالظروف العصبية والاحداث الداخلية والخارجية كان لها اثراً كبيراً في حركة الشعر في ذلك الوقت، ولا ننسى ما حدث في ذلك العصر من غزوات وحروب وصراعات مستمرة مع الممالك الاسبانية قد اثر تأثيراً واضحاً في سمات وملامح الشعر الاندلسي في تلك الحقبة من الزمن والتي طبع بطابعها العام الذي ميزها من غيرها من عصور الادب الاندلسي، فنظم الشعراء في هذه الفترة في جميع اغراض الشعر العربي، وزادوا عليها في بعض فنون الشعر تبعاً لظروف بيئتهم واطوار المجتمع في هذه الحقبة من الزمن. وقسمت فنون الشعر في الاندلس بصورة عامة الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول: مجموعة الفنون التقليدية وسار اصحاب هذه المجموعة على نهج شعراء المشرق في النظم وان اختلفت في طريقة التعبير وتشتمل هذه الفنون الغزل والمدح والرتاء والحكمة والزهد والاستعطاف والهجاء والمجون.

القسم الثاني: مجموعة الفنون التي توسعوا فيها وهي لا تخرج عن دائرة الفنون التقليدية كالحنين الى الوطن وشعر الطبيعة ورتاء المدن والممالك الضائعة والشعر التعليمي.

القسم الثالث: مجموعة الفنون الشعرية المستحدثة والتي ابتدعوا حاجتهم اليها وقد سجل لهم سبق في ذلك ومنها الموشحات والازجال، وشعر الاستغاثة او طلب النجدة التي اطلقها الشعراء لانقاذ الوجود العربي الاسلامي من الانهيار^(١).

(١) الادب العربي في الاندلس، د. عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥: ١٦٨.



واتسم الشعر في هذه الفترة بميزات عديدة منها غلبة الوصف والاستغراق في الخيال والافراط في استخدام الاساليب البيانية والبديعية، وشاعرنا الرصافي البنسي هو ابن بيئة تأثر بهذه الحياة، فكانت موضوعات شعره مرآة ناصعة لذلك العصر وما فيه من احداث جسيمة، وقد طرق فيها اغلب فنون الشعر التقليدية والموسعة كالمديح والوصف والاخوانيات والرثاء والحنين والغزل والهجاء والتهنئة، وعند دراستنا لما احتوى عليه ديوان شعره وجدنا انه يتكون من سبعمائة وثلاثة واربعين بيتا موزعة على الاغراض الشعرية التي نظم فيها.



المبحث الأول المديح

١ - نظرة عامة في المديح :

المديح فن من فنون الشعر القديمة والعريقة عراققة الشعر العربي، ولم يغيب هذا اللون من الشعر في يوم من الايام من ذاكرة الشعر العربي، فهو قد رافق مسيرة الشعر في رحلته الطويلة منذ ان عرف الانسان معنى الحياة الى يومنا هذا، فهو يمثل إحساس داخلي واعجاب بما لدى الآخرين من فضائل تميزهم عن غيرهم ((والمديح تعداد لجميل المزايا، ووصف الشمائل الكريمة، واطهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم تلك المزايا وعرفوا بمثل هاتيك الشمائل))^(١).

ولقد عدّ بعض الادباء فن المديح هو الاصل من بين الأغراض الشعرية وسائر الأغراض الاخرى فروع ثانوية^(٢)، مما حدى بالشعراء الى الاقبال نحوه ينهلون منه دون كلل او ملل ويصرفون جل اهتمامهم للعناية به وكأنهم خلقوا ليكونوا مداحين ، ((وكان الشعر قبل كل شىء مهنة لحمتها المديح وسداها الغزل))^(٣) ، ولم يكن في بال المداح قديماً نيل العطاء والكسب المادي وانما لشدة اعجابهم بخصال الممدوحين الرفيعة مما دفعهم الى التغني بهذه الخصال الراقية كالكرم والشجاعة، والصدق، والوفاء، والورع والتقوى والايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ونصرة المظلوم... الخ^(٤).

والاصل في المدح ان يصدر عن رغبة جامحة واعجاب حقيقي من الشاعر في تتمين فضائل الممدوح وأعماله وصفاته^(٥) والصفات التي يمتدح بها الانسان عند العرب اربع قال ابن رشيق ((لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس ، لا من

(١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي، احمد ابو حاقه، دار الشروق الجديد- بيروت ١٩٦٢ : ١٤ .

(٢) نفسه : ١٤ .

(٣) عيار الشعر لابن طباطبا، ت. عباس عبدالساتر، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ١٩٨٢ : ١٩، ١٨ .

(٤) ينظر نفسه.

(٥) ينظر فن المديح: ١٥ .



طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه اهل الالباب من الاتفاق في ذلك : العقل والعفة والعدل والشجاعة))^(١).

وبما ان الشعر الاندلسي احد بذور الحضارة العربية في الاندلس، فقد اجاد الشعراء في جميع الوانه ولاسيما المدح فنهجوا السبيل الذي سار عليه اسلافهم المشاركة ((فحافظوا على الاسلوب القديم وعنوا بالاستهلال وحسن التخلص واحكام البناء وشد اسره، والتزموا الغزل في محاريب مدائحهم وربما جعلوا صدورها وصفا للخمرة او للطبيعة))^(٢)، وظهرت هذه السمات جلية واضحة في عصر الموحيين ولا نبتعد كثيرا عن الحقيقة اذا قلنا بأن هذا العصر هو عصر ازدهار فن المديح في الشعر الاندلسي والسبب في ذلك هو تشجيع خلفاء الموحيين الذين عرفوا بثقافتهم الواسعة في مجالات الحياة المختلفة ودعمهم اللامحدود لهؤلاء الشعراء^(٣)، فعبدالمؤمن بن علي كان عالما في اللغة والادب وكان متذوقا للشعر واستدعى الشعراء للاقامة عند عبوره الى الاندلس ونزوله في ((جبل الفتح))^(٤)، وكان من بين هؤلاء الشعراء ابو عبدالله محمد بن غالب الرصافي الذي انشده القصيدة الرائية التي مطلعها:^(٥)

لو جنت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ونور

وانشده كثير من الشعراء في هذه المناسبة، والملاحظ على امداح الشعراء في عصر الموحيين غلبت روح المبالغة والمغالطات التي تجعل من الممدوح فوق مرتبة البشر وتجعله شيئا آخر مقدسا منزها مشبها بالانبياء والمرسلين يسير الاقدار ويتحكم بالقضاء))^(٦) يقول:^(٧)

فلو لحقتم زمان الوحي نزل في تلك الصفات مكان الشعر قرآن

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط ١٩٥٥ م، ٢ : ١٣١.

(٢) ادباء العرب في الاندلس في عصر الاتبعات، بطرس البستاني، دار المكشوف ودار الثقافة د.ت : ٤٠-٤١.

(٣) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالاندلس: محمد مجيد السعيد : ١٠٩.

(٤) تاريخ المن بالامامة لابن صاحب الصلاة .

(٥) الديوان : ٨٧.

(٦) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس: محمد حميد السعيد : ١٠٩.

(٧) الديوان : ١٣٠.



موقفه من التكسب بالشعر :

اشرنا في كلام سابق بأن الرصافي الرفاء تربي تربية خلقية جعلته يبتعد عن زخارف الدنيا وملذاتها وينصرف الى العمل الصالح الذي يرضي الله سبحانه، يضاف الى ذلك النفس الابية التي تأبى التذلل للملوك والامراء ومحاولة بذل كرامته رخيصة من اجل الحصول على العطاء المادي من خلال المدح، وبما ان شعر المدح يأتي اعجابا بالفضيلة وثناء على صاحبها، وان غاية المدح خلقية تتمثل في سعي الانسان الى حياة حرة كريمة ومحاولة رسم هذه الحياة بأفضل مما عليه في الواقع^(١)، لذلك رأى شاعرنا من الواجب الادبي ان يمدح خلفاء الموحدين لأنهم زادوا عن حمى الاسلام ووجدوا الاندلس والمغرب تحت راية اسلامية واحدة وجاهدوا اعداء الله والوطن بلا هوادة او فتور، وبذلك حاول الاقتراب من الاعمال العظيمة التي قام بها هؤلاء الملوك والامراء. والا بماذا يفسر مدحه للملوك والامراء وهو يصرح في شعر بأن لا يتخذ الشعر سبيلا للتعيش يقول: (٢)

على انني لا ارتضي الشعر خطة ولو صيرت خضرا مسارحي الغبرا

والسبب عنده كما يبدو ان الشعر لا يجلب له نفعا ولا ضرا. يقول: (٣)

كفى ضعة بالشعر ان لست جالبا الي به نفعا ولا رافعا ضرا

لكنه بالرغم من ذلك كله فقد مدح الملوك والامراء بدرر لامعه ظلت محتذى لكثير من الشعراء بعده. وهذا المديح ليس للتكسب الرخيص المادي وانما لغاية خلقية كما اسلفنا وسبب ابتعاده من التكسب :

١- القناعة : وتعني الرضا بما قدره الله سبحانه وتعالى للانسان من رزق^(٤).

قنعت وامتد مالي فالسما يدي ونجمها درهمي والشمس ديناري

(١) فن المديح وتطوره في الشعر العربي : ٣٦.

(٢) الديوان : ٧٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه : ٩٩.



٢- حفظ ماء الوجه : فهو يرفض ان يسخر قريحته من اجل الحصول على لقمة

العيش بذلة لأن الرزق مقسوم ومقدر :

صون الفتى وجهه ابقى لهتمته والرزق جار على حد ومقدار^(١)

٣- الكرامة : وهي الابتعاد بالنفس الانسانية عن الذل والمهانة والتي عبر عنها —

(غيرة جاهلية) يقول: ^(٢)

ومن دون هذا غيرة جاهلية وان هي لم تلتزم فقد تلزم الحرا

فتقديرها لهذه القريحة المتفتحة التي تتفجر منها ينابيع الابداع فقد اجزل الملوك

العطاء له دون ان يرحل اليهم ودون ان يقف على عتبات ابواب الممدوحين للسؤال.

يقول في مدح الوزير الوقشي:

نعماء جدت بها وان لم نلتق فيمن يدندن حولها ويحوم^(٣)

ويرى الرصافي البنسي انه صاحب فضل على الممدوحين لان عطاءهم ينفذ

ومدحه يبقى خالدا في ذاكرة الاجيال وهو وحده يستطيع ان يحرم هؤلاء الملوك من

المجد والرفعة:

متى ارسلت ايدي الملوك هباتها ولم يوصلوا جاها ولم يجزلوا ذخرا

فقد سرنى انى حرمت علاهم حلى محكمات تخجل الانجم الزهرا^(٤)

وخلاصة القول في موقف الرصافي الرفاء من التكسب بالشعر ينطوي على

معنى اخلاقي يابى بذل موهبته الالهية رخيصة ذميمة في الحصول على المكسب

المادي المدنس بالذل والمهانة وذهاب ماء الوجه في ظروف كانت مقاييس المجتمع

تعصف بها - في اكثر الاحيان - اهواء مختلفة ورغبات مشبوبة، وكان عليه ان

ينقن لغة التملق والنفاق من اجل الحصول على لقمة العيش، وهذا مما لا يتفق مع

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) نفسه: ٧٧.

(٣) نفسه: ١٢١.

(٤) نفسه: ٧٧.



نفسية شاعرنا ولا يتماشى مع تربيته واخلاقه، فسمما صوت الصدق والعفة والنزاهة متمثلا بصدق بالرصافي الرفاء البلنسي الشاعر الرفض المتاجرة بالقريض .

قصائده المدحية :

قبل الخوض في دراسة قصائد المديح رأيت من المناسب ان اشير الى الفرق بين القصيدة والمقطوعة في شعر الرصافي البلنسي ومن ثم ملاحظة نسب توزيع هذه القصائد والمقطوعات في الديوان ، فالفصل بين القصيدة والمقطوعة قديم في الشعر العربي ، فقد عرف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣هـ) كلاما من القصيدة والمقطوعة بقوله ((اذا بلغت الابيات سبعة فهي قصيدة... ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو بيت واحد))^(١) ، فالقصيدة ما تألفت من سبعة ابيات فأكثر والمقطوعة ما تألفت من بيتين الى سبعة ، هذا من ناحية العدد اما من ناحية الافكار فان شاعرنا قد سار على المنهج الذي اختاره ابن الزقاق ، فالقصيدة على هذا المنهج بناء متكامل يختار فيه صاحبه سياقاً من الجزالة ويخرج فيه الصور بين الحين والحين^(٢) ، والمقطوعة ((فانها لتقارب اجزاءها تقوم على طلب الصور وتهدف الى ايجاد التعليل))^(٣) ، وفي ضوء هذا التقسيم غلبت المقطوعات على القصائد في الديوان .

اما نسب توزيع القصائد والمقطوعات في الديوان فنراها في المخطط الآتي :

ت	الغرض الشعري	عدد القصائد	عدد المقطوعات
١	المديح	٦	٢
٢	المراجعات الاخوانية	٧	٢
٣	الوصف	٣	٢٦
٤	الرثاء	٢	٥
٥	الحنين الى المعاهد	٢	٣

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني/١ : ١٨٨،١٨٩ .

(٢) مقدمة الديوان : ٢٢ .

(٣) نفسه .



٦	الغزل	٢	٧
٧	الهجاء	-	٣
٨	التهنئة	١	-

وشاعرنا الرصافي الرفاء بما اوتي من ابداع في الصورة وجمال الوصف ورقة العبارة كان قد تصدر قائمة الشعراء الذين حضوا باهتمام حكام الموحدين، وله العديد من القصائد المدحية التي يمدح بها اولئك الحكام، ولتسهيل دراسة هذه القصائد ارتأيت تقسيمها الى قسمين :

القسم الاول : (المديح السياسي)

القسم الثاني : (المديح الاجتماعي)

اولا - المديح السياسي (مدح الخلفاء والولاة والوزراء) :

كان لخلفاء الموحدين اثراً بارزاً في دفع خطر الممالك الأسبانية النصرانية عن الدولة العربية الاسلامية، وكان لهذا وقعه الكبير في نفوس المسلمين عامة، والشعراء منهم خاصة ، و شاعرنا الرصافي البلنسي خصص جزءا كبيرا من شعره لمدح خلفاء الموحدين، فخص عبد المؤمن بن علي بقصيدتين ، فالاولى حاول فيها الشاعر ان يجسد المعاني التي اوردها القدامى الى جانب التأثر بالبيئة، فالممدوح عند الشاعر يجمع كل الصفات التي اعجب بها الشاعر العربي قديما، من شجاعة وكرم وعدل وعفة واباء وغيرها من الصفات .

فالشجاعة تكاد تكون السمة الواضحة التي اكد عليها في قصيدته الاولى، فهذا الخليفة جبار يذيب حتى الحديد، وكأنه يرى في عبد المؤمن ذلك البطل الذي لا يستطيع احد الوقوف امامه مهما كانت قوته وسطوته، يقول: (١)

(١) الديوان : ٩٠ .



وقد رمى نار هيجها بتسعير

من السيوف التي ذابت لسطوته

بل هو السيف اللامع الذي شهر في بلاد المغرب العربي على الاعداء ليكون
جنباً الى جنب مع السيوف المشهورة في التاريخ العربي ونلمح الاشارة هنا الى
سيف الله المسلول خالد بن الوليد، يقول: (١)

بالغرب من افق البيض المشاهير

لبارق من حسام سلته قدر

وشجاعة الممدوح تصل به مرتبة عالية من المجد حتى اصبح في نظرهم
عظيماً لا ينظر الى الصغائر من الامور، لان لديه امور عظام يجب عليه تحقيقها،
يقول: (٢)

يمر فيه بشيء غير محقود

ملك اتى عظما فوق الزمان فما

ويغدق الشاعر صفة التقوى على ممدوحه، فهو الذي يغذي نار الهدى
بالتوهج من اجل هداية البشرية الى دين التوحيد، وهذه التقوى لم تأت من فراغ
وانما جاءت نتيجة لكثرة الصوم في الرمضاء وقيام الليل المظلم بالعبادة، مما كان
سبباً في ظهور هذا النور الى الوجود بعد ان كان مستورا تحت رماد الكفر ومجىء
المهدي ابن تومرت وخليفته عبد المؤمن الذي ينتسب الى العروبة وبالذات الى قيس
عيلان، يقول: (٣)

حوام هاجرة قوام ديجدور

ما زال يقضمهما التقوى بموقدها

قد كان تحت رماد الكفر، مكفور (٤)

حتى اضاءت من الايمان عن قيس

سقط الى زمن المهدي مذخور

نور طوى الله زند الكون منه على

غزو على الملك القيسي (٦) منذور

وآية كايات (٥) الشمس بين يدي

(١) الديوان: ٩٠.

(٢) نفسه: ٩٥.

(٣) نفسه: ٨٨.

(٤) مكفور: محجوب مستور.

(٥) اياة الشمس: نورها الساطع وضوؤها.

(٦) الملك القيسي: هو عبدالمؤمن بن علي لانسابه في قيس عيلان، وكان يقول اذا ذكرت (كومية قبيلة
عبدالمؤمن) التي نسبه الناس اليها: لست منهم وانما نحن لقيس عيلان ولكومية علينا حق الولادة بينهم
والمنشأ فيهم، المعجب: ١٢٧.



ويبدو ان اعجاب الشاعر بهذا الممدوح ليس له نهاية ، فهذا الرجل هو الذي
يحمل لواء التقوى والنسك والزهد وكأن روحه تعيش في عالم الغيب، يقول: (١)
وحيث قامت قناة الدين ترفل في
لواء نصر على البرين منشور
في كف منشمر البردين (٢) ذي ورع
على التقى وصفاء النفس مفطور
يلقائك في حال غيب من سريرته
بعالم القدس مشهور ومحضور
ويصل الشاعر الى المبالغة في اعطاء الممدوح الهيمنة والسيطرة على ما
يحيط به، فلا يوجد شيء في هذه الدنيا ممنوع عنه، فاذا اراده اتى اليه صاغرا دون
عذر او مماطلة، وان أمانيه متحققة لا ريب ، لان سهامه تهتدي الى الهدف ولا
تخطئه، وكان له قوة خفية يستطيع بها السيطرة على امور الدنيا وتسخيرها لامره،
يقول: (٣)

ما عن (٤) في الدين والدنيا له إرب (٥)
الا تأتي له من غير تعذير
ولا رمى من امانيه الى غرض
الا هدى سهمه نجح المقادير
حتى كان له في كل آونة
سلطان رق على الدنيا وتسخير

واختطت القصيدة الثانية سبيلا مغائرا لما عهدناه من الشاعر في قصيدته
السابقة وركز في مطلع هذه القصيدة على الاشارة بفضل الممدوح على الورى فتارة
هو سهل لا تضيق منه الصدور وتارة اخرى هو صحة تجلب الحياة التي عاشت بها
المنابر من خلال قطع الخطبة للموحدين وحماية الثغور من السقوط بأيدي الاعداء
يقول: (٦)

فأيسر ما تضيق به الصدور
اذا كان الذي يعدو مهما

(١) الديوان : ٨٩ .

(٢) منشمر البردين : صفة من صفات النساك : ٩٥

(٣) الديوان : ٨٩ .

(٤) عن : عرض .

(٥) ارب : حاجة .

(٦) الديوان : ٨٠ .



فيالك صحة جلبت حياة
ويظهر الشعور النفسي بالامن والطمأنينة في ظل حكم الممدوح جلياً عند
الشاعر بقوله: (١)

تخلصنا بها من كل هم
وبتنا في ذراها كيف شننا
كأن الليل في يده اسير
فجفن نائم وحشا قرير

ويجعل الشاعر مرتبة الممدوح فوق مرتبة البشر، وان الأعين في نظرها اليه
تكون خاشعة ذليلة والسبب في ذلك هو الإجلال والمهابة التي سيطرت على نفسية
الشاعر، يقول: (٢)

رفعنا نحو مراكم عيوننا
فكاد يصدنا عن مجتلاه
لهن دوينكم نظر كسير
رقيب من مهابتكم غيور

وتتصاعد وتيرة المدح عنده فيعترف بأحقية الممدوح في زعامة الأمور
واقرار الجميع بالطاعة والسيادة له لانه معروف بالحزم وحسن التدبير وسداد
الرأي، فضلا عن الاقدام في الحرب والسرعة الخاطفة في الانقضاض على الأعداء
بواسطة الخيل التي تدرك ما تريد بدون ان يكون هناك مانع يمنعها، الا هذا الخليفة
فهو وحده يتحكم بها، يقول: (٣)

وجذم (٤) في الحلافة مستقر
وحكم تحته امر مطاع
وتدبير يبيت على التمادي
وهيجاء تخطفتم ذويها
بخیل مدركات ما ارادت
تمر على اصالته الدهور
يحط به عن الجيش الامير
من الرأي المصيب له سمير
كما تتخطف الحجل (٥) الصقور
اذا اشتدت (٦) فليس لها فتور

(١) الديوان: ٨١.

(٢) نفسه: ٨١.

(٣) نفسه: ٨٢.

(٤) جذم: الاصل.

(٥) الحجل: طائر في حجم الحمام، احمر المنقار وهو يعيش في الصرود العالية.

(٦) اشتدت: اسرعت.



مصرفة بحكمكم فطورا

تخب^(١) بكم وآونة تطير

ويطنب الشاعر في ذكر الصفات التي يتميز بها الممدوح ومجد في شخصه الاصل العربي والسخاء في البذل والعطاء بل وذهب الى اكثر من ذلك حين لم يجد في هذه الدنيا ما يشبهه من الملوك فهو أعجوبة اتى بها الزمان ونادرة لم تشفع الدنيا بمتلها في ذلك الوقت ، يقول: ^(٢)

فتى من قيس عيلان تلاقى
تضيء به البلاد اذا تجلى
تعرف من منازل المعالي
تشبهت الملوك به وحاشا
فدى لك منهم اعلاق صدق
على سيمانه كرم ونور
وتغرق في مكارمه البحور
كما عرفت من القمر الشهور
وذلك منهم غي وزور
فانك انت واحدها الخطير

وفي نهاية القصيدة نلمس حب الشاعر لهذا الملك عندما حياه بالسلام المحمل بالشوق والذي تفوح منه رائحة المحبة وانه مدين لهذا الملك بالنعمة والطاعة له كانه مملوك بهذين الشيتين يقول: ^(٣)

وبعد، فرار حضرتكم سلام
سلام تحته شوق وحب
مملك طاعة لكم ونعمى
ولكن مثل ما نفح العبير
يخصكم به عبد شكور
هما في الجيد طوق أو جدير

٢- مدح الوزراء والامراء: ويتضمن هذا القسم اربعة قصائد اولها قيلت في مدح محمد بن عبد الملك بن سعيد^(٤) صاحب اعمال غرناطة واشبيلية وسلا وولج في غرض المديح مباشرة مستهلا مطلع القصيدة بإثبات فضيلة الكرم والسخاء

(١) تخب: يقال ، خب الفرس في عدوه ، أي : راوح بين يديه ورجليه ، أي : قام على احدهما مرة وعلى الاخرى مرة

(٢) الديوان : ٨٣ .

(٣) نفسه : ٨٤ .

(٤) هو محمد بن عبد الملك بن سعيد بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر (رضي الله عنه)، ولد سنة ٥١٤هـ بغرناطة وهو صاحب اعمال غرناطة واشبيلية وسلا، توفي سنة ٥٨٩هـ . ينظر: الاعلام عن اصل مراكش واغامت في الاعلام، تأليف عباس بن ابراهيم المراكشي، المطبعة الجديدة بطالعة فاس، ط١، ١٩٦٠ : ٣ : ٤٠ . وينظر : نفح الطيب ٣ : ١٠٠ .



والخاطر المتوقع والذي يشبه النار التي يهتدي اليها أصحاب الحاجات مستفيدا

من قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم موظفا ألفاظها ، يقول: (١)

ابدا تفيض وخاطرا متوقدا

دعها تبت قبسا على علم الندى

نعم اليد البيضاء انس طارق

نار الذكاء على مكارمها هدى

ويجسد الشاعر في هذا الممدوح خصالا حميدة أخرى، منها الحزم والشهامة

والمجد التليد اللامع والحنكة والبصيرة النافذة التي تجعل من المستقبل مشهودا أمام

الانظار التي مكنته من ادارة شؤون البلاد بنجاح باهر، يقول: (٢)

رجل الزمان حزامه وشهامة

وسريه حسبا اغر ومحتدا (٣)

شهم على رأس الدهاء محلق (٤)

لو شاء افرد من اخيه الفرقدا

يستهدف المستقبلات بظنه

فيكاد يصمي (٥) اليوم ما يرمي غدا

ويؤكد الشاعر على الاصل العربي لهذا الممدوح، والذي قد ورث هذا المجد

من اجداده العظام المعروفون بالشرف والعز ، ويكفيه فخراً بأنه منتسب اليهم

يقول: (٦)

واذا ذكرت قبيلة عنسا (٧) فخذ

ما شئت من شرف وغز سرمدا

مات الجدود الاقدمون وغادروا

ارث السناء على البنين مؤبدا

وكفالك منه اليوم أي بـقـية

كرموا لها أصلاً وطابوا مولدا

(١) الديوان : ٥٤ .

(٢) نفسه : ٥٤،٥٥ .

(٣) محتدا : الاصل .

(٤) محلق : يقال : جلق النجم اذا ارتفع .

(٥) يصمي : ينفذ الرمية .

(٦) الديوان : ٥٥ .

(٧) قبيلة عنس : هي احد قبائل العرب ينسب اليها الممدوح .



لقد سما هذا الممدوح عند الشاعر كثير لما تميز به من خلال حميدة جعلته يتفرد عن الآخرين بها، فلا احد يدانيه في الكرم في هذه البلاد. يقول: (١)

قسموا المعالي بالسواء وفضلوا
يا واحد الدنيا وسوف اعيدها
فيها عمادهم الكبير محمدا
مثنى وان اغنى نداؤك موحدا
اما وقد طفنا البلاد فلم نجد
لك ثانيا فكن الكريم الاوحدا

اما القصيدة الثانية والتي جاءت في مدح ابو سعيد وربما كان المعني بهذا المدح عثمان بن عبد المؤمن (٢) الذي تولى اعمال غرناطة في زمن أبيه ، والدليل على ذلك هو نعتة بالفاظ الرئاسة والقيادة وهي نونية من بحر (البسيط) وتقع في ثلاثين بيتا والتي بدا فيها صوت الشاعر مدويا هادرا يهز النفوس المؤمنة ويبعثها من مرقدتها فيدخل الى غرضه دون مقدمات : (٣)

من عاند الحق لم يعضده برهان
ما يظهر اله من آياته فـعلى
وللهدى حجة تعلو وسلطان
اتم حال وصنع الله اتقان
من لم ير الشمس لم يحصل لناظره
بين النهار وبين الليل فرقان

ويبدو لنا جليا ان الممدوح يمتاز بالعقل الثاقب والسيره الحسنة التي مكنته من قيادة ولايته في جميع امورها، يقول: (٤)

عقل وثابت حسن يقضيان معا
ويصرح الشاعر بعلو منزلة الممدوح في اذهان الناس وقلوبهم: (٥)
السيد المتعالي كنه سـؤدده
عما تأول الـبابُ واذهـان

(١) الديوان : ٥٦ .

(٢) عثمان بن عبدالمؤمن بن علي ولي ابوه غرناطة وظل واليا عليها في زمن اخيه ابي يعقوب وهو الذي هزم ابن مرديتش في معركة الجلاب والتي دخل بعدها بنو مرديتش في طاعة الموحدين . ينظر الاعلام في اصل مراكش ٣ : ١٥٠ .

(٣) الديوان : ١٢٧ .

(٤) نفسه : ١٢٨ .

(٥) نفسه .



من رأى حضرته العليا رأى عجا
الملك في الارض والايوان كيوان
واما خلقه فقويم يسير وفق نهج الشريعة الاسلامية لما فيها من دعوة الى
ترك الغضب، والعفو عند المقدرة، يقول: (١)

يقضي عن الذنب عفوا وهو مقتدر
ويترك البطش حلما وهو غضبان
ويمضي الشاعر في تعداد فضائل الممدوح ويركز على امتهانه الادب
كامتهانه الفروسية، فهو فارس في ميدان الادب والشعر مثلما هو بطل صنيدي في
ميدان الحرب، يقول: (٢)

ممن له حد سيف او شبا قلم
شرارة في الوغى والفهم نيران
وفي هذا يعد شاعرنا من أولئك الشعراء الذين يوازنون بلطفة بين السيف
والقلم.

والصفة الاخيرة التي وردت في مدح هذا الوالي هي العدل الذي ملأ الدنيا
فهو خليفة الله في ارضه ينشر العدل، يقول: (٣)

عدلا ملأت به الدنيا فانت بها
بين العباد وبين الله ميزان
وهكذا يكون الرصافي البلنسي قد استوفى صور المدح وهي الكرم والشجاعة
وسداد الرأي والحزم والدهاء... الخ، ولذلك جاءت مدائحه موافقة لما اراده نقادنا
القدامى في هذا اللون من المدح ((ويطمح في الأوصاف الى حيث يلتقي بمناصبهم،
وما انتهت اليه ممالكهم حتى تكون رتبة العظماء منهم ثانياً على رتبة الخلفاء
وتتدرج مراتبهم في ذلك الى ادنى ما يتميز به الملك عن السوقة)) (٤).

(١) الديوان: ١٢٩

(٢) نفسه: ١٣٠.

(٣) نفسه: ١٣٠.

(٤) منهاج البلغاء - حازم القرطاجني، تحقيق ابن خوجه، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦: ١٧.



وتأتي بعد ذلك القصيدتين اللتين قالهما الشاعر في مدح الوزير الوقشي (١) ، فالقصيدة الاولى تقع في ستة واربعين بيتاً من بحر (الكامل) والتي ابتدأت بمقدمة غزلية يتحدث فيها عن الام الهوى والغرام وذكره ايام صباه والتي اصبحت ذكريات جميلة بعد ان تقدم به العمر، يقول (٢) :

فلقد تجدد لي الغرام وان بلي الهوى وتقادم العهد
وإذا خلوت بها تمثل لي ذاك الزمان وعيشه الرغد

ثم يشرع بعد ذلك بتعداد مآثر الممدوح وخصاله، ومنه عراقية الاصل، يقول: (٣)

مستأنفين قديم مجدهم يبني الحفيد كما بنى الجد

والشجاعة والكرم سمتان ترافقان الممدوح، فهو جبل شامخ يجد فيه الخائف الامن والطمأنينة، فهو في مآثره لا يمكن لأحد ان يسبقه فيها، لان هذه المآثر لا نهاية لها أي انها لا تعد ولا تحصى، يقول: (٤)

سترى الوزير ومجده فترى جبلا يلاذ به ويعتد
وترى مآثر لا نفاذ لها بالعد حتى ينفذ العد
ضمن النوال بأن تروح اليه به العيس معلمة كما تغدو

ويمدح شاعرنا هذا الوزير بصفة موجودة في الممدوح الا وهي الكتابة فهو كاتب تتضاعل دون مهارته في الكتابة مهارة أصحاب الرماح يقول: (٥)

خفقت بها في الطرس بارقة حدق القنا من دونها رمد
محمولة حمل الحسام وان خفي النجاد هناك والغمد

(١) الوزير الوقشي: هو احمد بن عبدالرحمن بن احمد الوقشي ابو جعفر نسبة الى وقش وهي قرية بنواحي طلبيرة، قام يامر ابي اسحاق ابراهيم بن احمد بن هشك ظابطاً لاعماله ومصلحاً لاعماله حتى قبل ابن همشك الدخول في طاعة الموحدون سنة ٥٦٠هـ فوجه هذا الوزير وافدا الى مراكش توفي سنة ٥٧٤هـ. انظر الحلة السيرة : ٢٥٧-٢٦٧.

(٢) الديوان : ٥٩ .

(٣) نفسه : ٦٠ .

(٤) نفسه : ٦١ .

(٥) نفسه .



ويصل الشاعر في ختام قصيدته الى التعبير عن الشكر والحب وانه قد اهدى
اليه سورا من الامداح المحكمة، يقول:

سورا من الامداح محكمة
ولعل ما يخفى وراء فمي
من أيهن الشكر والحمد
من وده اضعاف ما يبدو

اما القصيدة الثانية في مدح هذا الوزير والتي تتألف من اثنتين وثلاثين بيتا
ولج في عرض المديح مباشرة وطغت عليها المبالغة المفرطة ، فهي لا تخرج عن
المعاني التي وردت في القصيدة الاولى. (١)

والملاحظ على قصيدتي الشاعر في هذا الوزير المبالغة ومدحه بصفات
متوفرة فيه وهذا ما دعا اليه نقادنا القدامى فقال احدهم : ((واما ما مدح به الوزراء
ومن محلهم من الكتاب فيكون بالعلم والحلم وحسن التدبير وتثمير الاموال، وينبغي
ان يكون المطمح في وصف كل وزير على قدر مستأزره لا يلحق ورتبته لا تسامى
حتى ان مراتب كثير منهم من الملوك العظماء ربما قصرت عن مراتبهم، ثم تتدرج
مراتبهم في ذلك على نحو ما ذكرنا في مراتب الملوك)) (٢).

٣-مدح الاصدقاء (المديح الاجتماعية):

وهو المديح الموجه نحو الاصدقاء والاقارب ، ولدنا من هذا النوع قصيدة
ومقطوعة. فالقصيدة امتدح فيها ابن وهب الذي لم نعثر له على ترجمة وتتألف هذه
القصيدة من تسعة ابيات وقد سار في مقدمتها على منهج القدامى اذ يتحدث عن
الفراق مع الاحبة وتشتت شملهم فيستفهم عن سبب الفرقة وفي هذه المقدمة القصيرة
وظف شيئا من الاثر القرآني في ابياتها ليعبر من خلالها عن فرحته برؤية هذا
الخليل وهو في غرب الاندلس يقول: (٣)

(١) الديوان: ١٢١.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء : حازم القرطاجني : ١٨.

(٣) الديوان: ٣٤.



ولي عند شرقي الرياح لبانة
يقر بعين الغرب ان ترد الغربا
ويصل الى مديح هذا الشخص فينعته بجملة من الخصال الحميدة وهي الكرم
وحسن الخلق، واغاثة الملهوف وانه مطاع في امره يقول: (١)
فتى اريحي الطبع (٢) مهما بلوته
بلوت الكريم الحر والسيد الندبا
مطاع كان الله اعطاه وحده
من الامر ما لم يعطه السبعة الشهب
وتبدو ثقافته الغزيرة واضحة باطلاعه على الشعر العربي وصب المعاني في
قالب جديد.

اما المقطوعة فقد تألفت من اربعة ابيات ونظن انها جزء من قصيدة طويلة
قالها في مدح ابن منصور ويثني على الممدوح ويذكر خلاله الكريمة ونعمه التي
نعنتها بالخضرة لسعتها ، اما كرمه كالعمام وان الشاعر لم يمدحه لاجل الكسب وانما
لاجل الوداد والمحبة والوفاء ، وفي هذا اشارة الى نفسية المادح الابية التي تأبى
التذلل والتكسب بالشعر. يقول: (٣)

واقول ان انا لم افه بثنائكم
ضاعت لكم عندي يد وذمام
اما انا ويد ابن منصور معا
فكما يقال خميله وغمام
نعم له خضر ترنم فوقها
شكري كما ركب الغصون حمام
حسبي من الجدوى ودادك وحده
فهو الغنى لا ما يرى اقوام

فاليد في المقطوعة كناية عن كثرة العطاء. ويمكن ان نلاحظ ان قصيدة
المدح عند شاعرا ظلت محافظة على التقاليد الموروثة من حيث شكلها ومضمونها
ففي مجال شكلها فقد ظلت هذه القصيدة بصورة عامة تسير وفق المنهج القديم من
حيث تعدد الموضوعات وتشعب الأغراض، فهي وان تخلصت من القيود التي
وضعها النقاد القدامى في افتتاح قصائدهم بمقدمات طلية وذكر الديار ثم الغزل ثم
وصف الناقة والرحلة الى المدح (٤)، لكنها تتحرر من التعدد والتنوع واحل مكان

(١) الديوان ، ٣٤ .

(٢) اريحي الطبع : الواسع الخلق .

(٣) الديوان : ٣٤ .

(٤) الشعر والشعراء لأبن قتيبة، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف - القاهرة، ١٩٦١، ط ٢ : ١ : ٧٤ .



هذه المقدمات موضوعات اخرى تناسب طبيعة الحياة والعصر .
اما المضمون فقد ظل هذا اللون من الشعر يطرق المعاني القديمة عند الشاعر من كون الممدوح شجاعا قويا مقداما مدافعا عن حى الاسلام وناصر المظلومين ماحقا للظلال والفساد، جوادا سمحا ذا اصل عريق الى ما هنالك من معاني النبيل التي يضيفها الشاعر على ممدوحه ليجعل منه نموذجا قريبا الى نفسه وخياله، على الرغم من ان الممدوح قد يفتقد الى بعض الصفات او كلها، لكن الشاعر يحاول اسباغها عليه لأنه ((حينما يمدح لا يعني بوصف شخصية الممدوح ولو كان هذا غرضه لوصف محاسنه ومساوئه، ولكنه يحاول ان يرسم صورة شعرية لمثل انساني عال تمليه عليه ظروفه الاجتماعية والطبقية او يربطها بحوادث ونعت في حياته))⁽¹⁾.

وقد ظهر لنا ايضا ان روح المبالغة والتفخيم كانت سمة بارزة طغت على معظم قصائد شاعرنا والتي اخرجت الممدوح من عالم البشر وتجعله شيئا آخر مقدسا مبجلا شبيها بالانبياء والمرسلين يسير الاقدار ويتحكم بالقضاء ، والدافع الى ذلك المدح هو دافع وطني نابع من الحرص الشديد والخوف على الوطن والديار والمدن التي بدأت تتساقط الواحدة تلو الاخرى فهو مدح يدعوا الى الاثارة والهيب الحماس والحث على الجهاد لانقاذ البلاد والمسلمين من الخطر المحدق بهم والرد على هجمات النصارى ودفع اذاهم فهو مدح صادق لا تكسب فيه .

(1) ديوان : محمد بن عمار ، تحقيق د . صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ، ١٩٥٧ م : ٢٤ .



المبحث الثاني

الوصف

الوصف او ما يسمى بشعر الطبيعة بنوعها الساكن والمتحرك من الاغراض القديمة والاصيلة في الشعر العربي منذ بداياته الاولى، ويدخل هذا الفن في الاغراض الشعرية جميعها ويمتزج معها امتزاجا لا يمكن فصله عنها. لأن الغلبة للوصف كما اجمع عليه نقادنا القدامى ، يقول ابن رشيق ((الشعر - الاقله - راجع الى باب الوصف))^(١)، وهو في نظر الادباء يعني ((تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم، وتلوين الآثار الانسانية بألوان كاشفة عن الجمال، وتحليل المشاعر الانسانية تحليلا يصل بك الى الأعماق))^(٢).

اذ يمكن القول بأن الوصف هو محاولة تصوير الاشياء الحية وغير الحية والتعمق في تفاصيلها الدقيقة عن طريق حس الشاعر ووجدانه، فتخرج هذه الاحاسيس والمشاعر على شكل دفقات ونفثات مشبوبة من الشعر يعبر به عما جال في خاطره في قالب بديع السياق متكامل الجوانب يرسمها بالحروف والكلمات، مثلما تفعل ريثة الرسام المتمكن من فنه فيمزج بين الالوان باتقان حتى يضيف على الصورة الحيوية والحركة.

لقد وقف شعراء الاندلس أمام جمال الطبيعة الباهر بألوانه الزاهية يحاول كل منهم بما أوتي من ملكة الشعر والطبع الفطري وغزارة الموروث الشعري وسعة الخيال ليصف كل ما يقع نظره عليه ويتعدى الى ما يحس به ويسمع، وشاعرنا الرصافي الرفاء ابن ببيته تأثر بها تأثرا شديدا نجد آثارها في اشعاره التي تعج

(١) العمدة لابن رشيق : ٢ : ٢٩٤.

(٢) الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم قناوي، مطبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، ط١،

١٩٤٩م:٤٢:١.



بالوصف فلم يترك غرضاً شعرياً الا وادخل معه الوصف ، ونظراً لكثرة الوصف في الديوان ارتأيت ان اقسمه الى قسمين:

القسم الاول - وصف الطبيعة:

وتشمل هذه الطبيعة كل ما على الارض من جبال ووديان وسهول، وهضاب، وانهار وبحار، ورياض، وزهور، واشجار، وتشمل كذلك اجرام السماء وافلاكها، ونجومها وكواكبها وسحبها وغيثها وروعدها وبروقها، وكل ما صنعتها يد الانسان وابتكرته. معنى ذلك هناك نوعان من الطبيعة وهما :

الطبيعة الاعتيادية : ويدخل فيها اجرام السماء وظواهرها، فالاجرام تشمل الشمس، والقمر والنجوم ، والكواكب الاخرى، والظواهر السماوية تشمل الرعد والبرق والغيث والسحاب، والرياح، وما وجد على الارض من جبال وسهول، وهضاب، وبحار، وانهار ورياض وأزهار.

المظاهر الحضارية : وهي الاشياء التي ابتكرها العقل البشري، ومن هذه الاشياء التي تعنينا في شعر الرصافي البننسي ، وصف دولاب، وصف صنوبرة نحاسية، وصف قلم.

وصف الطبيعة في شعر الرصافي البننسي : احتلت الطبيعة الاعتيادية التي ابداع الله صنعها مساحة واسعة في شعره، واجاد فيها بصورة تدعو الى الاعجاب والدهشة من ذلك اللوحة المجسمة التي رسمها للجبل والتي بث فيها مشاعره وأحاسيسه فهو ((يمثل رمزاً للقوة والشموخ))^(١)، وابتدأ القصيدة بأسلوب التعجب ليدل على احساسه الداخلي الذي انفعلت به نفسه، فهذا الجبل عظيم المكانة عنده ، جعل له صفة الكبرياء والرفعة لأن الانف في الانسان تمثل اعلى مناطق الجسم ، يقول: ^(٢)

(١) الاعمى التطيلي دراسة موضوعية : قتيبة ، محمد عويد محمد، كلية التربية ، جامعة الانبار، ١٩٩٩ ك





معظم القدر في الاجيال مدكور
له من الغيم جيب غير مزور
مستمطر الكف والاكناف ممطور

الله ما جبل الفتحين من جبل
من شامخ الانف في سحناته طلس
معبرا بذراه عن ذرى ملك

استطاع الشاعر من خلال الابيات اعلاه ان يصف كرم الممدوح الذي شبهه بالغيث، فكل عضو في جسم هذا الممدوح يفيض كرما وجودا. بعد ذلك ينتقل الشاعر الى اسباغ الصفات الانسانية على هذا الجبل، فهو حكيم، كثير التجارب لكثرة مرور الدهور عليه، فقد تساقطت اسنانه، لم يترك شيئا للأيام الا وأخذه منها بحنكته، هذا الجبل ثابت لا تزعه عوادي الزمن يجول خاطره ويفكر في جنبات الزمن لانه يعرف الماضي ويطل على المستقبل، يقول: (١)

منه معاجم اعواد الدهارير
وساقها سوق حادي العير للعرير
عجيب امرية من ماض ومنظور

وادرد من ثناياه بما اخذت
محنك حلب الايام اشطرها
مقيد الخطو جوال الخواطر في

ثم زاد على تلك الصفات صفة اخرى بأن جعله شيخا وقورا وفي هذا يقترب من ابيات ابن خفاجة في وصف الجبل، ولكنه زاد على ذلك الوصف، بأن جعله كثير السكوت والتفكير، ينتابه الهلع والخوف والحزن المكتوم من مصيره المحتوم في الدك والتسير اللذين اشار اليهما القرآن الكريم، يقول: (٢)

بادي السكينة مغفر الاسارير
خوف الوعيدين من دك وتسيير

قد واصل الصمت والاطراق (٣) مفتكرا
كأنه مكمد (٤) مما تعبده

وفي معرض تصويره لهذا الجبل يمتزج المدح بالوصف لتكتمل لديه الصورة التي طبعتها في ذهنه، فهذا الجبل حصل على الفضل العظيم لنزول عبد المؤمن

(١) نفسه : ٩٣ .

(٢) نفسه:

(٣) الاطراق : السكون.

(٤) مكمد: المحزون، الكمد: الحزن المكتوم.



عليه، وسيحصل على الشفاعة يوم قيام الساعة فلا يتعرض للدك والتسيير للذين
اشار اليهما القرآن الكريم، لأن امام الموحدين مدفون بالقرب من هذا الجبل، يقول:
(١)

كفاه فضلا ان انتابت مواطنه
مستثنأ بهما ربح الشفاعة من
نفلا مليك كريم السعي مشكور
ثرى امام بأقصى الغرب مقبور

ويمزج الشاعر بين الخمرة والطبيعة بوحى من هذه الطبيعة، وليالي السعد
في احضانها الزاهية، اذ يحلو النسيم وتطيب الخمرة. ((ولهذا قلما وجدنا شعرا في
وصف الطبيعة لا يرد فيه ذكر للمرأة او اشارة الى الخمرة))^(٢)، فهو قد رسم
للبرق صورة تشبه السيف في بريقه عندما تتكاثر الغمام، ويرسم للروض صورة
يشبهاها بصورة الطاووس الجميل الذي تداعب ريشه الرياح، ويريد بذلك ما يتمتع به
الروض من الوان مختلفة جاءت من ازهاره المتنوعة الاشكال والالوان، يقول: ^(٣)

ادرها فالغمامة قد اجالت
وراق الروض طاووسا بها
سيوف البرق في لمم البطاح
تهب عليه انفاص الرياح
ثياب الغيم معلمة النواحي
تقول وقد ثنى قرح عليه

فالمقطوعة كما رأينا قد حشد فيها الشاعر صورا متراكبة متلاحقة عامدا
الى الاكثار من التشبه دون ان يشكل ذلك خلا في التأثير على الصورة الكلية،
والمقصود بذلك رسم لوحة للطبيعة الجميلة التي تعاطى فيها الشاعر شرب الخمرة ،
ويستمر في رسم الطبيعة التي شرب فيها الخمرة حين وصف الغمام الضاحك،
والبرق الوامض والرياح التي تحرك مياه النهر مشبها اياها بوطأة اقدم الجياد
لدروع القتال، يقول: ^(٤)

ادرها على امن فما ثم من بأس
وان حددت اذانها ورق الآس

(١) الديوان : ٩٣ .

(٢) ملامح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق: ٢١٠، دار الشروق - بيروت، ١٩٧٥ .

(٣) الديوان : ٥٢ .

(٤) الديوان: ١٠١ .



وما هي الا ضاحكات غمائم
ووفد رياح زعزع النهر مدة
لواعب من ومض البروق بمقياس
كما وطئت درعا سنابك^(١) افراس

ويظهر الشاعر براعته في النقل والتصوير فيرسم لنا صورة الشفق وهو بقيه ضوء الشمس وحمرتها بعد وقت الغروب بصورة هلال يتلاشى شيئاً فشيئاً ويحاول ان يقرب الصورة فيشبهها بصورة اخرى وهي صورة النسر الذي يحاول اقتلاع ضلع القتيل، ونلاحظ على هذه الصورة طابع الحزن والتشاؤم لأن الشاعر جاء بأوصاف توحى بالتشاؤم والحزن، فاحمرار الشفق يذكر بالرحيل وكثرة الدماء، يقول :^(٢)

بدا الشفق البادي بعيد اصيل
وفي عرضه الاقصى هلال كانما
يجرر بالأفاق حمر ذيول
يجرر منه النسر خلع قتيل

ولم يحصر الشاعر رؤيته الثاقبة على منظر من مناظر الطبيعة، وانما جمع في لوحته العديد من المناظر والصور شأنه شأن غيره من الشعراء الاندلسيين، اذ ((يخيّل لمن يطلع على شعرهم في هذا الاتجاه انهم لم يغادروا شيئاً مما وقع عليه بصرهم في ارضهم وسمائهم، الا وقفوا امامه وصوروه في شعرهم تصويراً يريك ظاهره اكثر من باطنه))^(٣)، قال^(٤) يصف عشبته:

وعشي رائق منظره
قد صرفناه على صرف الشمول
كان الشمس في اثنائه
الصقت الارض خدا للنزول
والصبا ترفع اذيال الربى
ومحيا الجو كالسيف الصقيل

وتعد الانهار عنصراً هاماً من عناصر الطبيعة، فلولاها لانعدمت الحياة، لذلك وصفها الرصافي الرفاء وصفاً فاق به الشعراء السابقين وسجل له قدم السبق بشهادة الابداء والمؤرخين قديماً وحديثاً، فابن البار يقول ((ان التولع بهذه الابيات جعلها تتكرر

(١) سنابك : طرف الحافر.

(٢) الديوان : ١١٥

(٣) الادب العربي في الاندلس، د. عبدالعزيز عتيق : ٢٨

(٤) الديوان : ١١٨



على شفاه الناس انشادا وترديدا حتى عام ٦٤١ هـ^(١)، وقال عنها د. مصطفى الشكعة ((ان البنسي الرصافي الرفاء يتأنق تأنقا بالغاً في وصف النهر، ويوفق توفيقاً معجباً فيما خلغ عليه من تشبيهه وبما اسبغ عليه من الوان^(٢)، يقول: ^(٣)

ومهدل الشطين تحسب انه
فاعت عليه مع الهجيرة سرحه
متسيل من دره لصفائه
صدنت لفيئتها صفيحة مانه
كالدارع استلقى بظل لوائه
فتراه ازرق في غلاله سمره

فما اجمل هذا النهر الذي تدلت الاغصان على شطيه فمدت ظلها عليه فبدا ماؤه وكأنه ينبع من درة بيضاء ناصعة تشبه الصفحة اللامعة التي ظهر عليها الصدا، راسما بذلك صورة تعبيرية بالغة الدقة لهذا النهر، وهي صورة النهر وجريانه بين الاشجار التي مدت اغصانها اليه والتي تشبه صاحب اللواء الذي نام بظل هذه الراية للراحة والاسترخاء.

اما الثمار فقد كان لها نصيب في شعر الرصافي البنسي ومنها التفاح الذي بالغ كثيرا في وصفها والمتأمل لهذا الوصف يجد الحس المرهف، والنفسية الشفافة فيصور الشيء البسيط بشيء اجمل منه واعظم، فهذه الثمرة تمثل عنده خدين احمرين ممثلين حيوية ونضارة لامرأة جميلة، اما طعمها فيشبه نكهة شفتيها، ثم استعار لها صفة الحياء ليعطي بذلك ابعاد الصورة الكلية وهي (صورة المرأة الجميلة التي ينتابها الخجل فتحمر له الخدود)، يقول: ^(٤)

تفاحة اهديت اليه
هم بتقبيلها فزارت
حمراء في لون وجنتيه
فاه على رغم مقلتيه
دعني اسل اسى عارضيه
نكهتها طيب مرشفيه
تصرف انفاسه اليه
بالله يا زهرة محجربة
لعله قد اعاد يوما
فباكرته على حياء

(١) المقتضب من تحفة القادم : ٥٨ .

(٢) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه : ٣١٦ .

(٣) الديوان : ٣٢ .

(٤) نفسه : ١٣٢ .



لقد ادخل الشاعر الوصف في جميع الاغراض الشعرية، ومنها وصف الطبيعة الذي جاء ممتزجا مع المدح فوصف جواد الممدوح بصفات الاصاله والجمال ، فهذا الجواد هو وسيلة الممدوح في بلوغ المعالي والوصول به الى سلم المجد، يقول: (١)

ولذاك خضت الليل فوق مكرم
يدري الاغر اذا خفضت عنانه
لم اعد بي وبه العلا والسوددا
اني سأبلغه من الشرف المدى

وتأتي الاخوانيات مع الوصف ليعبر فيها عن الشوق والحنين، فمنظر البرق وقوة لمعانه، وتساقط الماء من السحاب ومنظر الروض كلها تثير فيه الاحساس بالشوق والفراق، يقول: (٢)

على حين راح البرق في الجو مغمدا
وجالت بعيني في الرياض التفتاة
على سطر ضيري ذكرتك فانثني
يميل باعناق ويرنو بأحداق
ضباه، ودمع المزن في حفته راق
حبست بها كأسي قليلا عن الساقي

ويختلط وصف الطبيعة مع الرثاء ليغرس في نفس المتلقي مكانة المرثي، فالرياض التي نبتت فوق سطح الارض قد ماتت بسبب الحزن على هذا الفقيد، ويدعو له بالسقيا لارتباطها بالرحمة ، يقول: (٣)

وكم فوق الثرى من روض حسن
سقاك ولا اخص رباب مزن
جرى نفس الاسى فيه فذابا
لعل ثراك قد سئم الربابا (٤)

ويصف شوقه وحنينه الى ديار الاهل والاحبة في نجد غرناطة (٥) وهو مكان جميل تكثر فيه الحدائق والمنتزهات فيزواج بين وصف الطبيعة والحنين الى ديار الاهل والاحبة مبتدئاً القصيدة بالدعاء متسائلا عن سبب الفراق الذي حل بهم فيجيب نفسه، بان الدهر الذي فرق بينه وبين ممن يحب ، ويحاول ان يوطن نفسه على

(١) الديوان: ٥٦،٥٧.

(٢) نفسه: ١١٣.

(٣) نفسه: ٣٨.

(٤) الرباب: السحاب.

(٥) نجد غرناطة: هو مكان في غرناطة.



الفراق الابدي، لأن العمر لم يعد فيه ما يعيد تلك العلاقة مكتفيا بذكر الايام السالفة،
يقول: (١)

سقى العهد من نجد معاهدة بما يغار عليها الدمع ان تشرب القطر را
فيا غينة الجرعاء ما حال بيتنا سوى الدهر شيء فارجعي نشتكى الدهرا
نقضت حياة العيش الا حشاشة اذا سألت لقياك عللتها ذكرا

ومن النماذج التي جاء فيها الغزل مقترنا بوصف الطبيعة، وصف طول ليل
العاشقين وما يقاسيه العشاق من الهم والوجد، يقول: (٢)

كما قلت ما بالي ارى الليل سرمدا والا فلم لا ينجلي بنهار
يقولون طال الليل والليل لم يطل وهل فيه بين للعاشقين تماري
اذا جن ليل الحب لم يدر نائم به ما يقاسي هاتم ويـداري

٢- وصف المظاهر الحضارية: وهي الاشياء التي ابتكرها الانسان وتشمل:

أ - وصف الدولاب: هو عبارة عن آلة من الخشب تستخدم لارواء الحقول
والبساتين والحدائق وفي حركتها تصدر اصواتا تشبه الانين، هذه الاصوات كانت
مثيرة لقرائح الشعراء، وحفزت فيهم روح الابداع والابتكار الشعري والتجديد،
وعمقت لديهم الاحساس بالجمال، وبرز الاهتمام بوصف الدواليب في عصر
الموحدين ((واول من قال فيها الرصافي البلنسي)) (٣)، وهذا الشاعر بوصفه
شاعر الابداع والابتكار كان سباقا في التعامل مع هذه الالة الجامدة، واستطاع
بحسه المرهف وخياله الواسع ان يضيف على الدولاب صفات انسانية بل
ووجدانية، فراه عاشقا يبكي بدموع حزينه لفراق الاحبة ومن حوله الرياض
تضحك لبكائه، وتفرح لحزنه، وله جفونا حادة كالسيف وهو غمدها، يقول: (٤)

وذي حنين يكاد شجوا يختلس الانفس اختلاسا

(١) الديوان : ٧٤ .

(٢) نفسه : ٨٥ .

(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس : ١٤٣ .

(٤) الديوان : ١٠٠ .



قال لها المحل : لا مساسا
بأدمع ما رأين بأسا
صار لها غمده رئاسا

إذا غدا للرياض جارا
تبسم الزهر حين يبكي
من كل جفن يسيل سيفا

ب - وصف صنوبرة نحاسية: وصف الشاعر الروض الجميل الرائق في منظره عند مرور النسيم فجلا بمروره صدأ العين ورق صفحتها، وفي وسطه ركبت صنوبرة نحاسية يجري الماء في سيقانها والتي تشبه في التواءها الافرعى العظيمة التي تتعلق صغارها بها ، يقول: (١)

نسيم تجارى على مشربه
عليه فخاضت حشا مذنبه
بها الماء قد جد في مسكبه
وافرخه يتعلقن به

وروض جلا حدا العين به
صنوبرة ركبت ساقها
فشبهتها وانابيبها
بأرقم كعك من شخصه

ت - وصف قلم : وهو وسيلة الشعوب في التقدم والرقي ، ومن لا يعرف هذه المكانة الرفيعة له وقد اقسم الله تعالى به، فقال ((ن والقلم وما يسطرون)) (٢)، فمن هذا المنطلق استلهم الشاعر هذه المعاني السامية، فراح يصف القلم بأوصاف جميلة ومؤثرة تليق بهذه المكانة، فعلى الرغم من قصر انبويه لكن في نفاذه في الشئ يفوق نفاذ الرماح الطويلة، وفي حركته على الصحيفة البيضاء عندما تمتلئ بالحبر فانه يبدد الظلمة ويزيل الجهل كالصباح حين يجلو ظلمة الليل فبفضله زالت الصعوبات وسهلت الامور، يقول: (٣)

يطول مضاء طوال الرماح
ودب من الطرس (٥) فوق الصباح
ولان له الصعب بعد الجماح

قصير الانابيب لكنه
إذا عب م النفس (٤) في دامس
تجلت له مشكلات الامور

(١) نفسه : ٤٩ .

(٢) سورة القلم الآية ١ .

(٣) الديوان : ٥٣ .

(٤) النفس : الحبر .

(٥) الطرس : الصحيفة البيضاء .



وله قطعة نثرية^(١) يصف بها القلم امتازت بقصر العبارة وتكثيف الفكرة صب فيها جزء كبيرا من ثقافته الدينية والتراثية والمتأمل لهذه القطعة يجد القلم فيها ((مفتاح الحياة)).

(١) ينظر: الديوان : ٥٣ .



القسم الثاني : وصف المهن وما يتعلق بها: ويحتوي هذا القسم على طائفة من المهن التي كان الناس يزاولونها في الاندلس في ذلك العصر، ومنها:

١ - صفة الرفاء: يظهر الشاعر نوعا من البراعة في وصف اصحاب هذه المهن وتبدو على اشعاره الرقة والسلاسة ومن تلك اللوحات الجميلة التي رسمها لنا صورة ((الفتى الرفاء)) الذي يشبهه بالطبي في حسنه وجماله، ومن ثم يعقد مقارنة لطيفة بينه وبين الغزال، فهذا الفتى الجميل يمسك بفيه خيوط الحرير مثلما يمسك الغزال نبتة او زهرة العرار، لقد ملك هذا الفتى القلب واحتل دارا اخرى الا وهي الروح والعقل ثم داعيا له بالقدسية في أي مكان يحل فيه، يقول: (١)

وبنفسى من اسميه الا	بعض المامه وبعض اشارة
هو الظبي في الجمال سواء	ما استعار الغزال منه استعارة
اغيد يمسك الحرير بفيه	مثلما يمسك الغزال العراره
ما بقلبي حوته منه ضلوعي	كالرجاء انطوى وفيه شرارة
داره القلب وهو يحتل اخرى	قدس اله حيثما حل داره

٢ - صفة الصفار:

ان انصراف الشاعر الى وصف المهن واصحابها فيها دعوة لتشجيع هؤلاء الناس على الكسب الشريف، لانه يمثل احد اصحاب هذه المهن، فهذا الفتى الصفار الذي يجعل من النحاس شيئا يشبه الذهب الخالص، ويعمد ذلك الى تفصيل مراحل تحويل هذا المعدن الى مادة صافية تشبه الذهب عن طريق السبك والضرب والمدّ ويحاول في البيت الاخير اظهار جمال هذا الفتى فحمرته وجهه دلالة على الحياء وصفرته دلالة على الخوف من العتب والتقريع، يقول: (٢)

تعلم صفارا فلقت : استعارها	غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا	بكفيه عند السبك والمد والضرب
فحمرته مشتقة من حيائه	وصفرته مما يخاف من العتب

(١) الديوان : ٧٨ .

(٢) نفسه: ٤٣، ٤٢ .



وفي المقطوعة الثانية التي قيلت في وصف صفار ايضا، يظهر الشاعر شيئا من براعته في التصوير والنقل فيشبهه هذا الصفار بالسيف الصقيل الذي ظهر عليه الصدا لكثرة اشتغاله بهذه المهنة، ويشبهه عيون القطر بالذهب المصقول بعد ان يستعير له الانامل الحديدية كدليل على قوته، ويرى الشاعر ان لهذا الصفار نورا متللاً واضحا يشبه ظهور القوي الجسد على الضعيف وبدا في بيته الاخير عارفا بالظواهر الطبيعية كالكسوف، فجمال هذا الفتى وان اختفى في ظلمة الابخرة والادخنة للحظات قليلة فانه سيظهر حتما مثل ظهور الشمس عندما يذهب عنها الكسوف، يقول: (1)

ولم ار مثل صفار تصدى	كما صدى الصقيل من السيوف
غدا يعطو بانملي حديد	عيوان القطر كالذهب المشوف
اذا ما النار مجتها (2) اليه	كمثل الجمر رائعة الخفوف
تلأ نوره فخبأ سناها	كما ظهر القوي على الضعيف
والا مالها تر يد سودا	كان شموستها قطع الكسوف

٣ - **صفة الحائك** : وفي وصفه ((لغلام حائك)) يفتح القصيدة بالغزل المذكر ، فهذا الحائك يحمل كل صفات الجمال فهو ذا ثغر عطر تميل شفثيه الى السواد ومقلته ساحرتان وبهذا يشبه الغزال الصغير وهي صفات جمالية أنثوية لكن الشاعر اعارها لهذا الحائك جريا على عادة الشعراء في التغزل، ومن ثم يصل الى غرضه الرئيس وهو وصف المهنة او يذكر ادوات الحياكة وهي الغزل والمحواك والسدى. يقول: (3)

قالوا وقد اكثروا في حبه عذلي	لو لم تهم بمذال القدر مبتذل
فقلت لو ان امري في الصبابة لي	لاخترت ذاك، ولكن ليس ذلك لي
علقته حبيبي الثغر عاطره	الذى المقبل احوى ساحر المقل
اذا تأملته اعطاك ملتفتا	ما شئت من لحظات الشادن الغزل
هيهات ابغى سواه في الهوى بدلا	اخرى الليلي وهل في الحب من بدل

(1) الديوان : ١٠٨ .

(2) مجتها : رمى بها

(3) الديوان : ١١٦ .



من يحسن الفرق بين الحلي والعطل
بنانه جولان الفكر في الغزل
على السدى لعب الايام بالدول

اما يعاب عليه شغل راحته
غزبك لم تزل في الغزل حائلة
جدلان تلعب بالمحواك انمله

٣ - المحارب :

والرصافي البلنسي لم يترك ميدانا الا وترك فيه اثر له، فهو كما اجاد في ميدان السلم اجاد ايضا في ميدان الحرب، ففي وصفه ((المحارب)) يعطينا لمحة عن صفات هذا الانسان الذي يختال بدرعه في ساحة الوغى، فالاختيال لا يكون في ساحة القتال وانما في ميدان السلم، ولكن الشاعر استعملها في معنى الحرب ليدلل على شجاعة الموصوف، ونرى عنده وصفا قد يكون غريبا هو تشبه السيف بالبحر لكثرة سفكه للدماء، فلو شاهدت هذا المحارب وهو يحمل السيف بيده فانك سترى بحرا من دماء الشجعان تسير في نهر صغير اراقها هذا السيف. فهذا المحارب بطل شجاع لا يهاب الموت، يقول: (١)

يختال في درع الحديد المسبل
بحرا يريق دم الكماة بجدول

لو كنت شاهده وقد غشي الوغى
لرأيت منه والقضيب بكفه

صفة العازف:

وفي عالم الطرب والغناء يعلن الشاعر شيئا من مكنونات نفسه الخفية فيصف لنا ذلك الشخص الذي امتهن الغناء بأوصاف بديعة رشيقة، فهذا الشخص الذي يمس الالة الموسيقية باطراف اصابعه قد افاض لحنا شجيا جعل الحمامة تترك صغارها في الوكر للاستماع الى هذه الالان الشجية على الرغم من حملها الطعام في منقارها لهؤلاء الصغار، يقول: (٢)

(١) الديوان : ١١٩ .

(٢) الديوان : ١٠٠ .



لحنا افاض عليه ماء وقاره
طربا ورزق بنيه في منقاره

ومطرح مما تجس بنانه
يثنى الحمام فلا يروح لوكره

صفة النجار :

واتجه الشاعر الى وصف حرفة النجارة فقرن هذا الوصف بشيء من التغزل
ايضا فشبهه بالطبي حين يتبع القطيع من الغزال ويصور هذا النجار من الاعماق
فلجمال مقلتيه اثر على القلب الذي تعلم هذه المهنة، ثم يعطي لهذه الجمادات صفة
انسانية وهي اقتراف الذنب، لانها سرقت قوامها من معاطفه، يقول: (١)

كما عن ظبي السرب يتبع السربا
تعلمها من نجر مقلته القلبيا
فأونة قطعاً وأونة ضربا
بما استرقته من معاطفه ثوبا

يقولون لي يوما وقد عن حانزا
تعلم نجارا فقلت لعلمها
شقاوة اعود تصدى لجهدا
غدت خشبا تجني ثمار جنانه

صفات اخرى :

صفة زنجي:

ومما يتصل بالمهن واصحابها ووصف اشكال الناس واحوالهم، فمن
اللوحات الجميلة التي رسمها لنا الشاعر لشكل الزنجي الذي صعد الى شجرة اللوز
المنورة وهم في مجلس الخمرة، وفي هذا المجلس وضح نوعا من آداب المجالس
وهو عدم التثرثرة والكلام بدون سبب وان لا يتكلم الا اذا طلب منه ذلك. فعندما قيل
له صف هذا الفتى وصفه بوصف دقيق مؤثر عذب، مشبها سواده بالليل الذي طلع
بالنجوم، مستخدما بذلك التكتيف والاختصار، يقول: (٢)

وفي كاستنا بنت الكروم
فقلت: الليل اقبل بالنجوم

وزنجي الم بنور لوز
فقال فتى من الفتيان صفه

(١) نفسه : ٣٥ .

(٢) الديوان : ١٢٦ .



ومن الحالات الانسانية التي وصفها الشاعر ((وصف صبي يتباكى)) الذي يجعل من ريقه على عينيه ليوهم الناس بالبكاء، فيخلع عليه سمة العذار ((وهي من السمات الجمالية التي احبوها في وجوه الغلمان))^(١) فيشبهه بالغصن الناعم في تمايله وهو ساحر بجماله ودلاله، عينه كالزهرة في جمالها، ثم يستعير منظرا من مناظر الطبيعة الزاهية، فبكاء هذا الصبي عمدا يشبه ابتسامة الزهر وتفتحه، يقول: ^(٢)

عذيري من جذلان بيدي كآية
اميلد مياس اذا قاده الضبا
ياضلعه مما يحاوله صفر
الى ملح الادلال ايده السحر
ويحكي البكا عمدا كما ابتسم الزهر
يبيل مآفي زهرتيه بريقه

ومما يدخل ضمن هذا الموضوع اقصد (وصف المهن) واصحابها وصف السمات الجمالية في وجه الانسان وهي (العذار والخيالن) التي رآها الشعراء جميلة مشرقة في وجوه الغلمان ومن الصور الطريفة التي رسمها شاعرنا الرصافي ، يقول: ^(٣)

اقوى محل شبابك آهل
فأقمت اندب منه رسما عافيا
مثل العذار هناك تويًا دائرا
واسودت الخيلان فيه اثافيا

فهاتان العلامتان تذكرانه بالحبيب وعهد الصبا والشباب ، وبهذا يكون الرصافي البنسي قد استكمل صور الوصف فوصف الطبيعة بادق واجمل الاوصاف والتي تجعله في مصاف الشعراء البارزين في الوصف واطهر نوعا من التجديد في هذا الموضوع لاسيما في وصف الدولاب والنهر. فكل ما وقع عليه نظره وصفه ببراعة .

(١) الوصف في الشعر الاندلسي عصر الطوائف ، اطروحة ماجستير، رياض كريم، جامعة بغداد ١٩٨٨ : ٧٣.

(٢) الديوان : ٧٩.

(٣) نفسه : ١٣٣.



المبحث الثالث الاخوانيات

هي لفظ مأخوذة من الاخ، ((وهو المشارك الآخر في الولادة من الطرفين او من الرضاع، ويستعار في كل مشارك غيره في القبيلة، او في الدين، او في مودة، او غير ذلك من المناسبات))^(١). من خلال ما تقدم يمكننا القول بأن الاخوانيات في مدلولها اللغوي تشتمل على معاني الصداقة والرفقة والعشرة والمصاحبة والمخالفة، فضلا عن دلالتها على النسب والقرابة. اما مدلولها الاصطلاحي فهو لا يختلف كثيرا عن مدلولها اللغوي، لذلك توسع الكثير من الباحثين في تحديد هذا المفهوم، يقول الدكتور مصطفى الشكعة ((هذا اللون من الشعر يصور العلاقات الاجتماعية بين الشعراء وممدوحهم او بينهم وبين اصدقائهم واحبائهم ففيه التهنئة والاعتذار، وفيه العتاب والشكوى، وفيه الصداقة والود، وما الى ذلك من المعاني الاجتماعية الواسعة التي تربط بعض الناس بعض))^(٢).

ويعرفها الباحث النجدي ((بأنها تنظم مظاهر العلاقات الاجتماعية بين الناس من تأييد واستهداء ، ومكاتبات... فهي مظهر من مظاهر المجتمع وتعاطفه))^(٣). نستنتج من كل ذلك ان شعر الاخوانيات هو شعر وجداني يمثل الاواصر الاجتماعية ويصورها في ميدان الاخوة والصداقة في مختلف اشكالها ومعانيها، متضمنا صورا من المودة والاخاء والاعتذار والتهنئة والعتاب والشكوى.

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسن بن محمد بن المفضل الملقب بالزغب الاصفهاني، المكتبة المرتضوية ١٩٦١م: ١١.

(٢) فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨١م : ٢ : ٣٨٢.

(٣) الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث للهجرة، احمد جاسم النجدي، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٧٣ : ٣٤٢.



لقد حدد بعض الباحثين طلائع شعر الاخوانيات الى القرن الثاني الهجري^(١)، وهذا لا يعني ان هذا الشعر غير موجود في الشعر العربي قبل هذه الحقبة وانما ((وجد هذا الشعر مقرونا بالعلاقات الاجتماعية منذ عصر قبل الاسلام، لأن الانسان يميل بطبيعته الى اخيه^(٢) .

وبما ان الشعر الاخواني شعر انساني يجسد العواطف الانسانية فانه دافع للانسان ومحركاً لعواطفه تجاه الاخوة والاصدقاء لذلك كله فانه احتل مساحة واسعة في الشعر الاندلسي، ولما عرف عن الرصافي البننسي من حبه للأصدقاء ووفائه لهم، فقد كانت له امسيات ومجالس يجتمع فيها مع اصحابه، وعندما يفتقد احدا يكتب له القصائد الطوال يذكر فيها شوقه ومودته وحتى الذين فارقوا الحياة فانه يرى جزءا من الوفاء لهم ان يذكرهم في شعره، وفي بعض الاحيان كان هذا الوفاء سببا منعه من العودة الى موطن الصبا لأن الأصحاب قد انتقلوا من هذه الدنيا الفانية ، يقول في ذلك: (٣)

ولم اطو عنها الخطو هجرا لها، اذا
ولكن اجلالا لتربتها التــــي
اكارم عاث الدهر ما شاء فيهم
هجو ع ببطن الارض قد ضرب الردى
فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا
تضم فتاة الندب او كهلهما الحرا
فبادت لياليهم فهل اشتكى الدهرا
عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

لقد برزت الاخوانيات غرضا مستقلا في شعر الرصافي البننسي اذ بلغ عددها سبع قصائد وعددا من المقطعات، افتتح القصيدة الاولى وركز في مقدمتها على معنى الوفاء، ويبدو ان الشاعر قد تلقى كتابا من صديق له يكنى بأبي الحسن، فهذا الصديق يحمل خصالا حميدة طيبة، حركت احساسه ، وما كان ذلك الاحساس بسبب تلك الريح العذبة التي حملت معها ذكريات الماضي المعطرة بنسمات المسك

(١) ينظر الشعر والشعراء في البصرة خلال القرن الثالث الهجري، احمد جاسم النجدي، ١٩٧٣ : ٢٣٤ .

(٢) الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول، رمضان صالح عياد، رسالة ماجستير ، كلية التربية - جامعة

بغداد، ١٩٨٩ : ٨ .

(٣) الديوان : ٧١ .



الفواح وبذلك اراد ان يعطي للوفاء بعدا انسانيا لما يتصف به الصديق من صفات تصدر عن موقف انساني يقدس تلك العلاقة ويحرص على ديمومتها، يقول: (١)

اتتني من تلك السجايا بنفحة
وما ذاك الا ان عرف تحية
هزرت لها في الحي عظمي من عجبني
تصدى بها الركب المغرب غدوه
نفضت بها مسكا على الشرق والغرب
فقلت: امن دارين (٢) مدلج (٣) الركب؟

اما الفكرة الثانية في القصيدة فقد دارت حول معنى المودة، فمحبته لهذا الصديق راسخة ثابتة فلسانه لا يفتر عن ذكره وقلبه نبت فيه الود، فثمر هذه العلاقة الحميمة بينهما، يقول: (٤)

سينشق عن نور الوداد بها فمي
فقد انبتت لك ما في قلبي

فالمودة هنا ((تجاذب روحي خفي بين طرفين قوامه المحبة)) (٥). وتطالعنا الفكرة الثالثة في القصيدة وهي الاعتداد الذي هو ((وسيلة تربوية قائمة على المحبة والوئام من خلال تجنب التضاد ومحو الاحقاد والضغائن التي تفرق بين المتحابين ويفضي الى اعادة الصلة والالفة وذلك اسما ما يسعى اليه الانسان)) (٦).

فالشاعر يعتذر لصديقه بعدم قدرته على زيارته باسلوب لطيف، فزيارته واجبة ويقرنها بفريضة الحج، فلو حصلت هذه الزيارة لهذا المنزل الواسع لكانت له حجة فكأنه يبرأ من الذنب الذي ارتكبه بحق صديقه كما يبرأ الحاج من ذنوبه عند اكماله هذه الفريضة، والحج اراه باعنا على الشوق والحنين عند الاندلسيين، وفكرته

(١) الديوان : ٤٠ .

(٢) دارين: مكان في البحرين يجلب اليها المسك من الهند.

(٣) مدلج: السير في الليل.

(٤) الديوان : ٤١ .

(٥) الاخوانيات في الشعر الاندلسي من عصر الطوائف حتى افول الحكم العربي، عباس احمد سالمين، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، ٢٠٠١م : ٧٥٠ .

(٦) شعر العتاب والاعتذار في القرنين الثالث والرابع الهجريين : ٩، محفوظ فرج ابراهيم، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٨٨م.



جاءت لما تحتله هذه الفريضة من منزلة واسعة في نفوسهم، استخدمها الشاعر كوسيلة مساعدة ومقنعة في الاعتذار لصديقه، يقول: (١)

خلا ان حالا لو قضت بتفرغي
لقت له ما بين اعلام رية (٢)

الى لازم من حج منزلك الرحب
وبين حما وادي الاشاء (٣) من الترب

ويختتم القصيدة بالدعاء لأخيه وصديقه بالسقيا والخير والنماء، يقول: (٤)

وبعد فلا يعطش ابا الحسن الحيا
بلادك والتفت عليك حلى الخصب

ويلهج الشاعر في قصيدته الثانية بالشكوى ويسأل عن سبب البعد او الفرقة التي ابعدهما عن بعض فيعاتبه على هذا الجفاء الذي استمر عشر سنين، ويرجع السبب في هذه الغيبة الى حظهما المتعثر الذي منعهما من اللقاء، ويبدو انه يخلق هذا العذر ارضاء لصديقه، يقول: (٥)

يا عمرو ابن عمير من كدى يمن
طول ارتحال واحظ غير طائلة

لقد هوت بك يا عمرو الرياح وبي
وغيبة ناهزت عشرا من الحقب

ثم تفيض مشاعره الذاتية فيحاول استنطاق الجمادات، فحتى هذه الصخرة البيضاء تؤجج فيه بواعث الشوق والحب، فيطلب من مقلتيه ان تبقى ناضحة الدموع سائلة عن هذا الصديق الذي اصبح تحت الثرى موحا في ذلك بعض مفردات الرحلة في المقدمات التقليدية، يقول: (٦)

ايه عن الكدية البيضاء ان لها
هو يقلب اخيك الواله الوصب

(١) الديوان: ٤١ .

(٢) ريه: كورة من كور الاندلس، في فيلى قرطبة، نزلها جند الاردن من العرب وهي كثيرة الخيرات، ينظر صفة جزيرة الاندلس للحميري ، نشرها ا. لافي بروفنسال، مطبعة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٣٧، ترجمة رقم (٨١).

(٣) الاشاء: صغار النخل وبه سمى المكان (الاشاء) او وادي آش وهو مدينة بالاندلس قريبة من غرناطة . ينظر صفة جزيرة الاندلس، ص ١٩٢ .

(٤) الديوان : ٤١ .

(٥) نفسه : ٤٣ .

(٦) نفسه : ٤٤ .



راوح بنا السهل من اكنافها وارح
واضح جوانبها من مقلتيك وسل
ركابنا ليلها هذا من التعب
عن الكتيب الكريم العهد في الكتب

لقد تحمل الشاعر المشاق والاذى من اجل صديقه فلواه لم يقتحم هذه الصحراء الموحشة ويسير في ظلمة الليل، فهو لم ينم الليل بسبب البكاء الذي يراه دينا في عنقه. وفي هذا يظهر مشاعر الوفاء الطيبة لتكون واحدة من القيم المستخدمة نحو صديقه ، يقول : (١)

لولاك ياسرح لم نبق الفلا عطلا
ولم نبت نتقاضى من مدامعنا
من السرى، والدجى خفاقة الطنب
دينا لتربك من رقراقها السرب

ويستمر هذا النفس الحزين الى نهاية القصيدة فهو دائم السؤال عن هؤلاء الراحلين حتى الشجر في الحدائق الجميلة يحاول سؤاله لكن دون جدوى فلم يبق اثر من محاسنهم الا فيما يروى عنهم من ذكر حسن في كتب الماضين، يقول: (٢)

سل خميلتك الريا بأية ما
عن فتية نزلوا عليا سرارتها
كانت ترف بها ريحانة الادب
عفت محاسنهم الا من الكتب

والقصيدة الثالثة كانت جوابا لرسالة شعرية بعثها اليه الشريشي (٣)، هذه الرسالة أثارت في الشاعر الاحساس بالشوق واللهفة لرؤيته، فاعتزازا بصداقته لهؤلاء سمى قصيدته بالرأية لجمالها ورقة الفاظها والتي تشبه الدر المنتظم او الزهر المتفتح الذي تتضوع منه الرائحة الطيبة، يقول: (٤)

حباني على بعد المدى بتحية
برانية لم ادر عند اجتلائها
ارى غصني رطب المهز بها نظرا
هي الدر منظوما ام الزهر مفترا

(١) نفسه : ٤٥ .

(٢) نفسه : ٤٥ .

(٣) هو ابو الحسن ابن ليال الشريشي، اسمه علي بن احمد بن علي بن فتح ، سمع صحيح البخاري على شريح واخذ عنه القراءات وروى عن ابي بكر بن عربي، تولى القضاء في بلدة شريش، له نظم ونثر (٥٨٣هـ) انظر ترجمته في المغرب : ١ : ٣٠٧ .، التكملة لابن الابار (ترجمة ١٨٧٤).

(٤) الديوان : ٧٥ .



وفي القسم الثاني من القصيدة يبرز الصراع النفسي عند الشاعر ، فتنزاعه نفسه اليهم ويغالبه الشوق فهو يقاسي الم البعد والفراق، ويصل بشوقه الى درجة الهيام، يقول: (١)

اعندكم انا نبيت لبعدكم وكل يد منا كبد حـرى
ومن عجب انا نهيم بقربكم ولا زور الا ان نلم بكم ذكرا

ويميل الشاعر في ابيت السابع والثامن الى نوع من التعليل الطريف ليكون مدخلا للاعتذار ، فالشاعر امنيته وامله في هذه الحياة ان يلتقي بهؤلاء الاحبة، ولكن لا يستطيع لعدم قدرته الجسدية فاستعار لها ((الاجنحة التي لا تستطيع الحركة والطيران)) ثم ويظهر توسلاته وتمنياته بأن اعظم حاجة يقضيها له الدهر هو اللقاء، لكن هيهات لان وقت الصبا قد ولى وذهب ، ويحاول في البيت التاسع استعطاف الدهر دون جدوى، لأن البعد والشيب قد خيما عليه، يقول: (٢)

نؤمل لقيامكم وكيف مطارنا بأجنحة لا نستطيع لها نشرا
فلو أب ريعان الصبا ولقاؤكم اذا قضت الايام حاجتنا الكبرى
فان لم يكن الا النوى ومشيبنا ففي أي شيء بعد نستعطف الدهرا

ويتفنن الشاعر في بث اشجانه في ثنايا قصائده كما لاحظنا سابقا فقد خرج من معنى الشوق الى الاعتذار وبعدها الى الاستعطاف، ومن ثم اتجه الى مزج المدح بالاخوانيات وهو ما يسمى بالمدح الاخواني الذي لا يخضع لرهبة ولا رغبة... والذي يقوم على علاقات صادقة وشعور تمتاز فيه المحبة والاعجاب بعيديا عن المراءات والمبالغات ((٣). فهذا الفتى طلق الوجه يتهلل بشرا عند اللقاء، وبهذا نلمس الاثر الاسلامي المغروس في نفسية الشاعر الذي لا يصاحب من اجل مصلحة دنيوية، يقول: (٤)

(١) نفسه : ٧٦ .

(٢) نفسه : ٧٦ .

(٣) الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول : ٤٨ .

(٤) الديوان : ٧٦ .



فهل من فتى طلق المحيا محبيب
تحدثكم عنا اسرة وجهه
والقصيدة الاخوانية الرابعة كانت جوابا لرسالة شعرية ايضا بعثها اليه ابو
عمر ابن حربون (١) مطلعها:
لله ما هاج لمع البارق الساري
على فؤاد غريب نازح الدار (٢)

تحدث الرصافي البنسي في مطلع قصيدته عن اهل شلب (٣)، وامتدحهم
بالفصاحة وقول الشعر وكأنهم عاشوا في البادية لا في الامصار وهو احد معاني
الاخوانيات الاجتماعية، يقول: (٤)

وارض شلب وما شلب وان ولدت
عرف التحاور من تلقاء السنتم
يلقون بالقول موزونا وما قصدوا
غمار ناس فناس غير اغمار
كانما انشأوا في غير أمصار
كأن ذلك منهم عقد إضمار
ويكثر الشاعر لفظة الاستزادة والاستنطاق ليسمو بمنزلة هذا الصديق عنده
فهو يعظمه ويجله ويأخذ الشاعر عهدا على نفسه بصفاء المودة لهذا الانسان
ويؤكداه بالقسم يقول: (٥)

ايه وهل مع ايه يا ابا عمر
وغير عقد صفاء قد قسمت لكم
من تحفة غير اعظام واكبار
معينة بين إعلان وأسرار
وهذا عين الوفاء الذي يجب ان يكنه لصديقه فهو مخلص له في سره وعلانه
ثم يظهر عتبه على هؤلاء القوم (اهل شلب) وهو معنى اجتماعي يخص ذلك
المجتمع لانهم تغافلوا عن جارهم الفقير، لقدرتهم مساعدة هذا الانسان، مقدماً

(١) ابن حربون : هو ابو عمر احمد بن حربون شاعر من شعراء الدولة الموحدية. ينظر زاد المسافر لابن
صفوان ترجمة رقم (٤٢).

(٢) الديوان : ٩٧ .

(٣) شلب : مدينة من مدن الاندلس تقع بالقرب من مدينة ياجه وهي فسيحة المنزهات وارضها واسعة
وهي تقع بين قرطبة واشبيلية . ينظر الروض المعطار : ٣٤٢ .

(٤) الديوان : ٩٧، ٩٨ .

(٥) نفسه : ٩٨ .



النصيحة لصديقه الفقير بأن لا يتكل على الآخرين لأن الناس فيهم الخبيث والطيب يجعل القناعة زاده لأن رزقه مقدر ومقسوم، وان يجد في طلب الرزق، وبهذا دلالة واضحة على نفسه الايماني، يقول: (١)

ما بالهم رقدوا في لين عيشهم
والحر اكثر ما يزري بحاجته
صون الفتى وجهه ابقى لهفته
عن جارهم وهو محبوس باقتار
توسط من خبيث النفس خوار
والرزق جار على حد ومقدار

وعالج الشاعر في قصيدته الخامسة معنى ذاتيا خالصاً الا وهو ((يوم الفراق))، وهو متأني من احساس الشاعر بانقطاع الوصل واللقاء، يتولد منه الم في نفسه ويصاب بحالة من الهلع والخوف (٢).

فحين ودع صديقه الكتندي (٣) احس الشاعر بالمرارة والالم واحتدم الصراع النفسي لديه فهو لم ينس الايام الجميلة التي قضاها معه بين الربى والاشجار، يقول: (٤)

لقد بان عني في يوم ودعت صاحب
اقول لنفسي حين طارت بك النوى
فباتت على ظهر النزوع اليكم
الى كم ابا بكر نحو بانفس
كان لم تر تلك الربى وكأنها
ولا رنقت تلك الاراكة فوقنا
برىء اساليب الوداد من انقص
اخوك فريشي من جناحك او قصي
تطير بما في الوكر اجنحة الحرص
ظماء الى عهد الاجيرع او حمص
عرانس ترعاها المواشيط لانص
بلوث ازار الظل في كفل الدعص (٥)

(١) الديوان : ٩٨،٩٩ .

(٢) ينظر الغربية والحنين في الشعر الاندلسي، محمد احمد حاجم، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة بغداد،

١٩٨٣ : ١٢٢ .

(٣) ابو بكر الكتندي هو :

(٤) الديوان : ١٠٣ .

(٥) الدعص : الكتب الصغير من الرمل.



اما القصيدة السادسة فقد جاءت في المدح الاخواني وهذا المدح يمتزج بوصف الطبيعة فهذا الحبيب قد ترافقت دعوته وقت الغروب الذي يشبه المريض الذي يقضي لحظاته الاخيرة ، وهذه الصورة تبدو قاتمة حزينة ولكن الشاعر واقع فيها تحت تأثير الطبيعة الساحرة التي ذكرته بخيله الذي يكن له الاخلاص والمودة وان علاقته صافية عذبة بصفاء الضمير الخالي من الحقد والكرهية، يقول : (١)

دعاك خليل والاصيل كانه

عليل يقضي مدة الرمق الباقي

الى شط منساب كانك ماؤه

صفاء ضمير او عذوبة اخلاق

ويبلغ به الشوق والحنين حدا لا يستطيع معه الصبر فيطلب منه الوقوف لأن

الشوق قد شغفه ، يقول : (٢)

على سطر خيرى ذكرتك فانثني

يميل باعناق ويرنو بأحداق

فقف وقفه المحبوب منه فانها

شمائل مشغوف بمرآك مشتاق

والقصيدة الاخيرة وهي السابعة ركز فيها على معنى المعاني الانسانية العامة الا وهو النصح والارشاد، فهو يخاطب صديقه الذي سمع كلام الوشاة وينصحه بعدم سماع قول هؤلاء الناس الذين توسعوا في ذمه، لان مكانته سامية في قلبه، هذه المكانة التي تتاهز منزلة الاقمار ، فالقمر سواء كان هلالا او بدرأ لا يقلل ذلك من علوه ومكانته بين الكواكب في بداية الشهر ، ويحاول ان يضرب مثلا آخر الا وهو (ان الفضة لا تتأثر بالضرب او السبك وليس هذا مهانة او ذل لها وانما هو رفع من قيمتها، وان ميل النجم الى الغروب لا يقلل من منزلته وعلوه ، يقول : (٣)

من الدهر بالاحرار بالغ [في] الهضم

ويبلغ ضر القوس من قبل السهم

فقد تطرق السراء في ليله الهم

واسهرني فوق القتاد(٤) تقلب

رجال شجنتي بالسماع على النوى

تهاون بما تخشى وبت متسليا

(١) الديوان : ١١٢-١١٣ .

(٢) نفسه : ١١٣ .

(٣) نفسه : ١٢٥-١٢٦ .

(٤) القتاد: شجر له شوك.



مكانك ما تدريه من افق العلا
فخذ مأخذ الاقمار في النقص والتم
اما المقطعات من الشعر الاخواني فقد مال فيها الى التكتيف والاختصار ،
فالمقطوعة رقم (٢٣) فيها فكرتان:

اما الاولى فهي الوداد الذي يكنه الشاعر لصديقه ويؤكد بأن هذا الود صاف
لا تشوبه شائبة مهما بقي او تطاول هذا الصديق في البعد.

واما الثانية فهي الوفاء ، فالبعد اختبار للصدق والوفاء لصديقه، فكرم العهد لا
يكون على اتمه ولا يتبين صدقه الا بالبعد. يقول: (١)

لك الود الذي لا ريب فيه
وان بقيت نواك على التماذي
اذا كرمت عهود المرء طبعا
فأكرم ما يكون على البعاد

وينصح صديقه ابا علي بن كسرى (٢) بملازمة العلم واعطائه الاولوية في كل
شء لأنه يعرف منزلة العلم والعلماء كيف لا والله تعالى كرم بني آدم به، لأن نيل
العلم في نظره يؤدي الى الشاعرية، وهو شء غير حقيقي في الحياة ، بل مبالغة
من الشاعر، يقول: (٣)

اجعل العلم اولاً
واجعل الشعر آخرأ
فاذا ما فعلت
كنت لاشك شاعراً

ومن المعاني الاخوانية الاخرى التي وردت في شعر الرصافي البنسني هو
اسداء الشكر وهو معنى يرتبط بالابعاد الاجتماعية لهذا الشعر، فالشاعر يقدم شكره
وثناءه الى صديقه الممدوح لأنه حصل على زيارة هذا الشخص وتزود من كرمه
ويجد ذلك جزءاً من الوفاء، لأن هذا الثناء سيخلد الانسان في ذاكرة الزمن، يقول: (٤)

(١) الديوان : ٦٢ .

(٢) ابو علي بن كسرى: هو الحسن بن محمد بن علي الانصاري يكنى ابا علي ويعرف بابن كسرى كان
متقدما في حفظ الادب واللغة وشاعرا مجيدا، روى الشعر عن ابي عبدالله الكتندي وابي عبدالله بن غالب
الرصافي ، توفي بمالقة سنة ٦٠٣ هـ. الاحاطة م ٤٤، ٤٦٩-٤٧٥ .

(٣) الديوان : ٧٩ .

(٤) نفسه : ٥٨ .



مغناك زار ومن نذاك تزودا

ان كان يقنعك الثناء مخلدا

فاليك شكري تحفة من قادم

وعلي توفية الثناء مخلداً

بعد هذه الرحلة الممتعة مع شعر الاخوانيات عند الرصافي الرفاء البنسي والتي اجاد فيها اجادة موفقة في هذا الضرب من الشعر اذ استوعب في قصائده جميع معاني الاخوانيات ومنها:

١- المعاني الانسانية والتي شملت عند الشاعر المودة والوفاء، والنصيحة.

٢- المعاني الاجتماعية: تضمنت معاني العتاب والاعتذار واسداء الشكر والثناء .

٣- المعاني الذاتية: وذكر فيها الشوق والحنين ولحظة التوديع.

ومن خلال تلك المعاني لقد برزت لهذا الشعر الميزات الاتية :

أ- ان الشعر الاخواني عند الشاعر يمثل اتجاهاً شعرياً بارزاً صور لنا جوانب مختلفة من حياة المجتمع الاندلسي في هذا العصر، ويمكننا ان نجعله غرضاً مستقلاً، وجاء في اكثر الاحيان على شكل رسائل شعرية.

ب- امتاز هذا الشعر عند شاعرنا بالجودة والحسن كما سنبينه في دراستنا الفنية.

ت- غلبة القصائد على المقطعات في شعر الشاعر وقد تميزت هذه القصائد بطول النفس، اما المقطعات فقد امتازت بالتركيز والايجاز.

ث- نزعة عاطفة الشاعر نزعة صادقة لانها صدرت عن علاقة طبيعية واقعية مردها الاعجاب والحب والوفاء والتقدير.

ج- لقد ترك الشعر الاخواني لهذا الشاعر اثراً ممتعاً وطيباً في النفس لأنه ذو اطار انساني واجتماعي واسعين، فهو يخاطب النفس الانسانية من جوانب مختلفة.

ح- لقد وافق هذا الشعر عند الشاعر المعاني التي جاء بها الاسلام الحنيف في الحث على سلوك اخلاقي مثالي وادبي تربوي... مما يتيح التقارب بين النفوس الواعية المخلصة لسلوك الطريق الذي يؤدي الى سعادة أبناء المجتمع الواحد.



المبحث الرابع ((أغراض أخرى))

١- الرثاء :

غرض شعري قديم وبارز في ادبنا العربي، عرفه الانسان منذ ايقن بعدم قدرته على الخلود والبقاء . وان مصيره الموت والفناء لا محالة. لذا أخذ الناس ليكون موتاهم بكاءً يصور حزن الانسان على اخيه الانسان، ويبيكي نفسه من خلاله لأنه سيؤول الى المصير نفسه الذي آل اليه اخاه. ويتخذ الرثاء الوانا ثلاثة وهي:

اللون الاول : الندب ((هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والالفاظ المحزنة التي تصرع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، اذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين في النحيب والنشج وسكب الدموع))^(١).

اللون الثاني : التآبين ((مدح الميت والبكاء عليه))^(٢)، ويوافق الدكتور شوقي ضيف على ذلك ويقول ((اصل التآبين الثناء على الشخص حياً او ميتاً، ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط))^(٣)، فهم لا يظهرون حزنهم على هذا الميت فحسب وانما الاشادة بخصاله الحميدة.

اللون الثالث: العزاء هو ((مرتبة عقلية فوق مرتبة التآبين... ينقذ الشاعر من حادثة الموت الفردية التي هو بصدها الى التفكير في حقيقة الموت والحياة. وقد ينتهي به هذا التفكير الى معان فلسفية عميقة))^(٤).

ويمكن القول بأن الندب مرحلة التهاب المشاعر المحزنة ويكون وقته عند اللحظات الاولى التي يفقد فيها الانسان ويفارق هذه الدنيا، اما التآبين والعزاء فهما مرتبتان تأتيان بعد حادث الموت . وتكون فيها العاطفة الانسانية اقل مما هي عليه

(١) الرثاء، تأليف لجنة من ادباء الاقطار العربية. القاهرة، ١٩٥٥م : ١٢ .

(٢) امالي اليزيدي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، الهند ١٩٤٨م : ١٨ .

(٣) الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م : ٥٤ .

(٤) نفسه : ٦ .



في مرحلة الموت لأن وطأة الحادثة تبدأ تخف على الانسان. ولقد اختلف الشعراء حسب طبيعة الموقف والاثر الذي خلفه الموت في نفسية الشاعر، فالرثاء الذي يصدر عن الرغبة والطمع في نيل الهبات والعطايا يظهر فيه التكلف وتفنقده فيه العاطفة الصادقة، وهو ما يسمى بالرثاء الرسمي كرثاء الخلفاء والوزراء والقواد والكتاب^(١)، واما الرثاء الذي يصدر من قلب متفجع اكتوى بنار الفراق والالم فنراه يترك في نفوسهم جراحات عميقة، وينم عن عاطفة صادقة جياشة تجاه الاهل والاحبة والاصدقاء وهو يسمى بالرثاء الخاص^(٢).

ولما كان الرصافي البلنسي من اولئك الشعراء الذين يأبون تسخير قرائحهم لمطامع او مكاسب آنية في سبيل الحصول على الهبات والعطايا، فقد اتجه في رثائه الى الغرض الخاص والذي شمل عنده رثاء الافراد والاصدقاء والكتاب والشعراء فعنى برثاءه شخص يدعى عبد الله ويبدو من قصيدته انه كان مقربا الى الشاعر او صديقا له، فقد وصف عيشه قبل فقد هذا الشخص بانه عيش هانىء سعيد، لكن تقطع هذا العيش حينما فقده فخيم الحزن على مخيلة الشاعر مما ادى الى التهاب النا في قلبه وخرج هذا الدفق من المشاعر الحزينة على شكل قواف حزينة مضيئة من قلبه المحترق لوعة والما مشبها اياها بالشهب التي تحترق في الليل المظلم والتي تولد ضوئا ساطعا ، يقول: ^(٣)

تصرم حين لذا وحين طابا
لعهديك كرة والدهر يابى
عليك لكل قافية شهابا

وكنت العيش متصلا ولكن
وشيبيني انتظاري كل يوم
الام اشب من نيران قلبي

ويندبه ندبا تظهر فيه العاطفة الصادقة والاحاسيس الجياشة التي تغص بها نفسه المحزونة فقلبه مليء بالاحزان والعبرات والدموع الغزار وهذا الليل في قبحه يشبه ظهور الشيب في رأس الانسان الذي يدل على قرب الاجل والمصير المحتوم،

(١) ينظر الرثاء في الشعر العربي، مكتبة الحياة، ط١، بيروت ١٩٨١، ص ٣٢، ٤٧.

(٢) نفسه.

(٣) الديوان، ٣٦.



وهذا الدمع المنسكب من عينيه يزيد جوانحه التهابا واشتعالا، فجمع الضدين في هذا البيت لان الماء يطفىء النار لكنه في البيت يزيدا سعيرا، ويرى الشاعر في اجتماع هذين الضدين شر ما يلاقيه وما يتعرض له قلب الانسان، يقول: (١)

وليل اسي كصبح الشيب قبحا
تزيد به جوانحي اتقادا
وشر مكابدات القلب حال
اكابده سهادا وانتحابا
اذا زادت مدامعي انسكابا
يرك الضد بينهما انتسابا

ويصل الى موقف العزاء، فعزائه في هذا الميث انه صاحب علم الذي كان سببا في اغنائه عن العودة لأن الانسان ينقطع عمله الا من ثلاثة اشياء ومنها العلم النافع فهو قد نسي الرجعة الى الدنيا لأنه استغنى بعلمه واكتفى بما لقيه من هذه الغنيمة، يقول: (٢)

لعلك والعلوم مغنيات
نبتت هناك بالغنم الا بابا

ويدعوا لهذا المرثي بالسقيا وهي عادة اعتاد عليها الشعراء القدامى ((وكثيرا ما كان الجاهليون يدعون لموتاهم بالسقيا)) (٣)، واصل السقيا انها من الماء، والماء هو حياة للكائن الحي وفي نفس الوقت فان السقيا للارض هي حياة، اما السقيا للميت فهي رحمة، والسقيا لقبر المرثي جاءت من طريقين، الاول: الجفون وهو كناية عن كثرة تساقط الدموع على المرثي، والثاني: السحاب، ويعني تساقط قطرات المطر على قبر المرثي والجامع بين الصورتين هو نزول الماء، يقول: (٤)

سقاك ولا اخص رباب مزن
ولكن ما يسوغ على التكافي
فاني ربما استسقيت يوما
لعل ثراك قد سئم الربابا (٥)
لقبرك ان يكون له شرابا
لك الجونين : جفني والسحابا

(١) الديوان: ٣٧.

(٢) نفسه.

(٣) شعراء الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية د. مصطفى الشوري، الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٣، ص ١٨٧.

(٤) الديوان: ٣٨، ٣٩.

(٥) الرباب: السحاب.



ويؤبن الشاعر هذا المرثي فيذكر شمائله وخصاله الحميدة التي تخجل دموعه لملوحتها ان تسقي ثرى ذلك القبر، وهذه الدموع الحمراء التي لا تتقطع تحير مرتابة في محاجره لا تود اصابة ذلك الثرى، ثم يتمنى ان يتحول ذلك المسك الاسود غيما وان يجول على ضريح هذا المرثي وان يهطل عليه، ويزاحم هذا المسك دموعه فيخترق الثرى ليصل الى ذلك الجسد فهو المكان اللائق به، يقول: (١)

فتخجل من ملوحتها دموعي	اذا ذكرت شمائلك العذبا
تكاد على التتابع وهي حمر	تحير في محاجري ارتيابا
فليت احم مسك عاد غيما	فحام على ضريحك ثم صابا
وزاحم في ثراك الدمع حتى	يشق الى مفارقك الترابا

والملاحظ على هذه القصيدة ان الشاعر استخدم الالوان ليعبر عما يختلج في نفسيته واللون الاحمر هنا كناية عن احمرار الجفن لكثرة تساقط الدموع، اما الاسود الذي استخدم للمسك فهو دلالة على الغيم المحمل بالمعطر.

ورثي الرصافي البنسي صديقا له يدعى (يوسف) بثلاث مقطوعات تجلى فيها صدق العواطف والمشاعر الحزينة التي جعلت من قلب الشاعر يقطر دماً، فيختار منظرا من مناظر الطبيعة الزاهية وهو الورد الاحمر الذي يذكره بيوسف فصبغة الورد الحمراء هي من بقايا ما تنتجه الارض من دم هذا القتل، الذي تظهر على خده حيوية ونضارة الشباب وكأنه وردة تعج بالعطر الفواح ، يقول: (٢)

يا وردة جادت بها يد متحفي	فهى لها دمعي وهاج تاسفي
حمراء عاطرة النسيم كأنها	من خد مقتبل الشبية مترف
عرضت تذكري دما من صاحب	شربت به الدنيا سلافة قرقف (٣)

(١) الديوان: ٣٩.

(٢) نفسه: ١٠٩.

(٣) قرقف: خمر لانها تقرقف شاربها أي ترعده.



ويصور في مقطوعته الثانية حزنه وبكائه على هذا الشخص فيجسم منزلته في نفس الشاعر فحتى هذه الدنيا الواسعة قد تلطخ ترابها بدم هذا الانسان الذي سقط والدم ينتثر منه، ويحزن كثيرا بل ويبكي ويتأسف لان هذا الثرى لم يشرب دموعه لملوحتها، يقول: (١)

تساقط مرفض الرشاشة فاغتدت به ساحة الدنيا مضمخة الترب
ومن اسف الدنيا بكائي ليوسف وما لثراه في دموعي من شرب

اما المقطوعة الثالثة فلم تخرج عن معاني المقطوعتين السابقتين وهو يصور فيها حزنه ما الم به من جراء فقد هذا الشخص فقلبه مجروح ينزف دما (٢).

والقصيدة الاخيرة للرصافي البننسي هي في رثاء احد الادباء وهو ابو محمد بن عبدالله المالقي (٣)، والتي وظف الشاعر فيها جزءا كبيرا من ثقافته التراثية والدينية ومعرفته بالتاريخ الادبي قبل الاسلام ، فأبّن في مطلع قصيدته الخسارة التي لحقت المجتمع من جراء فقد هذا الاديب البارع، فيذكر بمكان العرب الادبي ((وهو سوق عكاظ)) وكذلك يذكر ((قيس بن ساعدة الايادي)) الخطيب المفوه ليدل من خلال ذلك على مكانة المرثي الادبية والتراثية والتي عجز البيان وانشق لسانه امام بلاغته وفصاحته. ويستمر على هذا النفس الحزين في تجسيم خسارته للفقيد ورفع منزلته، فهو سماء عالية ، وشهاب هاد، وكوكب وقاد، وسيف قاطع، يقول: (٤)

ابني البلاغة فيم حفل النادي هبها عكاظ فأين قس أيا
اما البيان فقد اجر لسانه فيكم بفتحة الحمام العادي
عرشت سماء علاكم ما انتم من بعد ولكم الشهاب الهادي
حطوا عند الطريق فقد خبا للألاء ذاك الكوكب الوقاد
ما قل لهذمه الصقيل وانما نشرت كعوب قناكم المناد

(١) الديوان : ٤٢ .

(٢) نفسه : ٥٢-٥٣ .

(٣) هو محمد بن عبدالله بن ابي العباس الجذامي المالقي ، كان فقيها ادبيا برع في النثر والنظم، وقد مدح

عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف توفي سنة (٥٦٢هـ). ينظر : ادباء مالقة : ١٠٧-١١٠ .

(٤) الديوان: ٦٣ .



ويخرج الشاعر أحاسيسه الحزينة على شكل نفثات حزينة من اعماق نفسه الشجية مستخدماً بذلك الألفاظ الموحية فيحاول استنطاقه والاستزادة منه مطلقاً على المرثي لقباً ادبياً رفيعاً وهو ((عميد الحي)) لما تمتع به من منزلة علمية وادبية مرموقة جسدها حين شبهه بعقد المسك المنظوم، ثم جسد الحزن في مظاهر متعددة ولاسيما مظاهر الكون والزمان كأنه فقد شخصاً عزيزاً فظهر ذلك الحزن من خلال الليل وشدة ظلامه وارتدائه ملابس الحداد وكأنه يشير بانجمه الى ما تركه هذا الفقيد في البلاغة والادب وما اختطته يده ، وفي هذا تصوير لحجم ما خسره المجتمع بسبب فقد هذا الشخص، يقول: (١)

ايه عميد الحي غيره مدافع	ايه فدى لك غابر الامجاد
ما عذر سلك كنت عقد نظامه	ان لم يصبر بردا الى الأباد
حسب الزمان عليك كلا ان يرى	من طول ليل في قميص حداد
يوميء بانجمه لما قلده	من در الفاظ وبيض أياد
كثف الحجاب فما ترى متفضلاً	في ساعة تصغي به وتنادي

ويصل المطاف بالشاعر الى مرتبة العزاء فيصور الموت على انه مصير لا مفر منه وانه قد ازدحم بأرجل القاصدين وانه يفني في كل يوم الكثير من الخلائق وهو يريد ان يؤكد حقيقة وهي ان الموت قد كتب على كل ما في هذا الكون، لقد كان لرحيل هذا الاديب سبباً في امن الاعداء وارتياح الحاسدون منه ليؤكد في ذلك شجاعته وسطوته ومكانته اللائقة في المجتمع، يقول: (٢)

المم بربعك غير مأمور	غصّ الفناء بأرجل القصاد
خبراً يبلغه اليك ودونه	امن العداة وراحة الحساد

(١) الديوان : ٦٣ .

(٢) نفسه : ٦٤ .



ويبوح بتلك الحقيقة المرة التي تنتظر الانسان والتي ينساها في هذه الحياة بسبب مغريات الدنيا وهي وضعه في تلك الحفرة الضيقة الخشنة التي تشبه حرف الصاد في انحنائها وتساءل هل هذا المكان هو اللائق بهذا الشخص؟ يقول (١)

اخشن به من مرقد موساد

اموسدا تلك الرخام بمرقد

من جوفها مثل حرف الصاد

خصت بقبرك حفرة فكانها

لقد اراد الشاعر ان يوطن نفسه على الفراق الابدي، فيتمنى ان يكون شعره جنة لهذا المرثي في رحلته الطويلة ويفتديه الشاعر بابيه وليؤكد بأن الوفاء متأصل فيه حتى بعد موت هذا الصديق، ويمتدحه فيجعل منه سيفا قد كثرت حمائله، ويدعو على حامله بالذلة لانهم وضعوه في القبر. وفي هذا يؤكد على ان الرثاء هو مدح لكنه يرد فيه لفظ يدل على ان الممدوح ميت كما يقول صاحب العمدة (٢)، يقول: (٣)

والحال مؤذنة بطول بعاد

يا ليت شعري والمنى لك جنة

أم لانقضاء نواك من ميعاد

هل العلا بك بعدها من نهضة

كثرت حمائله على الاكتاد

بأبي وقد ساروا بنعشك صارم

شاموك (٤) في غمد بغير نجاد

ذلت عوائق حاملك فانهم

ويؤبن الشاعر في ختام قصيدته في المرثي صفات الكرم والسيادة والشرف وان مكانه سيبقى خاليا لا يمكن ان يسد حتى من الاخوة والاولاد، اما افضاله على الناس فلا تعد ولا تحصى ولولاه لما ارتفع واشتهر الكثير من الناس بعد ان كانوا مغمورين، وهو معين لا ينضب حتى بعد وفاته يمد يد العون لمن يطلبها، يقول: (٥)

سلبتكم الدنيا واي نضاد (٦)

ابني العباس أي حلال (٦)

قدرا فاقصد ايما اقصاد

هل كان الا العين وافق سهمها

(١) الديوان : ٦٤ .

(٢) العمدة: لابن رشيق، ٢ : ١٤٧ .

(٣) الديوان : ٦٥ .

(٤) شاموك : غمدوه او وضعوه .

(٥) الديوان : ٦٥ .

(٦) حلال: السيد الكريم .

(٧) نضاد : اراد النضد وهو الشريف من القوم .



بالاخوة النجباء والاولاد
منها على الاضباع^(٢) والاعضاد

اخلل بمجد لا يسد مكانه
ما زلت تنعّتها يسبيك^(١) قابضا

www.alkottob.com

(١) السيب : العطاء او الكرم.

(٢) الاضباع: اراد من الضبع وهو وسط العضد.



٢ - الغزل :

هو فن من الفنون الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن احساسه ومشاعره الفطرية التي وجدت مع الانسان منذ بدء الخليقة. وينبع من شعور شخصي ذاتي فيكون صادقا بعدي كل البعد عن التكلف والصنعة.

والغزل عند الرصافي البنسي قد حظي باهتمامه الواسع ، وقد جسده من خلال القصائد والمقطعات التي اوقفها على هذا الموضوع فضلا عن جعل الغزل مقدمة لبعض قصائده المدحية، وهو لم يقتصر في غزله على المرأة وانما تغزل بالمذكر، ولذا سيكون حديثي عن هذين القسمين:

أ - الغزل بالمرأة :

ان قصائد الشاعر ومقطعاته الغزلية بالمرأة تدل على شاعرية متأصلة، ويبدو انه لم يحب امرأة في حياته لأننا لم نجد في غزله اسم فتاة احبها واكثر من ذكرها في شعره الغزلي، كما فعل الشعراء الآخرون، لكننا نرى في شعره براعة واسعة على تمثيل دور المحب ، فبأسلوبه الرقيق الذي يسحر القلوب من خلال التشبيب بمحاسن المرأة وجمالها، يقنع القارىء تمام الاقتناع بأن شاعر صادق في حبه يقاسي الوجد واللوعة.

لقد استند الشاعر في غزله على بعض المعاني المشرقية، فنجد الحرقرة والشكوى في مقطعاته مع محاولة وضع هذه المعاني في قالب جديد بديع السياق متكامل الجوانب فيتحدث عن وداع حبيبته في ليلة شديدة السواد تتلألأء نجوم سمائه بزرقها الوضاعة، لقد احترق قلبه شوقا في هذه اللحظة ووضع يده على قلبه لكي لا يخرج من مكانه يتبع ذلك الحبيب فضاقت الحياة على الشاعر بما رحبت وتأرجح عيشه بين مرفوض ومقبول، يقول: (١)

(١) الديوان: ٥١، ٥٢.



والجو ازرق وقاد المصابيح
على حشا بسموم الشوق ملقوح
والعيش ما بين مذموم وممدوح

في ليلة سدكت بالارض فحمتها
ودعته وكلانا واضع يده
ما طببت بالعيش نفسا بعد فرقتها

ويظهر الاتجاه الحسي في غزل الشاعر واضحا جليا، في مقطوعته التي تبرز فيها روح المغامرة الغرامية، فنزول الثريا الى المغيب كانت بداية هذه المغامرة الغرامية، فقد نال الشاعر من حبيبته العناق والضم والتي سماها ((اخت البدر)) لجمالها وحسنها، لكن لحظات الغرام لم تدم طويلا فقد انبلج ضياء الفجر الذي كان نذير الشؤم والفراق والانفصال والذي انهى لحظات الوصال والقرب التي اختلست تحت جنح الليل، يقول: (١)

والثريا تشم ريح الوقوع
عبقا في قميصه المخلوع
بت من اخته مكان الضجيع
جلب الفجر ساعة التوديع
تنفض الطل احمرًا من دموع

طرقت مطلع الثريا وولت
تحت جنح من الدجى اورثته
ايها الليل هل درى البدر اني
امكنتني من العناق فلما
عمدت بردها بغض وقامت

وهو في هذا لا ينسى المزاجية بين الغزل وعناصر الطبيعة.

وفي قصيدته التي يتغزل فيها بامرأة جميلة والتي جعلها مثالا للجمال الجسدي فوجهها هلال بل ويجعلها شمسا مشرقة في حسنها وجمالها^(٢)، والقصيدة الاخرى يعمد الشاعر الى ابراز عنصر الحوار بينه وبين عذاله، على الرغم من عدل الناس له بعد ان ظهر الشيب في عذار الحبيب الا انه اصر على الاستمرار بالسير في طريق الحب الذي اوصله الى حرب مزعومة بينه وبين من يحب ورفع فيه الشاعر راية السقم والمرض شعارا له، يقول: (٣)

فقلت: تجلى بالشيب عذاري

وقالوا: تجلى بالمشيب عذاره

(١) الديوان : ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) نفسه : ٨٥ .

(٣) نفسه : ٨٦ .



غمود سيوف والسيوف عواري
يكون بها ثوب السقام شعاري

فجاشت لها منهم صدور كانها
ولو شئت ثارت بيننا حرب عاشق

ونلمس حرارة العاطفة الانسانية في قصيدته الطويلة وهو يتجرع مرارة
الحرمان والالام والشكوى، يقول: (١)

خف على قلبك تلك الحدقا
ربما غرك حتى ترمقا
ترعد الاسد لديه فرقا
طال ما بليت رداني علقا
كيفما سالم تلك الطرقا
ما سفكتم من دمي يوم النقا

ايها الامل خيمات النقا
ان سربا حشي الخيم به
لا تثرها فتنة من ربرب (٢)
وانج عنها لحظة سهمية
واذا قيل نجا الركب فقل
يا رماة الحي موهوب لكم

وفي كل هذا يختلق العذر لهم بأن هؤلاء الاحباب لم يكونوا سببا في مصرعه
من جراء العشق وانما هو قرب المنية والاجل المحتوم وفي هذا دلالة على ايمانه،
تستمر معاناته وتأوهاتة من جراء الفراق والوجد فتلهب مشاعره ويخفق القلب
وتترك العين الكرى وتجعل الارق سبيلا لها. والقلق والسهر واللوم بدل الراحة
والعيش الرغيد، يقول: (٣)

قرب الحين وامر سبقا
مقتل الصب فخلته لقي
يشتكي خدائي منه الغرقا
رمت ان يهدأ عنكم خفقا
فوقه خيفة ان تحترقا
رعيه ليس بريم الافقا
كيف لم تخلع عليك الارقا
عن قلوب اسهرتنا قلقا
بعدها ذابت عليكم حرقا

ما تعمدتم ولكن سبب
والتفادات تلتقت عرضا
آه من جفن قريح بعدكم
وحشا غير قرير كلما
وفواد لم اضع قط يدي
ما لنجم عكفت عيني على
ولعين خلعت فيك الكرى
ايها اللوام ما أهداكم
ما الذي تبغون من تعذيبها

(١) الديوان : ٨٦

(٢) ربرب : القطيع من بقر الوحش او الظباء.

(٣) الديوان : ٨٦



ويظهر الشاعر توسلاته وخضوعه لهذا الحبيب ويتحدث عن العفة وهو حديث يقترب من العذرية لانه لولا الخوف من الظلم لأخذ ما يريد قبل الفراق وفي هذا سمو وترفع عن الرذيلة. والمعروف عن الرصافي البننسي انه لم يكن من شعراء الغزل العذري في هذه القصيدة وغيرها وانما جرياً على عادة الشعراء في الغزل، يقول: (١)

ودعوا بالله من تشوقا
بات بالدمع بيبك الغسقا
بخيال منكم ان يطرقا
وكثير منكم ذكر اللقا
لانتصفنا قبل ان نفترقا
قد شربنا ذلك المغتبقا

قومنا فوزوا بسلوانكم
وارحموا في غسق الظلماء من
عللونا بالمنى ولو
وعدونا بلقاء منكم
لو حشينا الجور من جيرتنا
واصطحبنا الان من فضله ما

٢ - الغزل بالمذكر:

وجد هذا اللون في الشعر العربي اول مرة عند الشعراء العباسيين. ويعد ابو نؤاس اول من حمل لواء هذا اللون من الشعر (٢)، وظل الشعراء يتوارثونه جيلا بعد جيل جريا وراء التقليد ولأغراض المجون حتى وصل الى الاندلس، وبالرغم من صيحات الاستنكار وعبارات التعنيف والتسخيف التي اطلقها كتاب القرن السادس الهجري في الاندلس ومنهم ابن بسام وابن خاقان (٣)، لكن هذه الصيحات لم تقف حائلا دون انتشار هذا اللون من الغزل في المجتمع الاندلسي، والرصافي البننسي في غزله هذا ابتعد عن المجون، ولعل السبب في ذلك ان اغلب شعره ينبع من نفسية عفيفة مؤمنة بدينها فضلا عن خلقه القويم الذي يبعده عن قول الفحش والمجون، وما

(١) الديوان : ١١١ .

(٢) الادب في ظل بني بويه، د. محمود غناوي، مطبعة الامانة، مصر ١٩٤٩ : ٢٦٧ .

(٣) كتاب الذخيرة لابن بسام ق ١ م ١٢١/١، والقلائد، لأبن خاقان : ٢٥٤ .



تغزله بالمذكر سوى اظهار لقدرته على مجارة شعراء عصره، فضلا عن كونه تقليدا ادبيا يسير عليه الشعراء في العصور التالية للعصر العباسي^(١).

وعندما يتغزل الرصافي البنسي فنحس كأنه يتغزل بامرأة جميلة ويتغنى بمفاته، فالشاعر قد شغف بهذا الغلام الذي تنصت اسنانه، ويخالط شفثيه السواد ومقتليه ساحرتان والتمتعن فيه يرى صفات الغزال الذي قوي وابتعد عن امه وهي صفات انثوية اطلقها الشاعر على هذا الغلام ليجعله محببا الى نفسه، يقول:^(٢)

علفته حبيبي^(٣) الثغر عاطره
الملى المقبل احوى^(٤) ساحر المقل
اذا تأملته اعطاك منتفتا
ما شنت من لحظات الشادن^(٥) الغزل

ويعبر الشاعر عن احساسه وهو يلتقي بحبيبه في مكان جميل لكن هذا اللقاء ذهب مع ادراج الرياح بسبب هبوب الرياح وارتفاع الموج مما ابعدته عن حبيبه وكأن الماء ارسل لينغص من سروره وفرحه بهذا اللقاء والرياح رقيقة عليه، فبدل ان يجعل العذال اناساً كما هو عند الشعراء جعل الظواهر الكونية عذالا ينغصون عليه راحته وسروره، يقول:^(٦)

غارى الغرب اذ رآني
مجمع الشمل بالحبيب
فأرسل الماء عن فراق
وارسل الريح عن رقيب

٣ - الحنين الى المعاهد والاحباب :

شعور يعتري الانسان عندما يتذوق مرارة البعد والتشرد عن الديار التي نشأ وترعرع فيها، وهذا النوع من الشعر يتمثل فيه صدق العاطفة والشوق، وقد

(١) الشعر في ظل بني عباد، محمد مجيد السعيد، وزارة التربية، ط ١ ، ١٩٧٢ : ١٥٣.

(٢) الديوان : ١١٦ .

(٣) حبيبي: يشبه الحبيب، أي ثغره نقي كالحبيب.

(٤) احوى : اسود .

(٥) الشادن : الغزال اذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن امه.

(٦) الديوان : ٤٨ .



خرج شاعرنا الرصافي البننسي من وطنه صغيرا وكان يكثر دائما من الحنين والتشوق اليه.

ويعصف بالشاعر الحنين والوجد فهو لا يتذكر الديار فحسب وانما كل شيء يذكره حتى ذكر مدينته يحرك فيه الحنين ، فيشبه الحديث عنها بالماء الذي يطفئ حرارة الكبد الملهب شوقا لرؤيتها معبرا عن ذلك بالفاظ شعراء الجاهلية لما لها من احياءات مناسبة في مثل هذا الموضوع، يقول: (١)

خليلي ما للبيد قد عبت نشرًا
هل المسك مفتوقا بمدرجة الصبا
وما لرؤس الركب قد رنحت سكرًا
ام القوم اجرو من بلنيسه ذكرا
حديث كبرد الماء في الكبد الحرى
خليلي عوجا عليها فانه

ويوغل الشاعر في تشوقه وتلهفه الى بلنسية عندما تركها مخلفا فيها اصدقاءه، فلم يحمل معه سوى الذكريات التي تشده اليهم، فكان يطعم شوقه بذكر الاماكن التي كان يرتادها في بلنسية التي احتضنته صغيرا، كالرصافة، والجسر، ويدعو لهما بالسقيا لأن بالسقيا يكثر الخير والنماء وتنزل الرحمة. وان حبها قد تمكن منه فهو لا ينساها ابدًا، يقول: (٢)

قفا غير مأمورين ولتصديا بها
بجسر معان والرصافة انه
على ثقة للغيث فاستقصيا القطرا
على القطر ان يسقي الرصافة والجسرا
فريخا واوتني قرارتها وكرا
ابى الله ان انسى لها ابدًا ذكرا
مبادىء لين العيش في ريق الصبا
بلادي التي ريشت قويدمتي (٣) بها

فالشاعر دائم التذكر، يغدق الدموع الحمر على مدينته لأنها مسقط رأسه ومرتع صباه، فهو لا يحتاج الى مقدمات او اقناع لكي يحب هذا المكان، وهو في هذا يتمثل عنده صدق العاطفة اتجاه الوطن الصغير، يقول: (٤)

(١) الديوان: ٦٧.

(٢) نفسه: ٦٨.

(٣) قويدمتي: تصغير قادمتي، والقادمة اربع ريشات للطائر في مقدمة الجناح.

(٤) الديوان: ٦٩.



محل اغر الفهد لم يند ذكره
على كبد لا امترى ادعما حمرا
اكل مكان كان في الارض مسقطاً
لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطرا

ويفيض الوجد ويبلغ منزلة عالية حينما يتذكر بلنسية فيعمد الى المبالغة كثيرا
حينما يجعل هذه المدينة فردوسا يضاهي به فردوس الآخرة وهذه المكانة عندما
رسمها الشاعر لمدينته جاءت تعبيراً عن الحب والشوق الذي اضطررم في وجدانه،
يقول: (١)

وقالوا هل الفردوس ما قد علمته
فقلت وما الفردوس في الجنة الاخرى
ويستمر الشاعر في وصف محاسن ((بلنسية)) ويعدد افضالها، حتى لتصبح
عنده زبرجدة وسط انهار من اللآلئ، بل هي عروس ابداع الله صورتها، فوجهها
المشرق يظهر فيه حيوية الشباب وجماله، يقول: (٢)

بلنسيه تلك الزبرجدة التي
تسيل عليها كل لؤلؤة نهرا
كأن عروسا ابداع الله حسنها
فصير من شرخ الشباب لها عمرا
ويرتقي الشاعر في وصف هذه المدينة ويصدق المقولة التي قيلت عنها بأن
((ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الاندلس)) (٣) فيجعلها درة بيضاء مضيئة
من كل الجهات، يقول: (٤)

تؤبد فيها شعشعانية (٥) الضحى
اذا ضاحك الشمس البحرية والنهرا
هي الدرة البيضاء من حيث جنتها
اضاعت ومن للدر ان يشبه البدرا

وتعيش هذه المدينة وتتشعشعش في مخيلة الشاعر ويحدثه الشعور بالعودة الى
هذه المدينة لكنه فجأة يرى نفسه وحيد اذا رجع اليها فتتعالى صيحاته الحزينة وتتفتح

(١) الديوان : ٦٩ .

(٢) نفسه : ٧٠ .

(٣) المغرب، ٢ : ٢٩٧ .

(٤) نفسه : ٧٠ .

(٥) شعشعانيه : الانوار التي تشع منها .



جراحه فيمتنع عن العودة لأن اصحابه قد ذهبوا واحدا تلو الآخر وقد هجعوا الهجعة الابدية التي لا رجعة عنها الى ان يرث الله الارض ومن عليها، يقول: (١)

خليلي ان اصدر اليها فانها	هي الوطن المحبوب او كلته الصدرا
ولم اطو عنها الخطو هجرا لها	فلا لثمت نعلي مساكنها الخضرا
ولكن اجلالا لتربتها التي	تضم فتاها الندب او كهلها الحرا
اكارم عاث الدهر ما شاء فيهم	فبادت لياليهم فهل اشتكي الدهرا
هجوع ببطن الارض قد ضرب الردى	عليهم قبيبات فويق الثرى غبرا

ويحتدم الشوق لدى الشاعر ويتلطف لرؤية موطن الصبا الذي خلف فيه اصدقائه واحبته فلم يحل سوى ذكرى تشده اليهم وتربطه بهم فتعتريه نشوة خاصة عندما يذكر اسماء الاماكن التي كان يرتادها في بنلسية التي شهدت حبه، واحتضنت وجوده، ومسحت جسده، وهدته ينايبع الفرح والسرور، نشوة ملكت عليه حواسه وبعثت في نفسيته دفقات من الصور والذكريات، فنراه يكثر من اسماء البقاع والمنتزهات لأنها حفلت بأعز أحلامه وأسعد لحظات عمره، فيرسل لمعالما البارزة القبلات كدليل على الشوق والهيام، يقول: (٢)

يا صاحبي على النوى ولأنتما	اخوا هواي وحبذا الاخوان
خوضا الى الوطن البعيد جوانحي	ان القلوب مواطن الأوطان
ولبثتما عندي طلقي غربة	ولفظتما علق المشوق العاني
امودعين ولم احمل قبلة	نعليكما [تهدي] لجسر معان

(١) الديوان : ٧١ .

(٢) الديوان : ١٣١-١٣٢ .



الهجاء :

يتفق الناس منذ القدم على ان الهجاء فن الشتم والسباب وهو نقيض المدح كما اجمع عليه نقادنا القدامى، يقول قدامة بن جعفر في ((اذا كان الهجاء ضد المدح، فكلما كثرت اضداد المديح في الشعر كان اهجى))^(١)

اما مفهومه في العصر الحديث فانه لا يتعد كثيرا عن المفهوم القديم فهو عندهم ((ادب غنائي يصور عاطفة الغضب او الاحتقار او الاستهزاء)) وهو ينقسم الى قسمين :

القسم الاول: الهجاء الفردي: وهو شعر يعالج الخصومات والمنازعات بين شخصين وفيه ينزع الشاعر من صورة مهجوه كل الفضائل والقيم التي اقرها العرف ويلصق فيه كل القيم المرفوضة، واللافت للنظر في ديوان الرصافي البننسي انه يخلو من القصائد الطويلة في هذا الموضوع الا بعض المقطعات والابيات المفردة واذا دل على شيء فانما يدل على تجافي الشاعر عن هذا النوع من الشعر لأن الاسلام ينهى عن الهجاء لما فيه من تخريب للاواصر الاجتماعية في المجتمع الاسلامي وعند استقرائنا لديوان الشاعر وجدنا فيه مقطوعتين، الاولى تتألف من ثلاثة ابيات، والثانية تتألف من خمسة ابيات ويضم ايضا بيتا مفردا واحدا.

فالرصافي البننسي يؤكد في مقطوعته الاولى ان قدرته على الهجاء تفوق وقع السهام، لكن خلقه هو الذي منعه من ذلك، يقول: ^(٢)

اتيت السلامة من بابها
كنانن غصت نشابها
لكن السهيلي اولى بها

عفا الله عني فاني امرؤ
على ان عندي لمن هاجني
ولو كنت ارمي بها مسلما

(١) ينظر نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٩٠.

(٢) الهجاء والهجاء في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ١٩٧٠ : ١٦.



وفي المقطوعة الثانية يرى الشاعر بأن قصيدته منزهة عن كل عيب لانها واضحة كالشمس في شروقها وبعدها عن النقص ، ولكنها لم ترق لمهجوه لان الحسد ملا قلبه واعمى عيناه ، يقول: (١)

ومنظومة سبعا وعشرين درة
عوى نحوها الكلب الاعمي حساده
لالىء توم (٢) اشرقته بريقه
تدار على الدنيا كؤوس رحيقها
ومن ذا يبعث الشمس عند شروقها
وزادت ظلما عينه ببريقها

وفي البيت المفرد يظهر الشاعر براعته في الهجاء ويلصق بمهجوه انكر او ابشع الاسماء التي تنفر عنها النفس الاسلامية او الانسانية لأن ابليس رمز الشر اينما حل وابن الخليع كدليل على الانحلال والفساد، يقول: (٣)

ما انزع الشحيحين بين الورى
ابلس، لاقس ، وابن الخليع

القسم الثاني: الهجاء السياسي : وهو الهجاء الموجه نحو الحكام ولم نجد في ديوانه شيئا من هذا النوع مما يجعلنا نستشف ان الهجاء لم يكن غرضا وجد صداه عند الرصافي البننسي فما هو الا انفعال مؤقت، وارى انه يترفع عن الهجاء فلا طائل من الذم من شخص يستطيع ان يرد خصومه بما اوتي من قدرة وقوة، ولهذا نرى ان الهجاء لا يشكل غرضا مستقلا في دواوين الاندلسيين و بالاحرى يترفعون عن الهجاء لما فيه من سخرية واستهزاء فهم كانوا يؤثرون - على ما يبدو - ان تكون رسائل هجائهم الى خصومهم سيوفا او اسهاما وليس كلمات او قصائد.

(١) الديوان: ١١٤ .

(٢) توم : جمع تومة و هي الدرة او حبة تعمل من الفضة كالدرة .

(٣) الديوان : ١٠٥ .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول بناء النص الشعري

اولا - بناء النص الشعري : بناء المقطوعة:

لقد عرفنا في الفصل الثاني الفرق بين القصيدة والمقطوعة وتوصلنا الى ان المقطوعات قد غلبت على نسبة القصائد في الديوان، وهذه المقطوعات قد شاعت بكثرة في الشعر الاندلسي عموما وفي شعر الرصافي بوجه خاص، وان شاعرنا قد نظم عليها بنفس القوة التي نظم عليها القصائد، بل وتفوق في ذلك بشهادة الكتاب والمؤرخين ومنهم عبد الواحد المراكشي، اذ عده ((من مجيدي الشعراء، لاسيما في المقاطع كالخمسة ابيات فما دونها))^(١). ويرى د. يوسف حسين بكار ان اسباب النظم في المقطوعات ثلاثي: فني، نفسي، شكلي. فاما الاول فيعود الى ان النظم في المقطعات ليبعد السامع عن الحشو والاطالة ويميل نحو الايجاز وتكثيف المعنى.

واما الثاني والثالث، فلأن المقطعات اسرع حفظا واعلق في النفوس من المطولات^(٢). اما موضوعاتها عند الشاعر فقد دارت حول المديح والغزل والوصف والرثاء والحنين والهجاء، فمقطوعته الغزلية تتحول فيها الابيات الى نغمات رائعة تنفذ الى القلوب والاسماع دون استئذان، مستخدما بعض الفنون

(١) المعجب: ٣ : ٢٩٠.

(٢) ينظر: بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣، ٢٤٤ - ٢٤٥.

البلاغية التي غايتها اظهار الشيء وكشف الغموض عنه، وتكثيف المعنى واختصاره يقول: (١)

ومهفف كالغصن الا انه
اضحى نام وقد تحبب خده
سلب التثني النوم عن اثنائه
عرقاً، فقلت: الورد رش بمائه

ومن الناحية الفنية، يرتكز الشاعر على التكثيف في المقطوعة وما تدل عليه من معاني الى بعض العناصر التي تساعد على تحقيق مضمون واكتمال المعنى ووضوحه، ففي المقطوعة الآتية في وصف صفار يقول: (٢)

يقولون لي يوما وقد مر ضاربا
تعلم حفارا فقلت : استعارها
بمعوله ضرب المرجم بالغيب
غداة رنا من صبغة العاشق الصب
يعود النحاس الاحمر التبر عسجدا
بكفيه عند السبك والمد والضرب
فحمرته مشتقة من حياؤه
وحفرته مما يخاف من العتب (٣)

ففي هذه المقطوعة يعمد الرصافي البلنسي الى ابراز عنصر الحوار كمنهج اساس لاقامة بنية المقطوعة واظهار مراحل العمل في هذه المهنة ومن خلالها طرح الاوصاف الجمالية لصاحب المهنة.

بناء القصيدة :

لرصافي البلنسي قصائد تحتكم الى الناحية الفنية التي اشار اليها النقاد القدامى من استهلال القصائد بالمقدمة الطللية والغزلية وحسن التخلص والخاتمة، والبعض الاخر فيها دخول مباشر الى الفرض الذي يريده، وهي كثيرة عند الشاعر

(١) الديوان : ٣٣ .

(٢) الديوان : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) العتب :

يسعى فيها الى بيان غرضها بسرعة واقدام. فهي تبتعد عن المماثلة والتسوية
الذين تعاني منهما القصيدة ذات المقدمة.

والرثاء غرض لا يحتمل المقدمة وانما يدخل اليه مباشرة، من ذلك قوله: (١)

رمى الموت ان السهم صابا ومن يدمن على رمي اصابا

ويأتي مثل هذا النوع في قصائد المدح، فالشاعر يدخل الى القصيدة بحماسة
شديدة منذ البيت الاول، كما في قوله يمدح ابا سعيد: (٢)

من عاند الحق لم يعضد برهان وللهدى حجة تعلقو وسلطان

ما يظهر الله من آياته فعلى اتم حال وصنع الله اتقان

وقوله في مدح عبد المؤمن: (٣)

لو جئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور

فقد ولج الشاعر مباشرة غرض المدح واستمر في تعداد فضائل الممدوح،
والحقيقة ان النقد القديم لا يحبذ مثل هذه المطالع حتى لو اجاد الشاعر فيها ومهما
كان حسنهما لأن: ((النفوس والاسماع اذا قرعها المديح دفعه من غير توطئة فانها
تستعصيه ولا تستسهله)) (٤). ونحن نرى بأن ابتعاد الشاعر عن هذه المقدمات
مرتبط بظرف الممدوح لانه ليس لديه الوقت الكافي لسماع هذه المقدمات لانشغاله
بالدفاع عن الاندلس.

اما القصائد ذات المدخل غير المباشر، فهي القصائد التي تتقلت بين المطلع
والمقدمة والتخلص والخاتمة. فلكل مفصل من هذه المفاصل دور في اكمال البناء
الفني للقصيدة يقول عنها القاضي الجرجاني ((والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين

(١) الديوان : ٣٦ .

(٢) نفسه: ١٢٧ .

(٣) الديوان : ٨٧ .

(٤) منهاج البلاغ: ٣١٩ .

الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة، وانها المواقف التي تستعطف اسماع الحضور،
وتستميلهم الى الاصغاء))^(١).

١- المطالع :

تعد المطالع في القصيدة العربية تقليدا ادبيا سار عليه الشعراء القدامى ، وان
الخروج عليه يعد عيبا في الشاعر فهو عامل يساعد الشاعر على تبوء مكانة مرموقة بين
الشعراء، فضلا عن كونه عامل جذب للمتلقي تستأنس به نفسه، وربما المطلع هو اول ما
يقرع اذن السامع، فينشئ له صورة، وتهتز نفسه، ويشعر بأريحية وبهجة، فيتشوق لما
يأتي بعده ^(٢) وقد اشترط نقادنا الاوائل في المطالع (ان تكون العبارة حسنة جزلة، وان
يكون المعنى شريفا تاما وان تكون الدلالة على المعنى واضحة، وان تكون الالفاظ الواقعة
فيها لاسيما الاولى الواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة...)^(٣) ، لذلك كانت
مطالع الرصافي البننسي فخمة جميلة تجذب الاسماع وتطرب القلوب والسبب في ذلك
لتكون هذه المطالع محببة تجلب النشوة والسرور في نفس الممدوح مما يؤث ذلك في
نفسيته فيتلذذ لسامع ما يأتي بعدها ، فمن مطالعه الجميلة، قوله ^(٤) مادحا:

الاجرع تحتله هند	بندى النسيم ويأرج ^(٥) الرند ^(٦)
ويطيب واديه بموردها	حتى ادعى في مائه الورد
نعم الخليط نصحت حانحتي	بحديثه لو يبرد الوجد
ينحيك من فيه بعاطره	لو فاه عنها المسك لم يعد
يا سعد قد طاب الحديث فرد	منه اخا نجواك يا سعد

(١) الوساطة بين المتبني وخصومه: القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، وعلي محمد

البجاوي، دار القلم، بيروت ١٩٦٦، ٤٨.

(٢) ينظر العمدة : ١ : ٢١٧-٢١٨.

(٣) منهاج البلاغ : ٢٨٢.

(٤) الديوان : ٥٨.

(٥) بأرج : تتضوع رائحته.

(٦) الرند : شجر طيب الرائحة.

وتستمر هذه المقدمة التي بلغت ثلاثة عشر بيتا بذكر حديث الهوى والغرام مستعيرا لها الالفاظ الانيقة الرشيقة التي تسحر القلوب وتستميل الاسماع مما يوقع في نفس الممدوح البهجة والشوق لما يأتي بعدها من أبيات.

ومن المقدمات الغزلية الجميلة قوله^(١) في مدح ابن وهب:

خليلي ما ادري اذا ما اختل شملنا
واقت بنا الدنيا لايدي النوى نهبا
اطي كتاب نودع الود بيننا
على البعد، ام صدر النسيم اذا هبا
ولي عند شرقي الرياح لبانة
يقر بعين الغرب ان ترد الغربا

وفي موضوع الاخوانيات تظهر المقدمات والتي شكلت عنده نمطا بنائيا لهذه القصائد، ففي الاعتذار جاءت مقدمة غزلية تحدث فيها عن الفراق والنأي بين الشاعر وصديقه، وكيف يتمنى ان تأتيه اللحظة المناسبة ليصل الى هذا الشخص المتعذر منه يقول: (٢)

اتتني من تلك السجايا بنفحة
وما ذاك الا ان عرف تحية
هزرت لها في الحي عطي من عجي
تصدى بها الركب المغرب غدوة
نفضت بها مسكا على الشرق والغرب
سينشق عن نور الوداد بها فمي
فقلت: أمن دارين مدلج الركب
فقد انبتت ما انبتت لك في قلبي
خلا ان حالاً لو قضت بتفرغي
الى لازم من حج منزلك الرحب

يتبين لنا مما سبق ان المقدمات او المطالع تعتمد على الجانب النفسي للشاعر وكذلك للمتلقي (الممدوح) فربما يحتاج الشاعر الى مقدمة حسب الظرف الذي يمر به ، وربما لا يحتاج اليها ، فيدخل مباشرة في الغرض الذي يريده فالموقف الذي عليه الممدوح هو الذي يتحكم ويسير الشاعر . وقد اجاد شاعرنا في استخدامه لهذه المقدمات، اذ جاءت هذه المقدمات متوافقة مع ما تداخلها من اغراض في سبيل بناء قصيدة تنبض بالحياة والتجدد . متكاملة الجوانب.

(١) الديوان : ٣٣، ٣٤ .

(٢) نفسه: ٤٠-٤١ .

حسن التخلص :

هو الانتقال بالكلام من غرض الى آخر داخل القصيدة الواحدة دون ان يترك فجوة في الكلام بين المقدمة والغرض الرئيس أي ((ان يأخذ المؤلف الكلام في معنى من المعاني، مبينا ما هو فيه، اذ اخذ معنى غيره وجعل الاول سببا اليه، فيكون بعضه آخذا براقب بعضه، من غير ان يقطع كلامه ويستأنف آخره. بل يكون كلامه كأنما افرغ افراغا، وذلك مما يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه))^(١). والشرط الذي وضعه النقاد العرب لحسن التخلص ان يسبق بمطلع او مقدمة غزلية او طللية ثم الدخول الى غرض المدح والا فقد حسن التخلص معناه ، يقول ابن حجة الحموي ((فاذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح))^(٢).

وشاعرنا الرصافي البلنسي في حسن تخلصه في حسن تخلصه كان رشيقا عذبا اذ لا نرى اية حواجز بين المقدمة وحسن التخلص، وقد كانت له وسائله في هذا المجال مبتعدا عن الصيغ الجاهزة مثل ((فدع ذا، وسل الهم عنك بكذا))^(٣)، ومن تلك التخلصات التي ابداع فيها الشاعر مدحه للوزير الوقشي (من الكامل) فبعد اثني عشر بيتا استغرقتها المقدمة خرج الى المدح بقوله:^(٤)

من كل اروع حشو مغفرة
وجه اغر وفاحم جعد
ذكر الوزير الوقشي لهم
فانارهم للقاءه الود

(١) المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق د. احمد الحوقي، د. بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت) : ٣٢ : ١٢١.

(٢) خزنة الادب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، سوريا ، ١٣٠٤هـ : ١٦٠ . وينظر العمدة : ١ : ٢٣٩.

(٣) تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي: د. حسن البنداري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م : ١٢٢.

(٤) الديوان : ٥٩.

ومن حسن تخلصه قوله في قصيدة يمدح فيها ابن وهب (من الطويل) ينتقل من المقدمة التي احتوت على اربعة ابيات الى قوله: (١)

يحيي بها عني ابن وهب مصافحا كما صافحت ريح الصبا غصنا رطبا

فالشاعر انتقل في هذا البيت من ذكر الفراق والبعد عن الاحباب ودخل الى المدح دون ان يحس المتلقي بوجود حاجز بين الغرضين، فمن خلال اداء السلام وصل الى حسن التخلص فوجه تحيته الى هذا الممدوح.

ومن مخالصه الحسنة في الرثاء قوله: (٢)

ايا عبد الاله نداء بأس وهل ارجو لدى رسم جوابا

فالشاعر قد تخلص بعد اثني عشر بيتا من ذكر الموت وفلسفته التي لا مناص منها والتي جعلت من حياته جحيما لا يطاق لأن الحزن قد خيم على مجرى حياته وبعدها ذكر شيئا من العلوم النافعة التي اشتغل فيها بالدنيا والتي منحت هذه الغنيمة والفوز في الآخرة ومن ثم يخلص الى ان هذا الشخص الذي يدعى عبدالله.

الخواتيم :

لقد اهتم الشعراء ومنهم شاعرنا الرصافي البننسي بالاعتناء كثيرا في صياغة خواتيم قصائدهم لأنها آخر شيء يعلق في النفوس، فمن الطبيعي ان تكون ((خاتمة الكلام ابقى في السمع والصق بالنفس لقرب العهد بها، فان حسنت حسن، وان قبحت قبح)) (٣). ومن خلال استقراءنا لقصائد الشاعر وجدنا معظم قصائده المدحية وغير المدحية انتهت بخواتيم جميلة وان خلا بعضها من المقدمة التقليدية.

(١) العمدة : ٣٤ .

(٢) نفسه : ٣٧ .

(٣) العمدة : ١ : ٢١٧ .

ومنها خواتيمه الحسنة اهداء قصائده المحكمة للممدوح في قوله: (١)

سورا من الاقداح محكمة

من آبهن الشكر والحمد

ولعل ما يخفى وراء فمي

من وده اضعاف ما يبدو

فهو فضلا عن اهداء هذه القصائد الى الممدوح فلا تفي بعتاء الممدوح
وكرمه ففي اهدائها الى الممدوح فانما يشكره ويثني عليه، وهو بعد الثناء يكن له
المودة والحب. ومن خواتيمه الجميلة في الاخوانيات اسداء النصح في قوله : (٢)

صون الفتى وجهه ابقى لهتمته

والرزق جار على حد ومقدار

قنعت امتد مالي فالسماء يدي

ونجمها درهمي والشمس ديناري

ثانيا - اللغة :

من ابديهي ان نجاح أي شاعر او تفوقه يتوقف على قدرته في استخدام
مفردات اللغة وتطويعها لما يريد، لأنها الوسيلة التي تمكن الشاعر من تأدية معانيه
بطرق مختلفة عما في الفنون الأخرى (٣)، فهي التي تحدد مكانة الشاعر ووضعه في
مكانه الصحيح لأن دراسة اللغة ذات أهمية غير عادية من اجل دراسة
الشعر)) (٤) فلكل عمل شعري، نسيج لغوي خاص به يستخدم الالفاظ استخداما خاصا
من الشاعر تتفاعل معه تجربته الروحية وتتكاثر في انجازها قدراته الفنية وفلسفته
في استخدام اللغة بما يكشف عن روح التجديد وقوة الشاعرية، وقابليتها على تشكيل

(١) الديوان : ٦٢ .

(٢) نفسه : ٩٩ .

(٣) لغة الشعر بين جيلين: د. ابراهيم السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠، :

١٠ .

(٤) نظرية الادب : رينيه ويلك، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم

الاجتماعية، مطبعة خالد الطريشي، دمشق، ط٣، ١٩٦٢، ٢٢٥ .

هذا النسيج الفني اللغوي^(١)، وعلى هذا الأساس فإن للقصيدة نمطا بنائيا يباشره الشاعر من جهتين، جهة اللفظ وجهة التراكيب وفي كلتا الحالتين لا بد ان يكون الشاعر حاذقا في تعامله مع اللفظ مما يؤدي الى استثمار كل دلالاته وما يمكن ان يحضر في النفس من احياءات لها دلالتها الخاصة على واقع الشاعر النفسي، وما تعج به نفسه من مشاعر وأحاسيس^(٢).

وشاعرنا الرصافي البلنسي من شعراء الأندلس الذين تأثروا بـ(وفرة الخير في بلادهم ونعومة العيش بها، فقد طبعهم ذلك على الرقة واللين في اللفظ وعودهم تناول المعنى من قريب دون تعمق او غوص لما في ذلك من مشقة وعناء تعجز عنها الأعصاب المترفة الناعمة)^(٣)، لكن المتأمل للغة الرصافي في المديح يجد الفخامة والجزالة والتأثر بلغة الشعراء العرب المشاركة، وتكاد تقترب من لغة أعلام الشعر العربي كأبي تمام والبحتري والمتنبي وابن الرومي ممن عرفوا بشاعريتهم وقوة لغتهم، ودليل ذلك ان القارئ لشعره يحتاج في بعض الاحيان الى مراجعة المعاجم اللغوية التي تعينه على معرفة المعاني بعض الألفاظ على الرغم من وجود الفاظ واضحة جلية بعيدة عن الغموض والتعقيد، وهذا متأث من تأثير البيئة فيه.

ولغته منبثقة من جو العصر وسمته وذوقه الحضاري الذي يميل الى السهولة في التعبير مبتعداً عن الغريب والحوشي والمعقد من الالفاظ، فضلاً عن امتلاكه ثروة هائلة من المفردات اللغوية مكنته من منافسة أكابر شعراء عصره، وقد وقف الدارسون لهذا الشاعر عند لغته طويلاً، فهذا احسان عباس جامع ديوانه يقول ((وهو اقرب في نسجه العام الى الأعمى التطيلي - شيخ الشعر الجزل في وقته - الا ان رفته تغلب عليه فيقف موقفاً وسطاً بين الأعمى وابن الزقاق))^(٤).

(١) مجلة كلية الاداب، العدد (٢٥٦) عنوان البحث(لغة الشعر عند الالبيري) د. نافع محمود خلف : ٢٠١ : ٢٣٥.

(٢) ينظر النقد الادبي: د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٦٢، ص ١٢٩.

(٣) قصة الادب في الاندلس : ١ : ٢٥١.

(٤) مقدمة الديوان : ٢٤ - ٢٥.

وتتميز لغة الشاعر بالسير على الطابع القديم، فلم يدخل لغته اللحن والعجمة مما يدل على صفاء سليقته اللغوية. وهذا يعني حرص الشاعر على المحافظة على لغته العربية فابتعد عن كل دخيل وشاذ في الفاظها، مما يؤكد تمسك الاندلسيين بلغتهم العربية والثقافة الاسلامية تمسكا وجدانيا ومصيرياً قدموا فيها كل ما هو جميل ورائع على خلاف ما يرى المستشرق الفرنسي (بروفنسال) بان الشعب الاندلسي قد فقد سليقته اللغوية العربية الصحيحة^(١)، وهذا الرأي يبتعد كثيرا عن الحقيقة ونشعر بأنه يريد من وراء ذلك ان يطمس معالم الشخصية الاندلسية الاسلامية لأن هذا الشعب بقي محافظا على لغته العربية وسليقته الى نهاية الدولة العربية في الاندلس ، على الرغم من تسرب بعض المفردات الشعبية الى اللغة العربية من عامة اهل الاندلس والتي تسمى (بالارطينية) وهي اللاتينية السائدة ولاسيما في عهد الطوائف حيث بلغت اوجها في هذه الفترة لوجود طبقة من المجتمع الهجيني الذي يضم اجناس مختلفة والتزاوج الكثير الذي حدث بين العرب والاسبان والا ما معنى القاب الشعراء المشاركة تطلق على شعراء الاندلس كابن رومي الاندلس على الرصافي البلسني ومنتبي الاندلس على ابن هانيء وغيرهم كثير فلو لم تكن سليقة هؤلاء الشعراء صحيحة لم تطلق هذه الالقاب، فضلا عن لغتهم وما تتميز به من أصالة قد تضاهي لغة العرب المشاركة ، وبما ان الشعر هو ((فن اللغة))^(٢) كما قال فاليري، فاننا نجد الرصافي قد وظف اللغة في شعره خير توظيف وزاد عليها من وحي تجربته الذاتية مما جعلها اداة طيبة يستخدمها متى يشاء ، لأن الحس اللغوي قد وجد صدها في نفسه الشاعرة سواء على صعيد المفردة اللغوية او بناء الجملة الشعرية فضلا عن تجربته الغنية وخياله الواسع وعاطفته المتوقدة التي اعطت له احياءات كثيرة جعلته يسمو بلغته الى فضاءات واسعة ويحولها من عبارات والفاظ جامدة الى عبارات تفيض بالحياة والتجدد .

لذلك كانت الفاظ الرصافي البلسني ولغته سهلة عذبة، رصينة، تتأى عن الغريب والمستكره.

(١) ينظر سلسلة محاضرات عامة في ادب الاندلس وتاريخها : ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة، وعبدالحميد

العبادي بك : ٢٢ .

(٢) النظرية البنائية في النقد الادبي: ترجمة صلاح فضل، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٣، ١٩٨٧ : ٣٤٧ .

فلغة المديح كانت من الجزالة والقوة والرصانة. ما تناسب مكانة الممدوح ومنزلته، وتحاكي افعاله، وفضائله. ومن الامثلة على ذلك الابيات التي يخاطب فيها عبد المؤمن بن علي^(١):

وحيث قامت قناة الدين ترفل في
لواء نصر على البرين منشور
في كف منشمر البردين ذي ورع
على التقى وصفاء النفس مفطور
يلفك في حال غيب من سريرته
بعالم القدس مشهور ومحضور

فالالفاظ (ترفل ، منشمر ، البردين ، مفطور، سريرة، القدس) ذات رصانة وشدّة، اضفت على الابيات جزالة واضحة تتناسب ومقام الممدوح.

ومنها الابيات التي قالها^(٢) في مدح احد الموحدين:

رفعنا نحو مراكم عيونا
لهن دوينكم نظر كسير
فكاد يصدنا عن مجتلاه
رقيب من مهابتكم غير
فيا صفحاته زيدي انبلاج
كما يعلو الصباح المستنير

فالالفاظ (مجتلى، مهابه، انبلاج) من الالفاظ الرصينة التي تدل على قدرة الشاعر في اختيار الالفاظ التي تناسب مقام الممدوح ومنزلته العالية في نفس الشاعر التي بدت متصاغرة امام سلطان الملك وجلالة شأنه وتبرز مقدرته اللغوية في انتقاء الالفاظ العذبة الموحية التي تحاكي افعاله، وفضائله في مدحه لابي عبد الله محمد بن عبد الملك بن سعيد بقوله^(٣):

رجل الزمان حزيمة وشهامة
وسرية حسبا اغر ومحتدا
شهم على رأس الدهاء مخلق
لو شاء افرد من اخيه الفرقداء

(١) الديوان : ٨٢ .

(٢) نفسه : ٨١ .

(٣) الديوان : ٥٤ ، ٥٥ .

فيكاد يصمي اليوم ما يرمي غدا

يستهدف المستقبلات بظنه

كالسهم لا كسلا ولا متبلدا

ويسابق الرأي المصيب بعزمه

فالالفاظ ((حزامة ، شهامة، اغر، محيد، رأس الدهاء، يصمي، العزم) تدل على عظم المزايا التي يمتاز هذا القائد فضلا عن جزالتها وقوتها، الا ان لغة الشاعر قد تميل الى البساطة والسهولة في بعض الاحيان، كقوله يمدح الوزير الوقشي: (١)

كثر العديد واعوز اند

رجل اذا اعرض الرجال له

زهرا كما يتناسق العقد

من معشر نجم الملك بهم

ومع الصنائف يحسن البرد

لبسوا الوزارة معلمين بها

ببني الحقب كما بنى الجد

مستأنفين قديم مجدهم

فالالفاظ (اعرض ، اعوز ، الند ، نجم العلا، العقد، معلمين) كلها الفاظ سهلة، توافق مديح شخصية هي اقرب الى حياة الناس ومجتمعهم كشخصية الوزير الوقشي.

غير اننا لا ننفي وجود الفاظ تتسم بالتعقيد والتكلف كقوله (٢) في نهاية قصيدة مدح الوزير الوقشي:

ما ان يلبسها لك البعد

والامر اشهر في فضائله

هطل الغمام وجلجل الرعد

هيهات يذهب عنك موضعه

ما تعجم الورقاء اذ تشدو

اعربت عن مكنون سوؤده

فالالفاظ (لبس ، جلجل، تعجم) الفاظ توحى بصفة كلامية بما لا يحسن استعمالها في غرض المديح.

(١) نفسه : ٦٠ .

(٢) الديوان : ٦٢ .

المعجم الشعري :

لقد كان للمعجم الشعري القديم صدى كبيرا في لغة الشاعر الاندلسي الرصافي البنسي، لأنه يتصل ((على وجه عام بلغة العصور جميعا))^(١)، وهو ايضا مصدرا مهما من مصادر ثقافة الشاعر، فلا بد ان تطبع نتاجه الفني بطابع ادواته الفنية والاسلوبية.

وبما ان اللغة تخضع لقوانين التطور فقد يتبع ذلك اختفاء الفاظ معينة والاستعاضة عنها بالفاظ تلائم طبيعة العصر، لأن اللغة تابعة في اطوارها الى أطوار اهلها المتكلمين وتتلائم مع بيئتهم وعصرهم، وحاجاتهم، الا ان ذلك يجري في ميدان لغوي واحد يتمسك بمقومات اللغة الام ولا يفرط بها، مما يؤدي الى بقاء بصمات التراث اللغوي شاخصة فيما يلي من اجيال ويظهر من اساليب كلام^(٢).

غير ان مقدرة الشاعر تبقى مرهونة ببراعته في تصريف الالفاظ وحسن تنسيقها، لأن اللفظة هي اللبنة الاساسية التي تدخل في بناء القصيدة الشعرية، فاللفظة تكون معبرة عن احساس الشاعر وانفعالاته، تردد ما يجول في اعماق نفسه من خلال البنية اللغوية والتصورية والايقاعية^(٣)، أي اقتناص اللفظة المناسبة ليس بالامر الميسور، وانما تأتي دوافع التجربة الشعورية في مكونات نفسه التي تختارها وتعتمدها وتطمئن عليها بعد ان تكون قد غاصت في هذا الكم الهائل من الالفاظ، وهذه العملية هي اصعب ما تواجه الشاعر لأن عليه ان يختار اللفظة المناسبة التي تجد صداها عند المتلقي وعليه ان يغوص فيها حقيقة لا مجازاً حتى يشكل اللائق المناسب منها في الصور المنشودة في الوقت المناسب. وذلك لأن اللفظ لا يحمل

(١) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيث درو، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية، ١٩٦٣ : ٨٧.

(٢) لغة الشعر عند الاليري، د. نافع محمود خلف، مجلة كلية الاداب : ٢٣٦.

(٣) ينظر رماد الشعر، عبدالكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ١٩٩٨ : ١٢٩.

معناه الحرفي (المعجمي) بل يحمل هالة عظيمة من المترادفات والمتجانسات، والكلمة لا تكفي ان يكون لها معنى لغوي فقط، بل تثير معاني كلمات تتصل بها بالصوت او بالمعنى او الاشتقاق او حتى كلمات تعارضها او تنفيها^(١). فالشاعر الحاذق هو الذي يستطيع ان يصوغ من اللفظة ما يشاء وان يمنحها حرارة الشعر. فليست اللفظة ذاتها هي التي تحمل قيمة الشعر، وانما هو السياق الذي يكسبها هذه الحلة، ((والشعر الرائع الخالد عادة هو الذي يكسب الفاظه قوة وتألقاً))^(٢) ،

وفي محاولتنا لتطبيق الآراء النقدية السابقة وجدنا ان الرصافي البننسي استطاع تطويع اللغة الشعرية تطويعاً رائعاً جعلته يقف في مصاف الشعراء المرموقين في الاندلس، فجاءت هذه اللغة معبرة عن خلجات نفسه ، فكانت مؤشرات تكشف عن مصادر لغته التي رسخت في القديم من الشعر العربي، مما يوحي لقارىء شعر الرصافي الرفاء بانه احيائي في لغته اتباعي لأساليب التعبير الشعري، لما يتوفر في شعره من مادة لغوية اصولها نابغة من الشعر العربي القديم والموروث الأدبي الزاهر.

اولاً - الفاظ الطبيعة: لقد كان لطبيعة الاندلس اثرا شديدا في نفس شاعرنا الرصافي البننسي، فلم يتوقف استخدامه في وصف طبيعة الاندلس فحسب وانما راح يستخدمها في موضوعات متنوعة، فكثيرا ما وجدنا في شعره الفاظ الطبيعة مثل : زهر، اقحوان، ساق، مسك، الاصيل، نجم، ضوء، برق، عرار، نار، جيل، الغيم، ممطور، الجو، الايام، الارض، البحر، الشمس، الرياض، الآس، الروض، الرياح، النهر، الاراك، الدعص، الري، الكون، ماء، خليج، الفجر، الربيع، الربوع، لوز، الليل، النرجس، النسيم، جدول، الآفاق، هلال، النسر، طاووس، قزح، المزن، طائر، الهديل، غصن، ... الخ).

١ نظرية الادب : ٢٢٥ .

٢ لغة الشعر عند الاليري : ٢٣٧ .

ان ترديد بعض الالفاظ في سياق شعره، تشير الى حالة نفسية تسكن الشاعر
فدلالة الجبل عنده تعني العظمة والقوة والسمو والكرم: (١)

لله ما جبل الفتحين من جبل
معظم القدر في الاجيال مذكور
من شامخ الانف في سحنائه طلس
له من الغيم جيب غير مزرور
معبرا بذراه عن ذرى ملك
مستمطر الكف والاكناف ممطور

اما مدلول الشمس عند الشاعر فتارة تدل على الصفاء الذي لا يشوبه شيء،
كقوله: (٢)

وعشي رائق منظره
قد قصرناه على صرف الشمول
وكأن الشمس في اثائه
الصمت بالارض خدا للنزول

وتارة اخرى تدل على السيطرة والقوة والمنعة، يقول: (٣)

فان يكن بيد المهدي قائمه
فموضع الحد منه حد مشهور
والشمس ان ذكرت موسى فما نسيت
فتاه يوشع قماع الجبابير

والبحر في نظر الشاعر له دلالات عديدة، فهو رمز للخطر والمغامرة، ففي
موجه المتلاطم تتجلى صورة الموت: (٤)

ركبت لها بحر الزقاق تعمدا
وللفلك بين العدوتين تباري
بحيث التقى البحران والموت عازم
يساورنا من يمينه ويسار

ويدل كذلك على الكرم والجود ولكن هذا الممدوح في فاق وتجاوز البحر في
شدة كرمه: (٥)

(١) الديوان : ٩٢ .

(٢) نفسه : ١١٨ .

(٣) نفسه : ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) نفسه : ١٠١ .

(٥) نفسه : ٨٣ .

فتى من قيس عيلان تلاقى
تضىء به البلاد اذا تجلى
على سيمائه كرم ونور
وتغرق في مكارمه البحور

وهو رمز للمرارة والملوحة: (١)

خفضتم للمعالي نحو اندلس
واخجله البحر ان لم يحل مشربه
اعنة السابحين: الفلك والفرس
وان غدا عنبري اللون والنفس

ويعبر الشاعر عن حياة النقاء، فيتعلق بخيوط النور التي تشكل عنده اساساً مهما تدور حوله هالة من صورته، ويستخدم من تلك المشتقات والمرادفات والمعاني ما كان ذا دلالة مادية ومعنوية، بحيث توحى تلك الدلالات بمعاني روحانية ونفسية وجمالية في آن واحد مثل النجم، أزهر، كوكب، يقول: (٢)

سراء شب بها الزمان الاشيب
وعلو منزلة تشاد بأزهر
وسماء مجد زيد منها كوكب
كالنجم الا انه لا يغرب

فبالرغم من دلالة الالفاظ على النور ومظاهره، فنحن نراها تدل دلالة نفسية على سمو المكانة وعلى البهجة والجمال.

فلفظ ((الغمام)) عند الرصافي تأتي للتعبير عن صفة كرم الممدوح، يقول (٣)
في مدح ابن منصور الموحي:

واقول ان انا لم افه بثنائكم
اما انا ويد ابن منصور معا
ضاعت لكم عندي يد وذمام
فكما يقال خميلة وغمام

فهذه المقارنة اللطيفة بين الشاعر وابن منصور جعلته يختار لفظة ((الغمام)) للدلالة على كرم الممدوح وكثرة عطائه.

(١) الديوان: ١٠١.

(٢) نفسه: ٣٩، ٤٠.

(٣) نفسه: ١١٩، ١٢٠.

ثانياً - الفاظ الحب :

استخدم الشاعر الالفاظ المتعلقة بالحب ليعبر عن تجربته الشعورية والعاطفية وكانت هذه اللغة سهلة رصينة يحاول الشاعر فيها ان يخاطب سلطان الحب، ويحاوّر قلوب العشاق. مما دفعه الى تزويق لغته، والبحث عن الفاظ تعينه على جعل قصيدته متماسكة ذات معاني موحدة، ولذلك جاءت الفاظ الغزل القديمة في شعره، وهي (الحبيب، مهفهف، مسك اللمى، ورد الخدود، در الثنايا، ريم انس، هائم، عاشق، العناق، فؤاد، الصب، ذاب، الشوق، اغيد، مياس، الصبا، الادلال، الصبا، الهوى، قضيب البان، ربرب... الخ) .

لقد لجأ شاعرنا الرصافي البنسي الى المفردات القاموسية والمشاهد الصراوية والمعاني البدوية، سعياً منه في اللحاق بركب المشاركة رغم بعد الشقة بينه وبينهم، ففي احدى مقدماته الغزلية نجد النفس الشعري القديم شاخصاً بوضوح: (١)

بندى النسيم ويأرج (٣) الرند (٤)

حتى ادعى في مائه الورد

بحديثه لو يبرد الوجد

يوحي اليك بسقطه الزند

الاجرع (٢) تحتله هند

ويطيب واديه بموردها

نعم الخليط نضحت جاتحتي

وقوله: (٥)

ذكر يمر على الفؤاد كما

وكذلك قوله: (١)

(١) الديوان : ٥٨ .

(٢) الاجرع: ارض ذات حزنه تشاكل الرمل.

(٣) يأرج : تفوح منه الرائحة.

(٤) الرند : شجرطيب الرائحة.

(٥) نفسه: ٥٩ .

وخيامهم ايام مضر بها

سقط اللوى وكثيبه الفرد

ونجده في مقطوعاته الغزلية يكاد يذوب رقة، اذا تنساب العذوبة والشفافية من بين الفاظه، فيقول: (٢)

نشوان ما فوق الكثيب مهفف (٣)

تننيه في روض الشباب رياحه

ليل كلمته لو ان ظلامه

ينشق عن ديجوره (٤) اصباحه

هبنى اقول لهم جنى متعمدا

[قتلي] فأين دمي واين سلاحه ؟

ثالثاً- الفاظ الحزن:

قد يستخدم الشاعر الفاظ ذات دلالات تشير الى الحالة النفسية القلقة الحزينة التي تسكن الشاعر يعبر بها عن انفعالاته ومشاعره. ومن هذه الالفاظ (الموت، تصرم، نيران، فقد، منايا، يأس، أسى، قبح، أكابد، انتحاب، سهاد، اتقاد، انسكاب، رمس، يسوء، بكاء، سأم، دموع، أسف، قتل، جراح، دم، الحمام، غابر، تكلا، جداد، الفناء، البلى، نعش، جثمان، الرزايا، ظلمه، الردى... الخ).

والشاعر في استعماله لتلك الالفاظ، فانه يعبر عن حالة الحزن التي تسكن وجدانه المعذب، يقول: (٥)

ما زلت تنعشها بسبيك^٦ قابضا

منها على الاضباع والاعضاد

(١) الديوان : ٥٩ .

(٢) نفسه : ٥١ .

(٣) المهفف : الظامر البطن .

(٤) الديجور : المظلم او الليل .

(٥) الديوان : ٦٥ - ٦٦ .

(٦) بسبيك : العطاء والكرم .

كيف انهداد بواذخ الاطواد^(١)

حتى اراك ابا محمد الردى

فدلالات هذه الالفاظ تصور لحظات شعرية حزينة تعشش في مخيلة ووجدان
الشاعر الذي يتجرع الم الفراق وقوله:^(٢)

من الغبراء بينكما حجابا
كما يستودع السيف القرابا

يسوء العين ان يعتن^(٣) ردم^(٤)
وان تحتلها غبراء ضنكا

ان هذه الالفاظ قد ساعدت على اشاعة جو الحزن والكآبة، لارتكازها على
احساس الشاعر بفقدان هذا الشخص العزيز على قلبه، والنظر الى الحياة بمنظار
قاتم حزين.

(١) الطود الباذخ : الجبل العالى.

(٢) الديوان : ٣٨ .

(٣) يعتن : يعترض .

(٤) الردم : القبر .

ثانياً - الاسلوب :

الاسلوب : ((هو المظهر المادي لانتاج الاديب، والصلة بينه وبين المخاطبين، او هو طريقة التكلم الخاصة في نقل افكاره الى الناس، وصوغها في جمل وعبارات روعي فيها تحقيق ما ينبغي في صياغة الصور والخيالات الجزئية كما روعي فيها تنظيم اجزاء الموضوع وحسن تنسيقها))^(١). اذا فالاسلوب هو الطريقة التي يتبعها الشاعر في النظم، من هنا كان اسلوب الرصافي البننسي شأنه شأن الشعراء الاندلسيين الذين عاصروه، ((يعتمدون في هذا الفن على اختيار الالفاظ الجزلة غالباً، والعبارات القوية))^(٢). ونحن نرى بأن اسلوب الرصافي البننسي يندرج تحت الاسلوب السهل الممتع فيمزج بسهولة بالتصنع مع السلاسة الواضحة في اسلوبه ورقته وعذوبة الفاظه، وقد يميل اسلوبه في بعض الاحيان الى التكلف في استعمال تشبيهاته واستعاراته وصوره، وهذا ما لمسناه في وصفه اذ اخضع اشعاره لرؤية شعرية تخدم فنه الشعري وليس ذلك غريباً لأن أي شاعر ((في كل جزء من اجزاء القصيدة يقع تحت قبضة رؤياه الشعرية، ويخضع الى نمط اسلوبي معين يمارس من خلال المنهج الذي اصبح يسلكه حتى اصبح بإمكان الباحث ان يحدد هذه الرؤية ويحدد النمط الاسلوبي، ويحدد القلب الشعري المستخدم في رسم جوانب هذه الاجزاء عند كل شاعر))^(٣)، واسلوب شاعرنا لم يكن واحداً في الموضوعات الشعرية جميعها، وهو امر استحسنته القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢)، اذ قال ((اولاً: أمرك بأجزاء انواع الشعر كله مجرىً واحداً، ولا تذهب بجميعه مذهب بعضه، بل ارى لك ان تقسم الالفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك

(١) النقد الادبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد طاهر درويش، دار المعارف، مصر ١٩٧٩، ٢٣٧.

(٢) الادب العربي في الاندلس، علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ٢٠٠.

(٣) وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري محمود القيسي، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٤ م : ٤٢.

كوعيدك، ولا هجاؤك كأستبطنك، ولا هذلك بمنزلة جدك... بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه))^(١).

وشاع في شعر الرصافي البنسي عددا من الاساليب الانشائية وسنحاول فيما يأتي تقديم اهم هذه الاساليب ونبين الاسباب الداعية لها وفائدتها بالنسبة للنص الشعري.

١ - الاستفهام :

((هو طلب الفهم))^(٢) او هو طب العلم بالشىء اذا كان مجهولا وقت الاستفهام عنه ^(٣) ، يميل اليه الشاعر لينوع لغته الشعرية عن طريق التغيير الحاصل في بنية الجملة الشعرية لينأى عن الرتابة المصطنعة والتقليدية. ولعل هذا الاسلوب من اكثر الاساليب وقوعا في الشعر، وذلك لتعدد ادواته، ومن ثم كثرة وظائف هذه الادوات من جهة، وخروج هذه الادوات الى معاني مجازية مختلفة من جهة اخرى. ويتم ذلك اما بحرفي الاستفهام ((هل)) و ((الهمزة)) او بأسماء الاستفهام وهي ((كيف)) و ((كم)) و ((ما))... الخ.

وقد استمال هذا الاسلوب شاعرنا الرصافي فراح يكثر من استعماله، اذ كررت الهمزة في ثانيا شعره اربع عشرة مرة وتأتي للتصديق والتصوير^(٤)، ومن ذلك قوله:

(١) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبى وخصومه: ١٠٧.

(٢) التخليص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط١، ١٩٠٤، حاشية : ١٥٣.

(٣) ينظر: جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد، مصر، ط١٠، ١٩٤٠ : ٨٩.

(٤) ينظر الايضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (د.ت) ١ : ١٣١ - ١٣٢.

اطي كتاب نودع الود بيننا على البعد، ام صدر النسيم اذاهبا

فقد اورد الشاعر ((همزة الاستفهام في صدر البيت ليوضح خصيصة من خصائص هذا الحرف وهي صدارتها في الكلام ثم ورد بعد ذلك ((ام المعادلة)) في عجز البيت ليخرج الاستفهام الى التصور . وربما لجأ الشاعر الى حذف همزة الاستفهام من الجملة الشعرية لينأى عن كون الكلام مستقلا مستكرها ودل على ذلك بايراد ((ام المعادلة)) التي ترد في سياق الهمزة عندما يكون الاستفهام للتصور، يقول: (١)

فتى لم يكن حلو الصفات من الندى ولم يتناس الجود اعدم ام اثرى

والتقدير ((الجود اعدم ام اثرى)).

ويأتي بعد مرتبة الهمزة (هل) وقد استعملها الشاعر اثنتا عشرة مرة وتأتي للتصديق فقط (٢) من ذلك قوله: (٣)

هل الرياح مع الآصال ماسحة
وهل بفر الليلي من معرجة
معاطف الهدف (٤) الممطور ذي الحذب (٥)
على المسيلة من ليلاتها النخب
وهل صبيحات ايام سلفن بها
يبدو مساهها ولو لمحا لمرتقب

فتكرار (هل) في صدر الابيات الثلاثة، نراه يعطي للابيات بعدا جماليا لأن الشاعر لا يفتر في حنينه وسؤاله للوطن والارض.

(١) الديوان : ٧٢ .

(٢) ينظر الايضاح في علوم البلاغة، ص ١٣١ . وينظر كذلك جواهر البلاغة: ٩٢ .

(٣) الديوان : ٤٧ .

(٤) الهدف : المشرف من الارض .

(٥) الحذب : الغلط من الارض في ارتفاع .

ومما يدل على ابداع الشاعر وحسن تصرفه في اساليب اللغة هو الجمع بين
(هل) والهمزة في بيت واحد، يقول: (١)

ابوهم ان الدمع بل حفونه
وهل عصرت يوما من النرجس الخمر

ففي صدر البيت رسم الشاعر صورة البكاء الكاذب بواسطة همزة الاستفهام، وفي
عجزه رسم صورة الخمر وهو يعصر من وردة النرجس وهو محال، وتم له ذلك بواسطة
(هل الاستفهامية) والجامع بين الصورتين هو (انعدام الصدق) وهو استفهام انكاري.

ومن المواضع التي اخطأ الشاعر فيها في استخدام هل قوله (٢):

هل العلا بك بعدها من نهضة
ام لا نقضاء نواك من ميعاد

فقد جمع الشاعر بين اهل (ام) وهو غير جائز لان ام حينئذ تكون بمعنى
بل (٣) ، ويأتي بعد حروف الاستفهام (اسماء الاستفهام) او من الاسماء التي تردت
كثيرا في شعره هي ((كيف)) وهن اسم استفهام يسأل بها الحال (٤). وقد استعملها
الشاعر ثماني مرات، من ذلك قوله: (٥)

وكيف [به] وباع القول فيها
وان طالت مسافته قصير

فقد استعمل كيف في صدر البيت ليبين بها حالة الممدوح وعلو منزلته.

ومن استعمالات الشاعر الرائعة لـ (كيف) في موضع الاسى والحزن
قوله: (٦)

(١) الديوان : ٨٠ .

(٢) الديوان : ٦٥ .

(٣) جواهر البلاغة : ٩٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٣ .

(٥) الديوان : ٨١ .

(٦) الديوان : ٦٦ .

خرج الاسى عن المعتاد

كيف العزاء وانها لرزوية

كيف انسكابك يا ابا الجواد

لك من دمي ما شبت غير منهنه

فالشاعر استعمل اداة الاستفهام في السؤال عن حالته البائسة التي خيم عليها الحزن الشديد .

وتأتي بعد ذلك ((ما الاستفهامية)) التي يستفهم بها عن الافراد غير العقلاء^(١)، وقد تكررت في شعر الرصافي البننسي سبع مرات ومنه قوله: ^(٢)

سواء مات في القلب وشابا

وما معنى الحياة بلا شباب

وقد يميل الشاعر الى حذف ((الالف)) من ((ما الاستفهامية)) تخفيفا عند دخول حرف الجر عليها، والحذف في الشعر يلجأ اليه الشعراء الكبار الذين يمتلكون ثقافة لغوية واسعة تمكنهم من ذلك وشاعرنا واحدا منهم: ^(٣)

عليك لكل قافية شهابا

الام اشب من نيران قلبي

ويصل بنا المطاف الى ((كم الاستفهامية)) التي تدل على العدد^(٤)، وقد تكررت في شعره ست مرات:

ذابت عليك صدى يا وادي العسل^(٥)

كم بين شطيك من ري لجانحة

وبواسطة ((كم الاستفهامية)) يحدد الشاعر نوع الاحساس والرابطة التي تربطه بالاصدقاء الا وهي رابطة صداقة العهد القديم حينما يتذكر مواطن الصبا:

(١) ينظر : جواهر البلاغة : ٩٥ .

(٢) الديوان : ٣٧، وينظر كذلك : ٤٠ ، ٤٤ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٩ .

(٣) الديوان : ٣٦ .

(٤) ينظر جواهر البلاغة : ٩٧ .

(٥) الديوان : ١١٩ .

الى كم ابا بكر نحوم بأنفس ظماء الى عهد الاجيرع او حمص^(١)

ويستخدم الشاعر هذه الاداة في موضع الغزل بقوله: ^(٢)

وكم جهد النسيم به ليحسنها فما قدرا

ومن اللفات ارائعة في استعمال (كم الاستفهامية) في المديح قوله: ^(٣)

كم بيداء قد جاوزتموها فلاذ بظلكم فيها الهجير

نحن نرى ان استعمال الاستفهام (كم) قد زاد من دلالة البيت الشعري على المعنى وهو اظهار شجاعة الممدوح واقدامه.

٢- اسلوب التقديم والتأخير :

هو تغيير سياق تركيب الجملة الشعرية عن طريق خرق قواعد اللغة والخروج بصياغة جديدة تتم عن نضج الابداع لدى الشاعر وسعة تجربته. فيقدم ما حقه التأخير، او يؤخر ما حقه التقديم، ليضفي جمالا ورونقا على اشعاره، وقد نال هذا الاسلوب ثناء نقادنا القدامى ومنهم عبدالقادر الجرجاني حينما قال ((وباب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي بك الى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب ان راقك ولطف عندك، ان قدم فيه شيء، وحول اللفظ من مكان الى مكان))^(٤)، لكن سواء استخدم هذا الاسلوب بالشكل الصحيح قد يجر النص الشعري نحو الانغلاق فيغدو عبئا ثقيلًا تنوء به القصيدة، وقد حدد ابن رشيق استخدام هذا الاسلوب بقوله: ((ومنهم من يقدم ويؤخر: اما لظرورة وزن او قافية

(١) الديوان: ١٠٣.

(٢) نفسه: ٧٨.

(٣) نفسه: ٨٢.

(٤) دلائل الاعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٦١: ٨٣.

وهو اعذر واما ليدل على انه يعلم تصريف الكلام، ويقدر على تعقيده، وهذا هو العيِّ بعينه))^(١)، ولهذا الاسلوب فوائد كثيرة منها رفع الابهام والغموض عن النص الشعري، وابعاد الجملة الشعرية عن الرتابة والسأم، وقد يلجأ الشاعر الى هذا الاسلوب ليحقق التوافق والانسجام بين صدر البيت وعجزه، فيبعد عن ترتيب البيت بحسب قواعد النحو وتسلسل اركان الجملة، كتقديم شبه الجملة من الجار والمجرور والظرف على المبتدأ، والمفعول به على الفاعل... الخ. ومن خلال قرائتنا لنصوص الرصافي البنسي وجدنا تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور والظرف قد حظى بالنصيب الوافر؛ اذ بلغت خمساً واربعين مرة.

من ذلك قوله ^(٢)

لك الود الذي لا ريب فيه وان بقيت نواك على التماذي

فقدم ((لك الود)) الجار والمجرور على المبتدأ قد اعطى قوة اسلوبية للبيت الشعري وجعله اكثر احياءاً، مما زاد من توكيد النص الشعري وتخصيص المودة بهذا الصديق.

ومن جميل تقديمه لشبه الجملة الجار والمجرور قوله : ^(٣)

للعين والقلب في اقباله امل كأنه للشباب الغض ريعان

اذ اخر الشاعر لفظ ((أمل)) وهو المبتدأ وقدم لفظ ((العين)) وهو الخبر، اذ زاد هذا التقديم البيت ايقاعاً موسيقياً جميلاً تضافراً مع التشبيه لخلق صورة جميلة ساعدت في انسجام الصدر مع العجز.

(١) العمدة لأبن رشيق القيرواني : ١ : ٢٦٠.

(٢) الديوان ٦٢ .

(٣) نفسه : ١٢٨.

ويستخدم الشاعر التقديم والتأخير في موضع آخر ومن ذلك قوله: (١)

عليه شكل صنوبري **يفتل من مائه خلاخل**

فالتقديم والتأخير قد حصل في لفظتي (عليه شكل) والذي ساعد في تأكيد معنى البيت وزينه برسم حركة جريان الماء في هذه الشجرة المصنوعة من النحاس. وشاعرنا يتقن في هذا الأسلوب فلم تقتصر براعته في تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور بل وأجاد القول في تقديم شبه الجملة من الظرف والتي تظهر معها حرارة عاطفة الشوق: (٢)

اعندكم انا نبيت لبعدم **وكل يد منا على كبد حرى**

فقدم ظرف المكان (عند) على المبتدأ (لبعدم) ليعطي للبيت قوة تأثيرية بمساعدة الاساليب الاخرى، كالاستفهام الوارد في صدر البيت.

ومن مواقع استخدام الشاعر للتقديم والتأخير هو تأخير الفاعل عن الفعل والفصل بينهما بفواصل، وقد تكرر ذلك في شعره خمس مرات، ومثال ذلك قوله: (٣)

وعلى من اعتمدت سواك ظنونه **في الناس، كلهم لخنصرك القدا**

فقد اخر الشاعر الفاعل ((ظنونه)) عن الفعل وقد فصل بينهما بالمفعول به ((سواك)) والغرض من التقديم التوكيد والتخصيص، لأن الشاعر اراد ان يؤكد ويخصص اعتماد الناس عليه ورعايته لشؤونهم.

ومن تأخيره الفاعل قوله: (٤)

(١) الديوان : ١١٥ .

(٢) نفسه : ٧٦ .

(٣) نفسه : ٥٧ .

(٤) نفسه : ٥١ . وينظر كذلك : ٣٩ .

والجو ازرق وقاد المصايح

في ليلة سدكت بالارض فحمتها

ففصل بين الفعل والفاعل بلفظة (الارض) ليعطي للبيت قوة اكثر وتناسقا يجعله اكثر استحسانا لدى المتلقي لاسيما انه استخدم صيغة المبالغة (وقاد) مما اكسب البيت جمالا ورونقا.

ومن المواطن التي فصل بها الشاعر بين الفعل والفاعل قوله: (١)

ولان له الصعب بعد الجماح

تجلت له مشكلات الامور

ففصل بين الفعل والفاعل في صدر البيت وعجزه بالجار والمجرور ((له)) مما اكسب البيت نوعا من التوازن والانسجام بين شطري البيت، وهذا يدل على حسن التصرف في افانين اللغة .

ومن فصله بالجار والمجرور بين الفعل وفاعله قوله: (٢)

نهبت لها الخيل السهى والفرقدا

نبغي لقاءك وهو اكرم حاجة

فأخر الفاعل ((الخيـل)) وفصل بينه وبين الفعل بالجار والمجرور ((لها)) للتخصيص، اما تقديم المفعول به على فعله فقد ورد ثماني مرات في شعره، من ذلك قوله: (٣)

تملك في الدنيا قلوب الورى حبا

يدا ايديتي منه بالملك الذي

في صدر البيت قدم لفظة (يدا) المفعول به على الفعل ليخصص ويؤكد ان التأييد قد جاء من الممدوح وليس لأحد سواه، وفي عجز البيت فصل بين الفعل والمفعول به بالجار والمجرور ((في الدنيا)) ليبعد البيت الشعري عن الرتابة التي يسببها السير وفق قواعد ترتيب الجملة.

(١) الديوان : ٥٣

(٢) نفسه: ٥٦ .

(٣) نفسه: ٣٤ . وينظر كذلك: ٣٨ ، ٥٤ ، ٥٧ ، ٦٤ .

وكذلك قوله: (١)

قومنا فوزوا بسلوانكم ودعوا بالله من تشوقا

فقد قدم الشاعر المفعول به ((قومنا)) على الفعل والفاعل ((فوزوا)) والغرض من التقديم هنا لكمال العناية والاهتمام لاسيما انها في موضع الغزل.

ومن جميل تقديمه للمفعول به على الفعل والفاعل قوله: (٢)

عدلا ملأت به الدنيا فانت بها بين العباد وبين الله ميزان

فاخذ الشاعر يقدم (عدلا) وهو المفعول به على فعله لتخصيص وتأکید ان صفة العدل راسخة في الممدوح.

ومن تقديمه للمفعول به قوله: (٣)

خبرا يبلغه اليك ودونه امن العداة وراحة الحساد

وقد قدم الشاعر خبرا) وهو المفعول به على الفعل ((يبلغ)).

النداء :

اسلوب من اساليب التعبير التي استهوت كثيرا من الشعراء لما يوفره من مرونة في الخطاب الشعري ويعرف بانه ((طلب المتكلم اقبال المخاطب عليه لحرف ناب مناب ((انادي)) المنقول من الخبر الى الانشاء))^(٤)، وحروف النداء التي استعملها الشاعر هي (الياء، ايا، الهمزة) غير ان استعماله للياء قد طغى على استعماله للأدوات الاخرى اذ وصل عدد مرات ورودها في اشعاره اربعا وعشرين مرة، والسبب برأينا ان هذه الاداة تصلح لكل موضع فهي للقريب والبعيد والمتوسط

(١) الديوان: ١١١.

(٢) نفسه: ١٣٠.

(٣) نفسه: ٦٤.

(٤) جواهر البلاغة: ١٠٩.

البعد، ولأنها تستعمل للخطاب المباشر دون حاجز بين الشاعر وممدوحه، من ذلك قوله^(١) يمدح ابن عبد الملك بن سعيد

يا أحمد الدنيا وقد يغني
عن كنية واسم العظيم عظيم

وقوله أيضا: (٢)

يا واحد الدنيا وسوف اعيدها
مثنى وان اغنى نداؤك موحدًا

ففي الابيات الواردة نلمح النبوة الخطابية باستعماله ياء النداء التي يميل فيها الشاعر الى المبالغة والتفخيم من شأن الممدوح، وهو من المعاني التقليدية الواردة في شعره ويرمي بها الى التعبير عما يدور في نفسه من الاماني العريضة، التي يريد تحقيقها على يد الممدوح، ونحن نرى بأن الشاعر في مدحه يريد ان يجسد صورة البطل المنقذ للأندلس من الضياع والفرقة.

اما اداة النداء الاخرى فهي (الهمزة) وقد تكررت في شعره مرتين من ذلك قوله: (٣)

ابني البلاغة فيم حفل النادي
هبها عكاظ فابن قيس اياد

وقوله أيضا: (٤)

ابني العباس أي حلال
سلبتكم الدنيا واي نضاد

اما اداة النداء الاخيرة التي استعملها الرصافي البلسني فهي (أيا) وقد وردت في شعره مرة واحدة وهي قوله: (٥)

(١) الديوان : ١٢٣ .

(٢) نفسه : ٥٦ .

(٣) نفسه : ٦٣ .

(٤) نفسه : ٦٥ .

(٥) نفسه : ٣٧ .

ايا عبدالاله نداء بأس

وهل ارجو لدى رسم جوابا

فقد استعمل الشاعر الاول (أيا) لنداء البعيد لأن المنادى قد فارق الحياة، ونلمس من خلال استخدام الشاعر للنداء في هذا البيت درجة اليأس التي وصل اليها. وربما نلاحظ ابداع الشاعر وبراعته في حذفه لحرف النداء لدلالة السياق عليه، فيميل الى ذكر المنادى مباشرة ليزيد من قوة شعره المعنوية، لأن المتلقي اول ما يتجه نظره الى المنادى للزيادة في التخصيص، وقد كرر الشاعر ذلك ثمان مرات في شعره، ومنه قوله: (١)

مولاي ماذا عليها مذ حلت بها

ان [لا] يعاونها ناس وبلدان

فقد خاطب الشاعر ممدوحه مباشرة دون استعمال اداة النداء لكي يلصق صفة الولاية والامارة بهذا الممدوح ويخصه لها، ونحن نرى ان ميل الشاعر الى استعمال لفظة ((مولاي)) في وصف ممدوحه وهي من الالفاظ التي شاعت في اشعار العصر العباسي ومن ثم انتقلت الى الاندلس ولم تكن مستعملة عند الشعراء القدامى، يقول يوسف حسين بكار عن انتشار هذه الالفاظ في شعر العصر العباسي ((ويغلب على الظن ان استعمالها مسبب عن تطور الناس في حياتهم الاجتماعية من حيث طريقة التعامل وأساليب المجاملة المتعددة. فمثل هذه الالفاظ لم يقصد معانيها الحقيقية بقدر ما تدل على اغراق في المجاملة والتطرف والميل الى الرقة والتلطف وربما العبث عند بعض الشعراء)) (٢).

وكذلك قوله في الاخوانيات: (٣)

(١) الديوان: ١٢٩.

(٢) اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري، دار المعارف - مصر، ط١، ١٩٧١ : ٣٩٥

(٣) الديوان : ١٠٣ ، وينظر نفسه : ١١٠ - ١١١

سلام ابا بكر عليك ورحمة تحية صدق من اخ لك مختص

اذ حذف الشاعر حرف النداء (الياء) من الكلام تخفيفا. والملاحظ ان الشاعر قد زين البيت حلة جميلة باستخدامه تحية الاسلام ليدلل على الاخوة الاسلامية التي تربطه بهذا الصديق.

وقد تخرج حروف النداء من موضعها الى التثنية اذا دخلت على الفعل (حبذا)، ومن ذلك قوله: (١)

حبذا منزلنا مغتبقا حيث لا ينظرنا غير الهديل

فقد حذف حرف النداء من الكلام تخفيفا.

وقد يخرج النداء الى معاني مجازية كخروجه الى التعجب (٢) في قوله: (٣)

ويا لك صحة جلبت حياة
تعيش بها المنابر والثغور
فما وصل اللسان ولا الضمير

الامر :

واحد من اساليب الطلب المهمة فيه (استعلاء والزام) (٤) يعبر فيه الشاعر عن شعوره وعاطفته الانسانية وما يختلج في نفسه من احساس وجدانية، ولهذا الاسلوب صيغ مختلفة منها صيغة فعل الامر او الفعل المضارع المسبوق بلام الامر او المصدر النائب عن فعل الامر او اسم فعل الامر، فان كان الامر صادرا من الاعلى الى الادنى، فهو امر حقيقي، اما اذا كان الامر صادرا من ادنى الى اعلى فهو امر مجازي يخرج الى الدعاء، واذا كان الامر والمأمور برتبة واحدة فانه يخرج الى الالتماس. ومن خلال قراءتنا لشعر الشاعر يتبين لنا ان الشاعر قد ركز كثيرا على

(١) الديوان : ١٠٣، وينظر كذلك ١١٠، ١١١.

(٢) جواهر البلاغة : ١١١.

(٣) الديوان : ٨٠-٨١.

(٤) ينظر جواهر البلاغة : ٨١-٨٢.

استعمال صيغة فعل الامر، وكان عدد مرات استعماله تسعا وعشرين مرة، ومنها قوله: (١)

راوح بنا السهل من اكنافها وارح
ركابنا ليلها من التعـب
وانضح جوانبها من مقلتيك وسل
عن الكثيب الكريم العهد في الكثب
وقل لسرحيه يا سرحة كرمـت
على ابي عامر: عزي على السحب

فقد استخدم الشاعر صيغة الامر مرتين في البيت الاول والثاني ومرة واحدة في البيت الثالث مما يوحي ذلك بترابط البيت الشعري من خلال فعل الامر وجوابه، واما الغرض الذي خرج اليه الامر هنا فهو للالتماس لأن الشاعر والمخاطب برتبة واحدة.

وكذلك قوله: (٢)

فقف وقفة المحبوب منه فانها
شمائل مشغوف بمرآك مشتاق
وصل زهرات منه صفرا كأنها
وقد خضلت قطرا محاجر عشاق

ومن الصيغ الاخرى للامر هي صيغة الفعل المضارع المسبوق بلام الامر^(٣)، وقد وردت في شعره اربع مرات، من ذلك قوله: (٤)

ولتعلمي ان ظقت يا
ورقاء ذا جفن اريق
وقوله ايضا: (٥)

واذا صدرت مبينة
لتبليغي النبأ المشوق

(١) الديوان : ٤٤ .

(٢) نفسه : ١١٣ .

(٣) جواهر البلاغة: ٨٢ .

(٤) الديوان : ١١٠ .

(٥) نفسه .

وكذلك قوله: (١)

ان القلوب مواطن الاوطان

خوضا الى الوطن البعيد جوانحي

وقوله (٢) في الرثاء:

حتى تجاذبك الثرى والماء

عجبا لشخصك كيف اعيا كنهه

وفي نهاية المطاف لاسلوب الامر نجد لزاما علينا ان نوضح بأن الرصافي البنسي استعمل اسلوب الامر على جهة الدعاء تارة والالتماس تارة اخرى وهو امر ليس فيه اختلاف لأنه يخاطب اصدقاءه او ممدوحيه فانه يلتمس الاحترام المتبادل وطلب الجاه والكرم، وحقق هذا الاسلوب اللغوي للشاعر غايات واهداف عظيمة استطاع به الوصول الى الباب الناس وملك عقولهم.

اسلوب النهي:

((هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء والالزام)) (٣)، بواسطة لا الناهية الجازمة والفعل المضارع المجزوم المسند الى المخاطب او الغائب وفائدته تقوية معنى النص الشعري، وقد يخرج النهي الى اغراض بلاغية منها الدعاء اذا

(١) نفسه : ١٣٢ .

(٢) نفسه : ٣١ .

(٣) جواهر ابلاغة : ٨٦-٨٧ .

كان النهي صادرا ممن هو ادنى من رتبة المخاطب، ومنها الالتماس اذا كانا برتبة واحدة، وقد ورد ذلك في شعره خمس مرات ومن ذلك قوله: (١)

لا تكثروا صلة النواظر بعده
ديم الدموع فاتها من نوءه
وقوله ايضا: (٢)

لا تثرها فتنة من ربرب
ترعد الاسد لديه فرقدا

ففي البيتين السابقين قد خرج النهي الى الالتماس لانه صادر عن هو بمرتبة المخاطب، وقد يخرج الى الدعاء كما في قوله يمدح عبد المؤمن: (٣)

لا يذهلن لتقليل اخو سبب
من الامور ولا يركن لتكثير

والنهي في هذا البيت قد جاء صادرا من الشاعر الذي هو اقل رتبة من الممدوح او المخاطب فخرج الى الدعاء.

(١) الديوان: ١٣٤، وينظر كذلك ٤٨، ٥٢، ٦٤.

(٢) نفسه: ١١٠.

(٣) الديوان: ٧٣، وينظر كذلك ٧١، ٥٤.

اسلوب الشرط :

اسلوب مهم من اساليب العربية شاع كثيرا في نتاجات الشعراء، ويعني وجود امرين يكون احدهما سببا في حصول الآخر، فيؤلف هذا الاسلوب جملتين، الاولى جملة فعل الشرط والثانية جوابه مما يؤدي الى زيادة التوافق والانسجام بين الاشياء، ويؤدي هذا الاسلوب من طريق ادوات خاصة، استعمل منها شاعرنا ابرزها وهي (لو) و (لولا) و (اذا)، ومن الواضح في استعمال كل منها، ان الحرف ((لو)) قد طغى استعماله على بقية الادوات، اذ وصل الى ثماني عشرة مرة منها قوله: (١)

لو لم يعدوا من دعائم بيتهم ربح السماك لخانه التقويم

فجملة (لو لم يعدوا...) هي جملة فعل الشرط، وجملة (لخانه التقويم) جملة جواب الشرط والتي اعطت نوعا من المواءمة للبيت الشعري.

ومن بديع قوله (٢) في الشوق والحنين :

لو ان بالورق ما بقلبي لاحترق تحتها الغصون

فدلت (لو) على الامتناع او ما تسمى (حرف امتناع لامتناع) (٣)، وقد امتنع احتراق الورق لامتناع وجودها في قلبه.

وكذلك قوله (٤) في المدح:

فلو لحقتم زمان الوحي نزل تلك الصفات مكان الشعر قران

(١) الديوان : ١٢٣ . وينظر كذلك :

٤١، ٤٥، ٤٧، ٥٣، ٧١، ٧٦، ٧٧، ٨٦، ٨٧، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٦، ١١٩، ١٢٣ .

(٢) الديوان : ١٣١ .

(٣) الايضاح في علوم البلاغة : ١ : ٩٥ .

(٤) الديوان : ١٣١ .

والمعنى (قد امتنع نزول قرآن فيكم ايها الممدوح لامتناع لحاقدكم زمان الوحي)، فايحاءات هذا الاسلوب الراقي قد زاد من تقوية المعنى وجعل الجملة الشعرية ترتبط ارتباطا جدليا بعضها ببعض الآخر.

وقد يستعين الشاعر في تحسين ابياته بالاداة (لو) مع المنادى المرخم في قوله: (١)

لو شئت قمت معي يا صاح ملتفتا الى سويقة من غربيها الخرب

فنحن نرى ابداع الشاعر وتوفيقه في الجمع بين اسلوبي الشرط والنداء ومجىء المنادى بصيغة المنادى المرخم ((يا صاح)) مما اعطى للبيت الشعري قوة اسلوبية ومعنى طريفا ادى الى توافق وانسجام بين شطري البيت.

ومن الادوات الاخرى ((لولا)) وهي حرف امتناع لوجود^(٢)، وقد تكرر ذلك في شعره ثلاث مرات من ذلك قوله: (٣)

وما ذكرها لولا شفا من علاقة تتبعها نفسي تتبع مستقصي

فقد استعمل الشاعر (لولا) استعمالا موقفا لأن (لولا) اداة شرط غير جازمة لا يأتي بعدها الا اسم يعرب مبتدأ خبره محذوف تقديره موجود مما زادت البيت تماسكا اكثر بواسطة هذا الاسلوب.

وقوله في الرثاء: (٤)

ولكم يرى بك من هضاب لم تكن لولاك غير دكادك ووهاد

فالاداة (لولا) قد خصصت فضل هذا المرثي على الناس واعطت للبيت رونقا وجمالا اكثر واسبغت على المرثي نوع من التفخيم .

(١) الديوان : ٤٧ .

(٢) الايضاح : ١ : ٩٦ .

(٣) الديوان : ١٠٤ .

(٤) نفسه : ٦٥ ، وينظر كذلك : ٤٥ .

واستعمل الشاعر أداةً أخرى من أدوات الشرط لكي لا يحصر ابداعه في جانب واحد وليبعد المتلقي عن الملل والرتابة ، ومن هذه الأدوات هي (إذا) وهي أداة شرط غير جازمة وهي ظرف لما يستقبل من الزمان ^(١)، وتستعمل للدلالة على المعنى الغالب وقوعه والكثرة في حصوله، وقد تكررت سبع مرات، من ذلك قوله: (٢)

إذا تذكرت اوطانا سكنت بها فلا يكن منك للاضلاع نسيان

ومن استعماله ايضا للاداة (إذا) قوله: ^(٣)

إذا كرمت عهود المء طبعاً فاكرم ما يكون على البعاد

وقال في الحنين: ^(٤)

اناس إذا لاقيت من شيت منهم تلقوك لا غث الحديث ولا غمرا

فنحن نرى الشرط المتحقق في استعمال أداة الشرط (إذا)، وقد اعطته دققاً معنوياً افاد كثيراً من الصور التي وصف بها الشاعر نفوس اصدقائه ومحبيه. وآخر الأدوات التي استعمالها الشاعر هي ((اما التفصيلا الشرطية)) من ذلك: ^(٥)

اما وقد طفنا البلاد فلم نجد لك ثانيا فكن الكريم الاوحدا

وفي نهاية المطاف مع اسلوب الشرط فنحن نرى إن الشاعر في استعماله لأدوات الشرط قد اعطى لأدوات الشرط غير الجازمة مكاناً اوسع في شعره من

(١) ينظر جواهر البلاغة : ١٦٩ .

(٢) الديوان : ١٢٩ .

(٣) نفسه : ٦٢ .

(٤) نفسه : ٧١ ، وينظر كذلك : ١١٦ ، ١١٠ ، ٨٣ ، ٥٩ .

(٥) نفسه : ٥٦ .

الادوات الجازمة لما تمتعت به الادوات غير الجازمة من مرونة اكثر، مما عكست لنا المقدرة التي تمتع بها الشاعر وحسن توظيفه لهذه الادوات بالشكل الرائع الجميل.

اسلوب التمني والترجي:

هو طلب امر محبوب لا يرجى حصوله اما لكونه مجالا او لكونه غير مطموح في تحقيقه^(١). والاداة المستخدمة في هذا الاسلوب هي ((ليت)) وقد وردت في شعره مرتين ومنها قوله:^(٢)

فليت احم مسك قد عاد غيما فحام على صريحك ثم صابا

فالملاحظ على استخدام الشاعر لـ((ليت)) انه تمنى ان يتحول هذا المسك الى غيم ليهطل على ضريح المرثي وهو امر عسير التحقيق، ونحن نرى بأن لجوء الشاعر الى هذا الاسلوب هو لغرض التعبير عن اصرة الحب نحو المرثي وكذلك ليعطي للبيت الشعري قوة وجزالة كادت ان تنتفي لولا هذا الاسلوب .

ولم يقتصر استخدام الشاعر على ليت في التمني وانما استعمل ((هل)) مجازا للتعبير عن التمني وفائدتها هي ابراز التمني في صورة الممكن القريب الحصول لكمال العناية به والتشوق اليه^(٣) ومنه قوله:^(٤)

هل الغيب يوما مفرجا لي بابه فانظر منه كيف انسك في حمص

اما الترجي : فهو امر محبوب يمكن حصوله^(٥) والاداة المستخدمة لذلك هي ((لعل))، وقد وردت عند الرصافي البننسي.^(٦)

لعله قد اعار يوما نكهتها طيب مرشفيه

(١) جواهر البلاغة: ١٠٧.

(٢) الديوان: ٣٩، وينظر كذلك: ٦٥.

(٣) ينظر جواهر البلاغة، هامش: ١٠٨.

(٤) الديوان: ١٠٤.

(٥) جواهر البلاغة: ١٠٨.

(٦) الديوان: ١٣٢.

وقد وردت اساليب اخرى في شعر الرصافي البننسي، ولكن لقلّة ورودها في شعره لم نشأ ان نفصل القول فيها وسأوردّها انشاء الله على وجه السرعة . ومن هذه الاساليب اسلوب الاستثناء ورد ثلاث مرات في شعره ومنه قوله: (١)

ومن المتمم في الزمان صنيعه الا كريم شأنه التتميم

فقد ورد الاستغناء مفرغا لأن الكلام منفي والمستثنى منه غير مذكور والتقدير ((ما متمم في الزمان احد الا كريم)).

والاسلوب الآخر هو الحذف، فمن انواع الحذف التي جاءت في شعره:

حذف الحروف : ومنها حذف (ربّ) ومن ذلك قوله: (٢)

ومستفهم لي كيف كان ورودها فقلت له: ورد الشفاء على السقم

فقد حذف ((ربّ)) من الكلام مما زاد من بلاغة البيت وجماليته.

ومن حذف الحروف ، حرف همزة الاستفهام وبياء النداء وقد سبق الكلام عنهما.

حذف المسند اليه من الجملة الاسمية ومنه قوله: (٣)

محمولة حمل الحسام وان خفي النجاد هناك والعمد

(١) الديوان: ١٢٢، وينظر كذلك: ٧٦، ٩٥.

(٢) نفسه: ١٢٥.

(٣) نفسه: ١٠٤، ١٠٣، ٨٧، ٨٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦١.

وقوله: (١)

نجم بأرض سلا أراب سقوطه قد كنت اسرح في مطارح ضوئه

فالتقدير (هي، هو) فقد اعطى هذا الحذف جمالا خاصا للأبيات ساهم في تنبيه المتلقي وفتح ذهنه لما يريد الشاعر من قصد بعد ذكر المسند.

(١) الديوان: ١٣٤.

المبحث الثاني

الصورة الشعرية

لعل اقدم اشارة في التراث النقدي والبلاغي العربي لهذا المصطلح ما اورده الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) بقوله ((الشعر صناعة وجنس من التصوير))^(١)

وقول ابن طباطبا (٣٢٢هـ) ((لفظ الصورة عن ظروب التشبهات، والتشبهات على ظروب مختلفة منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة، ومنها تشبيه معنى، ومنها تشبيه لون، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض))^(٢)

وهذه الاشارات تشير الى ان الصورة عنصر فعال من عناصر بناء القصيدة الفني. اما مصطلح الصورة في النقد الحديث فقد تعددت الاتجاهات في تحديد هذا المصطلح تحديدا نهائيا وشاملاً لأختلاف رؤية هؤلاء الدارسين لهذا المصطلح، وهي تعني عندهم ((رسم قوامه الكلمات المشحونة بالاحساس والعاطفة))^(٣).

من هذا المنطلق تظهر اهمية الصورة في بناء النص الشعري، فهي التي تمنحه الخيال، وهي الواسطة بين الشاعر والمتلقي، فكلما كانت الصورة جميلة معبرة نابغة من الوجدان كلما ملك الشاعر بها الباب لقلب سامعيه. فالصورة اذن المعيار الاساسي الذي يتوقف عليه نجاح النص الادبي، او فشله، وهي وسيلة الشاعر في التعبير عن عواطفه واخيلته، بواسطة الالفاظ والتراكيب ذات الدلالات الايحائية المعبرة التي تحدث الوقع العظيم في النفس الانسانية المتلقية وتسحرها.

(١) الحيوان للجاحظ : تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٦٩ : ٣ : ١٣٢.

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا: ١١.

(٣) الصورة الشعرية: سي دي لويس، ترجمة احمد نصيف الجنابي وآخرين، مراجعة د، عناد غزوان، دار الرشيد للنشر - بغداد ١٩٨٢، ٢٣.

وسائل تشكيل الصورة:

١-التشبيه:

واحد من اهم اساليب البيان المهمة، ويدخل كعنصر بارز في مجال التصوير الشعري، وهو (من اقدم صور البيان واوسع الصور او الفنون استعمالا في الشعر العربي)^(١)، فهو معين لا ينضب يمد الشاعر بالصور الجميلة الرائعة التي تزين النص الشعري وتجعله اكثر بهاءً واشد جمالاً، ويعرّف التشبيه بانه ((الوصف بأن احد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه))^(٢) او (عقد الصلة بين شيئين او اشياء لا يمكن ان تفسر على الحقيقة لأنها لو فسرت كذلك لأصبح كذباً)^(٣). وقد استهوى هذا الفن ارسافي البننسي الى حد الغلو والمبالغة، فنراه يستعين به كثيراً في رسم صورته الشعرية لما فيه من مزايا كثيرة تمكن الشاعر من تحقيق اهدافه ومراميه، لأن هذا الاسلوب لما يتصف به من وضوح الاسلوب والتعبير عما يدور من انفعالات داخل نفسية الشاعر وما يجول في اعماقه من معاناة والم وعواطف جياشة يعبر به عن رؤيته الى الاشياء بادق الاوصاف واحلاها.

لقد تعددت صور التشبيه عند الرصافي البننسي الى ان الاكثر استعمالا من الشاعر هو التشبيه المرسل او الصريح ، الذي دخل في تشكيل اغلب صورته الشعرية والادوات التي استعملها لذلك هي (الكاف، كأن، مثل)، ومن خلال احصاء الادوات التي استعملها الشاعر ظهر لنا جليا بأن الاداة ((كأن)) كانت اكثر الادوات وروداً في شعره فذكرها احدى وثلاثين مرة، وارتقت هذه الاداة مكان الذروة لما تتميز به من قوة في التشبيه لانها تتكون من ((كاف التشبيه)) و((ان)) التي تقيّد التوكيد تعطي للشاعر قدرة في استيعاب تفاصيل صورته الشعرية وتعينه على الشرح والاطالة بحيث تترجم انفعالاته ورؤاه بدقة ووضوح.

(١) فنون بلاغية : د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية - الكويت ١٩٧٥ : ٢٧.

(٢) الصناعتين: ٢٣٩.

(٣) فنون بلاغية: ٣٦.

ومن استعماله الطريفة لهذه الاداة قوله في الاخوانيات:

دعاك خليل والاصيل كأنه **عليل يقضي مدة الرmq الباقي**

فلاحظ الصورة التي رسمها الشاعر لوقت الغروب التي تشبه المريض الذي يلتقط انفاسه الاخيرة وهي بلا شك صورة حزينة استمدتها الشاعر من احياءات الغروب عندما يقف الانسان متأملا لها.

ومنه قوله: (١)

الى شط منساب كأنك ماؤه **صفاء ضمير او عدوية اخلاق**

ففي هذا البيت يعبر الشاعر عن فضيلة الوفاء في رسم لهذا مشبها اياه بالماء العذب الصافي كصفاء الضمير الحي الذي ينعكس صفاءه على الاخلاق فيحسنها ويجعلها عذبة يحظى برضاء الله والناس، والملاحظ على استعمال الشاعر لهذه الاداة في هذا الموضع انه اراد ان يعطي لبيته الشعري دقة متناهية في وصف هذا الصديق، وبراعة في تصوير خصاله.

ومن بديع قوله في استعمال كأن في موضع ارثاء قوله: (٢)

يا وردة جادت بها يد متحفي **فهى لها دمعي وهاج تأسفي**

حمراء عاطرة النسيم كأنها **من خد مقتبل الشبيبة مترف**

في هذا البيت رسم الشاعر صورتين، الصورة الاولى صورة الورد الحمراء التي تعج بالرائحة الطيبة عند مرور النسيم عليها، والصورة الثانية صورة الانسان المترف الذي هو في ريعان الشباب، واراد الشاعر ان يعبر عن هاتين الصورتين بدقة، فالورد الحمراء دلالة على الدم، وصورة الشباب دلالة على ان المقتول كان في بداية عمره، فاستطاع الشاعر ان يوصل الصورتين الى ذهن المتلقي بواسطة ((كأن)).

(١) الديوان: ١١٣.

(٢) نفسه: ١٠٩.

وقوله في المدح: (١)

كأن الليل في يده اسير

تخلصنا بها من كل هم

فجفن نائم وحشا قرير

وبتنا في دارها كيف شئنا

فيرسم الشاعر صورة الامن والطمأنينة التي خيمت على المجتمع الاندلسي ظل هذا الامير الذي ملك الهيمنة والسيطرة على ما يدور حوله وبسبب عدله فقد انعكس ذلك على نفسية الانسان مما جعل افراده يعيشون في افراح ومسرات دائمة . ومن الصور الجميلة التي استعان الشاعر بـ(كأن) في رسمها قوله (٢) في الحنين :

فصير من شرخ الشباب لها عمرا

كأن عروسا ابدع الله حسنها

فقد شبه الشاعر مدينة بنسية بالعروس الجميلة التي تفيض حيوية وجمالا كحيوية الشباب، وهي بلا شك صورة جميلة تفيض عذوبة استعمل فيها الشاعر خياله الواسع وعاطفته المتوقدة وفكره النير، مما اضى على هذه الصورة رونقا وشفافية تدل على رهافة حسه.

وقوله ايضا: (٣)

تخال لجينا في اعاليه او تبرا

نبات كأن الخد يحمل نوره

نواحيه الازهار فاشتبكت زهرا

وماء كترصيع المجرة جللت

فشبه الشاعر نبات مدينته بالخد الذي يحمل الورد المتفتحة ازهاره بألوانها البراقة والتي تشبه الفضة والذهب، مضافا اليها عنصر الماء الذي انتشرت بسببه الازهار في الحدائق والرياض.

(١) الديوان: ٨١ .

(٢) نفسه: ٧٠ .

(٣) نفسه: ٦٩ .

والملاحظ على هذه الصورة انها مستمدة من البيئة الطبيعية للشاعر والذي يبدو فيه اثر الاداة ((كأن)) و((الكاف)) في رسم ملامح الصورة .

ومن الصور الاخرى التي وردت فيها ((كأن)) قوله يمدح الوزير الوقشي: (١)

وكأنما فاق الاتام بهم نسب الى القمرين يمتد

فالممدوح مثبه بالقمر والشمس في علو منزلته ورفعته، وبهذا قد تجاوز كل البشر بهذه المنزلة، ونلاحظ نوعا من المبالغة في هذا البيت ((لأن اشعر الناس من استجيد كذبه، وأضحك من رديئه)) (٢) كما يقول صاحب العمدة، وقد توصل الشاعر لأبراز صورته هذه بواسطة الاداة ((كأن)).

وتأتي اداة التشبيه ((الكاف)) بالمرتبة الثانية عند الرصافي البلنسي، فبلغ استعمالها ثمان وعشرين مرة، وهي ثلاثم كثيرا التشبيهات القصيرة فضلا عن كونها تعبر عن المعاني بأقصر الطرق وايسرها، وهي تساعد الشاعر على حشد اكبر قدر من المعاني بعبارات مختصرة ومسبوكة.

وقوله في المدح: (٣)

من معشر نجم العلاء بهم زهراً كما يتناسق العقد

فدور اداة التشبيه ساعد على تكثيف المعنى بعبارة مختصرة فاراد الشاعر ان يقول للممدوح انه من سلالة قد ورثت الحكم والمجد كاهلا عن كاهل فالابن يرث من الاب والاب يرث من الجد وهكذا، فبدلاً ان يقول ذلك استعان بالكاف وجاء بالمشبه به وهو تناسق العقد وانتظامه، مما ابعد الكلام عن السردية النثرية. ومن صور الشاعر التي رسمها بالاعتماد على التشبيه، قوله: (٤)

(١) الديوان :

(٢) العمدة : لابن رشيق : ٢ : ٦٢ .

(٣) الديوان : ٦٠ ، وكذلك ينظر : ٨٢ .

(٤) نفسه :

يبني الحفيد كما بنى الجد

مستأنفين قديم مجدهم

وقوله ايضا: (١)

كما عرفت من القمر الشهور

وتعرف من منازل المعالي

والاداة الاخيرة التي استعملها الرصافي البنسي في التشبيه هي (مثل) وقد تكررت في شعره سبع مرات والتي اراد الشاعر من خلالها اظهار براعته الشعرية في مجال توليد الصور ورسمها بدقة والتي تحمل معها قيما جمالية واسعة ، ومن هذه التشبيهات التي وردت فيها اداة التشبيه (مثل) قوله (٢) في الحنين:

تملي الصبا فيها حقيبتها عطرا

ولا مثل مدحو من المسك تربة

فلاحظ الصورة الجميلة التي نسجها خيال الشاعر فيرى تربة مدينته قد ملئت مسكا حتى لتغدو ريح الصبا تملأ افاقها عطرا فواحا يبعث البهجة في نفوس المارين بها. ولا يخفى في هذا الموضع اثر اداة التشبيه (مثل) التي تمثل المحور الذي دارت عليه الصورة.

وقوله (٣) وصف فتى رفاء

مثلما يمस्क الغزال العراره

اغيد (٤) يمस्क الحرير بفيه

فالشاعر يشبه هذا الفتى بغزال يحمل نبات العرار وهو نبات جميل اصفر اللون وتبدو هذه الصورة متناسقة متعادلة، فصورة الفتى وهو يحمل الحرير بفيه تشبه صورة الغزال وهو يحمل هذا النبات الجميل.

(١) الديوان : ٨٣ ، وينظر كذلك : ١٠٨ .

(٢) الديوان : ٦٩ .

(٣) نفسه : ٧٨ .

(٤) الاغيد : الناعم البدن .

وقوله في وصف صنوبرة^(١):

تعب فيها لجينيا فتنفخه اعطافها مثل اشطار الخلاخيل

فالشاعر يرسم صورة الماء وهو يخرج من ثقب هذه الصنوبرة النحاسية، وما تحدثه هذه الحركة من صوت يشبه صوت الخلاخيل التي تضعها المرأة في قدميها ، وهذه الصورة اعتمدت على الحركة والصوت، وساهم التشبيه بـ(مثل) على اعطاء هذه الالة الجامدة نوعا من الحركة والحيوية .

وشاع التشبيه البليغ في شعر الرصافي البلنسي كثيرا و ((هو ما حذف فيه اداة التشبيه ووجه الشبه))^(٢) .

ومن ذلك قوله في غلام حائك^(٣):

جذبا بكفيه او فحصا باخمصه تخبط الظبي في اشراك محتبل^(٤)

فصورة الفتى وهو يعمل في هذه المهنة وكثرة الخيوط التي تحيط به تشبه صورة الظبي الذي يقع في حبال الصياد فيبقى دائم الحركة، والملاحظ على البيت ان الشاعر حذف الاداة ووجه الشبه، وصولا الى تكثيف المعنى واختصاره لكي تكون الصورة حسنة جميلة في نفس المتلقي.

(١) الديوان : ١٥٠ .

(٢) جواهر البلاغة : ١٨١ .

(٣) الديوان : ١١٦ .

(٤) محتبل : صائد .

وكذلك قوله في المدح: (١)

سرت الجياد به الي وفتية
سفروا فقلت: اهلة ونجوم

فصورة الممدوح في سيره نحو الشاعر كأنها صورة الهلال تحيط به النجوم من كل جانب، فالتشبيه البليغ مال هنا الى الاختصار في اطراف التشبيه والتي اراد الشاعر من خلاله ان يرفع من صورة الممدوح وتحسينها في نظر الناس.

ومن الاختصار والتكثيف الذي اوجده التشبيه البليغ قول الشاعر في وصف زنجي: (٢)

وزنجي الم بنور لوز
فقال فتى من الفتيان صفه
وفي كاساتنا بنت الكروم
فقلت: الليل اقبل بالنجوم

فصورة الزنجي المعتمة تشبه الليل وظلمته وانعكاس الضوء على الغصن المحمول في يده كأنه نجوم، ونلمح في هذا النص الشعري البراعة والدقة في التشخيص الذي ينم عن مقدرة الشاعر في التصوير.

ثانياً - الاستعارة:

هي النوع الثاني من انواع البيان وتعني ((نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة الى غيره لغرض، وذلك الغرض اما ان يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه او تأكيده او المبالغة فيه او الاشارة اليه بالقليل من اللفظ، او تحسين المعرض الذي يبرز فيه)) (٣)، وهذا يعني انها لا تستخدم المفردة اللغوية في مكانها الحقيقي وانما تخرج بهذا الاستعمال الى معاني مجازية بعيدة لغرض اظهار المعنى جلياً، وهي وسيلة بلاغية اتكأ عليها شاعرنا في تشكيل صورته الشعرية، والاستعارة

(١) الديوان : ١٢١ .

(٢) نفسه: ١٢٦ .

(٣) الصناعتين: لأبي هلال العسكري: ٢٦٨ .

تشبيه حذف منه احد طرفيه، الا انها ((اسمى من التشبيه في التصوير وخلق الصور الشعرية، لأنها تخيل. وبهذا تكتسب القدرة على التلوين والتصوير))^(١).

ويقول في الوصف:^(٢)

تبسم الزهر حين يبكي بأدمع ما رأيين باسا

ففي قوله (تبسم الزهر) استعارة أجاد فيها الشاعر بما تتمتع من خيال واسع ساعده على خلق صور ' جديدة حاول من خلالها ان يحرك الاشياء ويحولها الى عالم مليء بالحركة والاحساس.

وقوله ايضا:^(٣)

من كل جفن يسيل سيفا صار له عمده رئاسا

لقد تمكن الرصافي البنسي من تطويع الفاظه عن طريق التوسع في الاكثار من الاستعارات بحيث يبدو مفهومها اوسع فيستوعب كل ما في هذا الكون من اشياء عديمة الحركة والحس، وهو ما يعرف بالتشخيص الذي يميل اليه الشاعر في بث الروح في الجمادات . ومن ذلك قوله في وصف الجبل:^(٤)

وادرد من ثناياه بما اخذت منه معاجم اعواد الدهارير

فالاستعارة في قوله (وادرد) اذ حذف المشبه وابقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فالجبل شيء مادي منحه الشاعر صفة من الصفات الانسانية وهي تساقط الاسنان لكثرة تعاقب الدهور عليه، فخلق بذلك صورا جديدة ومبتكرة.

(١) الشعرية: د. احمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابعون، ج ٣-٤، ١٩٨٩ : ٧٣.

(٢) الديوان : ١٠٠.

(٣) نفسه: ١٠٠.

(٤) نفسه: ٩٣.

التشخيص :

هو فن من فنون التصوير الاستعاري، وتبرز اهميته من خلال بث الحياة في المواد الحسية الجامدة والذي ترفع فيه الاشياء الى مرتبة الانسان مستعيرة صفاته ومشاعره^(١) ومن ذلك قوله:

فاني ربما استسقيت يوما لك الحونين جفني والسحابا
فتخجل من ملوحتها دموعي اذا ذكرت شمائلك العذابا

فقد خلع الشاعر على دموعه صفة إنسانية وهي الخجل محاولة منه في بث الحركة والحياة فيها لتؤدي غاية في نفسه ويسمو في عالم فسيح مع خياله ليعطي لعلاقته بهذا الصديق بعداً إنسانياً.

ومن استعاناته بالتشخيص في رسم الصورة قوله في التهنئة:^(٢)

سراء شب بها الزمان الاشيب وسماء مجد ويد فيها كوكب

فقد رسم الشاعر للزمان صورة انسان قد شاب رأسه من كثرة تعاقب الايام والدهور عليه لكنه فجأة يتحول الى شباب لولادة هذا الطفل، والملاحظ على هذه الصورة ان الشاعر مال فيها الى نوع من التعليل الطريف وتوليد المعاني.

وقد يأتي التشخيص مقترنا بحكمة لطيفة كما في قوله:^(٣)

يا صاحبي ويد الايام مثبتة في كل صالحة سهما من النوب

فـ(يد الايام) استعارة تشخيصية اراد الشاعر فيها ان يجعل للأيام بدأً للدلالة على غدر الزمان.

واوضح ما ورد التشخيص عند الرصافي الابيات التي قالها في وصف الجبل:^(١)

(١) الصورة الفنية في شعر ابي تمام: د. عبدالقادر الرباعي، نشر جامعة اليرموك - اربد، ط١، ١٩٨٠ : ١٦٩.

(٢) الديوان: ٣٩.

(٣) نفسه: ٣٩.

وساقها فوق حادي العير للغير
عجيب امره من ماض ومنظور
بادي السكينة معفر الاسارير
خوف الوعيدين من دك وتسيير

محنك حلب الايام اشطرها
مقيد الخطو جوال الخواطر في
قد واصل الصمت والاطراق مفتكرا
كأنه مكمد مما تعبه

فالجبل هنا رجل وقور ذاق مرارة وحلاوة الدهر حتى اصبح محنكا كثيرا
التجارب لتعاقب الدهور عليه لكن هذا الجبل قد عرف مصيره وما ينتظره من يوم
عصيب الا وهو الدك الذي يصيب الجبل يوم القيامة والتي اشار اليها القرآن الكريم،
والشاعر في هذه الابيات يرمز الى نفسيته الحائرة المؤمنة بقضاء الله ووعدته والتي
يحاول من خلالها ان يجد لهذه الامة منقذا يخرجها من الفرقة والتشرد الى الوحدة
والعيش في ظل كيان اسلامي ينشد الطمأنينة والعدل والمساواة.

وقوله: (٢)

قد يسكت السيف والاقلام ناطقة
والسيف في لغة الاقلام لحن
فقد اعطى الشاعر للسيف السكوت وللقلم النطق وهي صفات انسانية .

التجسيم :

(١) نفسه: ٩٣ .

(٢) الديوان: ١٣٠ .

هو ((ايصال المعنى المجرد مرتبة الانسان في قدرته واقتداره))^(١)، وهو عملية معقدة يحتاج الى كثير من التركيز والانطلاق بعيدا في الخيال. فمن صور الرصافي البنسي التي استعان بالتجسيم في رسمها، قوله في الوصف:^(٢)

والدجى يشرب صهباء الاصيل

طائر شاد وغصن منشن

وقوله في الرثاء:^(٣)

من طول ليل في قميص حداد

حسب الزمان عليك ثكلا ان يرى

وقوله في الرثاء ايضا:^(٤)

للجار بعدك واقشعر الوادي

قد طأطأ الجبل المنيف قداله

وقوله في الحنين:^(٥)

فبادت لياليهم فهل اشتكى الدهرا

أكارم عاث الدهر ما شاء فيهم

فمعاني الدجى والزمان والجيل والدهر، قد اصبحت كالكائن الحي تمتلك قدرة الانسان على الشرب، والاحساس بالالم والايماء والابادة. ومنه قوله:^(٦)

من الارض ما يهدي المحب شهرا

وان كان قد مدت يد البين بيننا

فقد استعار الشاعر الايدي للموت وجعله في مرتبة الانسان في قدرته على الفناء والتدمير.

ثالثاً - الكناية:

(١) الصورة الفنية في شعر ابي تمام: ١٧٠.

(٢) الديوان: ١١٨.

(٣) نفسه: ٦٤.

(٤) نفسه: ٦٣.

(٥) نفسه: ٧١.

(٦) نفسه: ٧٠.

ويراد بها (الايماء الى معنى من المعاني واثباته في ذهن السامع دون ذكر لفظة التصريح)^(١). والسبب راجع في ذلك الى انها (تتأى عن المباشرة والتحديد الصريح، كما يريد ان يقول ويسوق تعبيراً ظليلاً يحرك الفكر ويبعث على التأمل)^(٢).

والكناية حضيت اهتمام نقادنا القدامى ونالت استحسانهم، يقول عبدالقاهر الجرجاني (ان كل عاقل يعلم - اذا رجع الى نفسه- ان إثبات الصفة باثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها أكد وابلغ في الدعوى من ان تجيء اليها فنتبثها هكذا ساذجا غفلاً)^(٣)، وهي نوع من انواع المجاز، والمعنى المراد منها بعيد عن ذهن السامع يوضحه المعنى اللغوي الظاهر اللفظ لوجود علاقة تربط بينهما^(٤).

وقد وردت الكناية بأنواعها الثلاثة في شعر ارسافي البلنسي وهي:

(أ) الكناية عن صفة: وهي التي يطلب فيها الشاعر الصفة نفسها والتي يحاول فيها اثبات هذه الصفة لممدوحه كالكرم والغنى والعلم^(٥) ومنه قوله^(٦):

وكفى بأن وسم الندى رسمة لم تمحها الايام من بعد

فالكناية في قوله (وسم الندى) وهي صفة دالة على ثبات فضيلة الكرم في الممدوح.

وقوله ايضا في مدح الوزير الوقشي:

(١) ينظر: دلائل الاعجاز في علم المعاني: ٥٢.

(٢) التعبير البياني (رؤية بلاغية ونقدية): د. شفيق السيد، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ١٩٧٧ : ١٦١.

(٣) دلائل الاعجاز: ٥٨، ٥٧، وينظر جواهر البلاغة: ٣٥٩.

(٤) ينظر: الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية، مجيد عبدالحميد ناجي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٨ م : ٢٨٨.

(٥) ينظر: علم اساليب البيان، د. غازي يموت، دار الاصاله للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م : ٢٨٦.

(٦)

إيه ولو بعض الحديث عن التي حيا بها ربي أجش هزيم

فالكناية في قوله (أجش هزيم) كناية عن عطايا الممدوح وكرمه.

(ب) الكناية عن موصوف : (وهي التي يطلب بها نفس الموصوف، وشرطها ان تكون مختصة بالمكنى عنه، لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال)^(١) من ذلك قوله: ^٢

فمن له حد سيف او شبا قلم شراره في الوغى والفهم نيران

فالكناية في قوله (حد سيف) و (شبا قلم) فقد كنى الموصوف بالشجاعة والاقدام وكناه ايضا بالعلم.

وقوله^(٣) ايضا:

بفطنة من وراء الغيب صادقة منها على فضلها في الحكم عنوان

فقد كنى الشاعر موصوفه بالفطنة للدلالة على علمه ودرأيته.

(ج) الكناية عن نسبه: (ويراد بها اثبات امر لأمر، وبها يذكر الصفة والموصوف ولا يصرح بالنسبة الموجودة مع انها هي الموجودة)^(٤) ومنها قوله: ^(٥)

فسرن يحملن امر الله من ملك بالله مستنصر في الله منصور

(١) علم اساليب البيان: ٢٨٨، وينظر جواهر البلاغة: ٣٦٣.

(٢) الديوان : ١٢٩ .

(٣) نفسه : ١٢٨ .

(٤) علم اساليب البيان: ٢٨٩، وينظر جواهر البلاغة: ٣٦٣.

(٥) الديوان: ٩٠.

والشاعر اراد ان يثبت بأن النصر حليف هذا الملك لأنه يحمل امر اله لكنه لم
يصرح بذلك بل كنى عنه بطلب النصر من الله وقوله: (١)

الى الجوزاء فارق ودع اناسا مراقيهم عريش وسرير

واراد الشاعر ان يدلل على مكانة الممدوح العالية، فلم يصرح بذلك وانما بين
مكانة الناس دونه، وهي كناية عن نسبة العلو والرفعة لممدوحه والخذلان والذل
لأعدائه.

(١) الديوان : ٨٤.

٤ - الطباق والمقابلة :

١-الطباق :

يعد الطباق في نظر البلاغيين العرب واحدا من السمات البديعية التي يلجأ إليها الشعراء ليكسبوا اشعارهم نوعا من التتميق والتجميل وهو عندهم (الجمع بين الشيء وضده في جزء من اجزاء الرسالة او الخطبة او البيت من بيوت القصيدة)^(١) وهو يساعد على زيادة جمع ثنات البيت الشعري والتحام اجزائه برابط المعنى المشترك الذي تثيره علاقة التضاد، وهو على نوعين: طباق الإيجاب وطباق السلب وكلا النوعين موجود في شعر :

١- طباق الايجاب: وهو ما لم يختلف به الضدان ايجابا وسلبا^(٢) الرصافي البلنسي، ومن ذلك قوله:^(٣)

واني وان كنت الخلى لشيق^(٤) اليك على بعد المنازل والغرب

فقد طابق الشاعر بين لفظتي (البعـد-القرب) طباق ايجاب خلق الشاعر فيها نوعا من الموازنة الطريفة والمحبة التي تمثل مشاعر الانسان الفياضة تجاه رابطة الاخوة والصداقة.

ومن طباق الايجاب قوله:^(٥)

سيان فيهم ليلة ونهارها ما اشبه التأويب^(٦) بالاساد^(٧)

(١) الصناعتين: ٣٠٧، وينظر العمدة ٢ : ١٥، وينظر جواهر البلاغة: ٣٨١.

(٢) جواهر البلاغة: ٣٨٢.

(٣) الديوان: ٤١.

(٤) لشيق: كثير الشوق.

(٥) الديوان: ٦٤.

(٦) التأويب: سير النهار.

(٧) الاساد: سير الليل.

فالبيت اشتمل على اكثر من صيغة للطباق في قوله (ليله-نهار)(التأويب - الآساد)
فجميع الاشياء اصبحت واحدة، فالليل يشبه النهار، وسير النهار يشابه سير الليل فلا فرق
بينهما في نظر الشاعر ، لذلك استوت عند هؤلاء الموتى هذه الاشياء.

ومن طباقه الرائع قوله: (١)

معاهد قد ولت اذا ما اعتبرتها وحسن الذي يحلو من العيش قد مرا

فطباق الايجاب في قوله (يحلو-مرا) لقد سعى الشاعر من خلال هذا
الاسلوب تقوية المعنى وتجميله من خلال الجمع بين الشئ وضده.

ومن جميل طباقه قوله: (٢)

محيا خليل غاض ماء حياته وساكن قصر صار مسكنه القبرا

فطباق الايجاب حاصل في قوله (قصر-قبر) فقد تظافر الطباق مع الكناية
(غاض ماء حياته) التي بمعنى الموت، في تحديد ملامح الصورة وحسن تنسيقها،
وكذلك قوله: (٣)

بأطيب منها في الاتوف وغيرها تجاذبها سرا بنو الدهر او جهرا

ففي لفظتي (سرا-جهرا) طباق موجب جعل من الصورة التي رسمها
لقصيدته وكأن رآحتها قد علقت في نفوس المتلقين مما جعل هذه الصورة تزيينية
ممتعة. ومن طباقه الموجب قوله: (٤)

وبرد نسيم انثني عند ذكره على زفرات تصدع الكبد الحرى

(١) الديوان: ٧٣.

(٢) نفسه: ٧٢.

(٣) نفسه: ٧٦.

(٤) نفسه: ٧٥.

فطابق بين (برد-حر) ليعمق صورة الحنين الى الوطن من خلال اظهار الشوق الذي يلتهب في نفسه عند مرور الريح عليه. وقوله: (١)

من الاولى خضعوا له قسرا له وعنو
لأمره بين منتهي ومأمور

فطابق الايجاب في قوله (منهي ومأمور) وكأنه من خلال الجمع بين المعنى وضده يرسم صورة بالغة الدقة لشعار الموحدين، وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويطابق الشاعر مطابقة جميلة في قوله: (٢)

من بعد ما عاندوا امرا فما تركوا
اذ امكن العفو ميسورا لمعسور

فطابق الشاعر بين (ميسور-معسور) مطابقة توحى للمتلقي بأن الممدوح يتصف بالعفو عند المقدرة.

طباق السلب :

هو ((ان يجمع في الكلام بين الثبوت والانتفاء)) (٣).

فمن طباق السلب قوله: (٤)

يقولون طال الليل والليل لم يطل
وهل فيه بين العاشقين تماري

فطباق السلب حصل بين لفظتي (طال-لم يطل) وتكرار كلمة الليل يعطي قوة للبيت وفي نفس الوقت يعبر عن حالة العاشق النفسية، فالليل بالنسبة للهائم طويل تكثر فيه الهموم. ومنه قوله: (٥)

(١) الديوان: ٩٥.

(٢) نفسه .

(٣) التلخيص في علوم البلاغة، هامش : ٣٥٠، وينظر جواهر البلاغة، هامش: ٣٨٢.

(٤) الديوان: ٨٥.

(٥) نفسه: ١٢٣.

ماتوا ولكن لم يمت بك فخرهم فالمجد حي والعظام رميم

فالبيت فيه نوعين من الطباق، فالاول طباق السلب في قوله (ماتوا-لم يمت) وطباق ايجاب بين لفظتي (حي-رميم) مما يجعل البيت اكثر جمالا وايقاء ودلالة على المعنى وجعل صورته اكثر بعدا واعمق اثرا في نفس المتلقي وظهرت صورة الممدوح اكثر اصالة ينتسب الى عائلة عريقة.

وقوله: (١)

ومن دون هذا غيرة جاهلية وان هي لم تلزم فقد تلزم الحرا

وطباق السلب (لم تلزم-تلزم) عبر من خلال هذا الفن البديعي عن نفسيته التي تأبى التذلل والخضوع لأجل الكسب المادي الرخيص.

اما المقابلة: وهي ((ان يأتي المتكلم بلفظين متوافقين فاكثر ثم بأضدادها او غيرها على الترتيب)) (٢) ومنه قوله: (٣)

وصل البيان به المدى وكلامه سهل يشق وغامض مفهوم

فقابل الشاعر بين (سهل-غامض)، و (يشق-مفهوم). وكذلك قوله: (٤)

آثارهم في الحادئين حديثة وفخارهم في الاقدمين قديم

اذ قابل بين (الحادئين-الاقدمين) و(حديثة-قديم) وهي مقابلة طريفة نلاحظ إحسان الشاعر وابداعه فيها وليعط للممدوح نوعا من ارتباط ماضيه بحاضره لأنه ورث المجد عن الاجداد العظام.

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدرالدين، تحقيق د. شاکر هادي شكر- مطبعة النعمان،

النجف الاشرف، ط١، ١٩٦٨ : ١ : ٢٩٨، وينظر جواهر البلاغة: ٢٢.

(٣) الديوان: ١٢٢.

(٤) نفسه: ١٢٣.

ومن المقابلات الرائعة البيت الذي يقول^(١) فيه:

ومن لم يصخ^(٢) نحوها والسيف ملتحف^(٣) فسوف يقرؤها والسيف عريان

فقابل (يصخ-يقرؤ) و(ملتحف-عريان)، وقد افادت المقابلة زيادة معنى البيت ودلالته على قوة الممدوح.

(١) الديوان : ١٣٠ .

(٢) يصخ: يقال: يصخ - يصخ ، بمعنى صوت الحجر او الحديد اذا قرع .

(٣) ملتحف: ملازمة الغمد .

٤- الاقتباس والتضمين:

لقد ظل التراث العربي المشرقي المنهل العذب والمعين الذي لا ينضب يستقي منه شعراء الاندلس ثقافتهم الدينية والادبية والتاريخية حرصا منهم على اثره شعرهم وتعميق مضامينه من خلال (الاقتباس والتضمين)، وان هذا الامر لا يعد نقصا او عيبا في الشاعر اذا احسن استخدامه، يقول ابو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ((ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم، ولكن عليهم - اذا اخذوها - ان يسكوها الفاظا من عندهم، ويبرزوها في معارض من تأليفهم، ويوردوها في غير جليتها الاولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكمال حليتها ومعرضها، فاذا فعلوا ذلك فهم احق بها ممن سبق اليها))^(١)، لذلك وظف شاعرنا الرصافي البنسي التراث في نصوصه خير توظيف لأنه استوعب ثقافة امته ومثلها خير تمثيل في شعره.

ولقد كان للثقافة الدينية اثرها الواضح في شعره من خلال استحضار الفاظ الآيات القرآنية وايرادها ضمن سياق ابياته الشعرية، ومن ذلك قوله في الرثاء:^(٢)

وشيني انتظاري كل يوم لعهدك كرة والدهر يابى

فقد اخذ لفظة (كرة) التي بمعنى (رجعة)^(٣) من قوله تعالى ﴿ولو ان لنا كرة فنكون من المؤمنون﴾^(٤).

(١) الصناعتين: ١٩٦.

(٢) الديوان: ٣٦.

(٣) روائع البيان لمعاني القرآن، ايمن عبدالعزيز، دار الارقم - عمان ، ط ١، (د.ت): ٣٧١.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٠٢.

وقوله في الرثاء ايضاً: (١)

واهيج ما اكون لك ادكارا اذا ما النجم صوب ثم غابا

اذ استخدم لفظة (ادكارا) بمعنى التذكر (٢) في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ (٣).

ومن تضميناته اللطيفة قوله في الوصف: (٤)

يقولون لي يوما وقد مر ضاربا بمعوله ضرب المرجم بالغيب

فقد وردت لفظة (المرجم بالغيب) ((بمعنى قول بلا علم)) (٥) في قول الله عز وجل ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ (٦).

ومن التضمينات الحسنة قوله في المدح: (٧)

نعماء اعياني التماس مكانها لو قد وجدت لها وليا مرشدا

فاللفظ (وليا مرشدا) بمعنى (نصيرا وهاديا) (٨) وهو معنى جميل جاء به ليرفع من مقام ممدوحه ومنزلته، وهذا اللفظ مأخوذ من قوله عز وجل ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (٩).

(١) الديوان: ٣٦.

(٢) روائع البيان لمعاني القرآن: ٢٤١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٤٥.

(٤) الديوان: ٤٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير، عني به عبدالسلام الزغبى: ٣ : ١٠٨.

(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٢.

(٧) الديوان: ٥٤.

(٨) روائع البيان لمعاني القرآن: ٢٩٥.

(٩) سورة الكهف، الآية: ١٧.

وضمن الشاعر احد ابياته لفظا ورد في القرآن الكريم وهو (ضغث) في قوله: (١)

وفي اذنك الجوزاء قرطا معلقا وللنجم في يمينك ضغث بهار

بمعنى ((حزمة من القضبان الرفيعة)) (٢)، وقد ورد في قوله تعالى ﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاصْرَبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٣).

ومن شواهد تمثل القرآن الكريم في شعر شاعرنا وهو يرسم لنا صورة السفن التي تجري في البحر في قوله: (٤)

ذو المنشآت الجواري في اجريها شكل الغدائر في سدل وتضفير

فالملاحظ في النص ان الشاعر في هذا البيت يستعين في رسم معالم الصورة على الاقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾ (٥).

ومما جاء من التضمين في شعره قوله في المدح: (٦)

فالبحر قد عاد من ضرب العصا يبسا والارض قد غرقت من فور تنور

وكما يبدو لنا من خلال هذا البيت ان الشاعر يستحضر قصتين من قصص الانبياء في بيت واحد وهما قصة موسى عليه السلام التي وردت في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اصْرَبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٧). وقصة نوح عليه السلام عندما كذبه قومه، يقول الحق جل وعلا

(١) الديوان: ٨٥.

(٢) روائع البيان: ٤٥٦.

(٣) سورة ص، الآية ٤٤.

(٤) الديوان: ٩١.

(٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٤.

(٦) الديوان: ٩٦.

(٧) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ (١) ومعنى قوله تعالى ((فار التنور)) أي نبع من تنور الخبز المعروف فاغرق قوم نوح الذين كذبوه (٢)، ونحن نرى بأن اتیان الشاعر بهذه الالفاظ التي لا يمكن لبشر ان يأتي بمثها لأنها كلام الله تعالى الذي تحدى به البشرية قاطبة الى قيام الساعة، وليزيد شعره قوة ما بعدها قوة، وان الممدوح يتخذ من اولئك الانبياء اسوة حسنة في جهاده لأعداء الدين.

ومن تضميناته البديعة التي جاءت في شعره ((بابل)) مدينة السحر في قديم الزمان، يقول في الغزل (٣):

هل درت بابل انا فئة تجعل السحر من السحر رقى

فهذا المكان ورد في قوله تعالى ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ﴾ (٤).

والملاحظ ان الشاعر جاء بالتضمين هنا ليبين نفسه التقية التي تتعد عن كل شيء يجلب غضب الرب ولاسيما السحر، وان الشيء الذي يبطل السحر هو آيات الله التي حفظها قلبه وعبر عنها بقوله: (٥)

تنقش الآية في اضلاعنا فتقتينا كل شيء يتقى

والتضمينة الاخيرة جاءت في قوله: (٦)

إذا صدعت بأمر اله مجتهدا ضربت وحدك اعناق الجماهير

(١) سورة هود، الآية: ٤٠.

٢

(٣) الديوان: ١١٢.

(٤) سورة البقرة: ١١٢.

(٥) الديوان: ١١٢.

(٦) نفسه: ٩٦.

فالصدع هو اظهار امر الله والجهر به^١ لكي يحل العدل والسلام ارجاء المعمورة، وقد اخذه الشاعر من قوله تعالى: ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين ﴾^(٢).

ومن الشخصيات التي لها مساس بالدين شخصية يوشع الذي وقفت الشمس لأجله في سبيل اكمال مهمته في القضاء على الجابرة، وهذا الشخص هو فتى موسى عليه السلام. فقوله:^(٣)

والشمس ان ذكرت موسى فما نسيت فتاه يوشع قماع الجبابير

فالشاعر اراد ان يرفع من شخصية ممدوحه ويجعل له مرتبة فوق مرتبة البشر، فقد شبه المهدي ابن تومرت بموسى (عليه السلام) وفتاه عبد المؤمن بيوشع. والشخصية الاخرى هي شخصية لقمان الحكيم الرجل الصالح الذي اعطاه الله الحكمة من ذلك قوله:^(٤)

كأنما يتعاطى فضل منطقته عند التكلم لقمان وسحبان

فقد اغدق الشاعر على ممدوحه صفة الحكمة عند التكلم. وقد وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾^(٥).

(٢) روائع البيان : ٢٦٧ .

(٣) الديوان : ٩٧ .

(٤) نفسه: ١٢٨ .

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٢ .

والشخصية الاخيرة هي شخصية سليمان عليه السلام الذي علمه الله لغة الطير والحيوان، يقول: (١)

استغفر الله الا قصة سلفت قد كان فهمها يوما سليمان

وقد ورد التفهيم لسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ (٢).

يتبين مما سبق ان الشاعر قد اكثر من التظمين والاقتباس من القرآن الكريم لأنه احسن ما يكسب به الكلام طلاوة (٣)

اما الموروث الادبي فقد ظهر جليا عند الشاعر من خلال تأثره بالمناهج الشعرية القديمة لأنه امر طبيعي ان يتأثر الشاعر بأسلافه ويستفيد منهم ويبدأ من حيث انتهوا لأجل تعميق وتطوير اشعاره لأنها الاساس الذي ينطلق منه الشاعر في سبيل انضاج تجربته الابداعية.

فالموروث الشعري يتجلى صدها على الشاعر من خلال الاخذ من الشعر القديم ابتداء من الجاهلية وانتهاء بالعصر العباسي عن طريق التضمين، ومن شواهد ذلك قوله: (٤)

مطاع كأن الله اعطاه وحده من الامر ما لم يعطه السبعة الشهبا

فقد اخذ (السبعة الشهبا) من قول ابي تمام في فتح عموريه: (٥)

والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

(١) الديوان: ١٢٩.

(٢) سورة الانبياء، الآية: ٧٩.

٣

(٤) الديوان: ٣٤.

(٥) ديوان ابي تمام: بشرح التنزييري، تحقيق محمد عبد عزام ، دار المعارف - مصر (د.ت) : ٤١.

وقوله: (١)

غادوا بجلبتهم مكناسة فعدت بغير تلك الحلى معسولة الحلب

من قول ابي تمام ايضا في فتح عموريه: (٢)

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وقد يميل الشاعر الى تضمين ابياته الفاظا من الشعر الجاهلي حرصا منه على محاكاة النماذج الاصلية للشعر العربي ولكي لا يقطع حلقة الوصل بترائه الخالد، من ذلك قوله: (٣)

خليلي عوجا بي عليها فانه حديث كبرد الماء في الكبد الحرى

فقد وردت لفظة خليلي عند امرىء القيس بقوله: (٤)

خليلي مرا بي على ام جندب نقضي لباتات الفؤاد المعذب

ولفظة (عوجا) من قول امرىء القيس: (٥)

عوجا على الطلل المحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حذام

ويبدو ان الرصافي البننسي قد استحسّن فكرة (التصبر والثبات امام نوائب الدهر) التي وردت عند الشاعر ذي الرمة، فضمنها في شعره فقال: (٦)

غض عبرتيك ولا تجزع لفادحة تعرفو فكل سبيل من سبيل أب

(١) الديوان: ٤٦ .

(٢) ديوان ابي تمام: ٤١ .

(٣) الديوان: ٦٧ .

(٤) ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيمي، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٤، ط ٤ : ٤١ .

(٥) نفسه: ١١٤ .

(٦) الديوان: ٤٨ .

اما ذو الرمة فيعبر عن ذلك فيقول: (١)

اعاذل قد جربت في الدهر ما كفى
فابقن قلبي انني تابع أـبي
ونظرت في اعقاب حق وباطل
وغائلي غول القرون الاوائل

والملاحظ ان التعبير عن هذه الفكرة لم يرق الى مستوى تعبير ذي الرمة.
ولم يقتصر تأثر شاعرنا بالشعراء المشاركة فحسب وانما تأثر بشعراء
الأندلس الذين سبقوه ومنهم ابن حربون، اذ يقول: (٢)

وكم ود لك عندي لست اكفرها
امطيتها من ثنائي ظهر طيار
فقال الرصافي: (٣)

عجبت من معشر تمطى مآثرهم
من الثناء عليها ظهر طيار
وكذلك تأثر بابن خفاجة في وصفه للجبل والتي شهد له فيه فقال في وصف
الجبل: (٤)

من مشامخ الانف سحنائه طلس
له من الغيم حبيب على مزور
وقول ابن خفاجة في وصفه الجبل: (٥)

وارعن طماح الذؤابة باذخ
يطاول اعنان السماء بغارب

(١) ديوان شعر ذي الرمة، عني بتصحيحه كاريل هنري هيس مكارنتي، طبع على نفقة كمبرينج

١٩١٩ : ٥٠١ .

(٢) نفح الطيب : ٤ : ١٦٨ .

(٣) الديوان : ٩٨ .

(٤) نفسه : ٩٢ .

(٥) ديوان ابن خفاجة : ٥٠ .

ومن الشخصيات الادبية التي وردت في شعره شخصية الشاعر ((تأبط شرا))^(١) احد الشعراء الصعاليك، وقد اتخذه فناعا يتحرك به وفق رؤية خاصة، يقول:^(٢)

واني متى اسأل بهم كل راكب ليظهر لي خيرا تأبط شرا

ومن الشعراء الآخرين الذين ذكرهم في شعره شخصية (السري الرفاء)^(٣) وقد ذكره في موضع الحنين لأن كلا الشاعرين قد تغربا عن وطنه فهما يشتركان في الحنين الى فترة الصبا، وهناك رابطة اخرى ربطت بين الشاعرين وهي مهنة الرفو التي عمل فيها كلا الشاعرين، يقول:^(٤)

و كالرصافة من منزل سقته السحائب صوب الولي^(٥)

احن اليها ومن لي بها وابن السري من الموصل

والامثال رافدا آخرا من روافد ثقافة الشاعر، وقد لاحظ ابن رشيق ان الامثال في الشعر ((تستحسن، ونكت تستظرف مع القلة وفي الندرة فاما اذا كثرت فهي دالة على الكلفة))^(٦)، وشاعرنا لم يكثر الامثال في شعره خوفا على شعره من التكلف، ومن ذلك قوله:^(٧)

(١) ((تأبط شرا)) هو شاعر من الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي اسمه ثابت بن جابر بن سفيان،

اما لقبه فقد جاء عندما سألت عنه امه فقالت (لقد تأبط شرا وخرج وكان قد وضع تحت ابطه سيكنا، او سيفا او جفر سهامه). ينظر خزنة الادب: ١ : ١٣٣، وينظر معجم القاب الشعراء، د. سامي مكى العاني، مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧١ : ١٣.

(٢) الديوان: ٧٢.

(٣) السري الرفاء : هو احمد الكندي شاعراً مطبوعاً كثيرة السرقة عذب الالفاظ مليح المآخذ كثير

الافتتان في التشريعات، ينظر معجم المؤلفين لأبن النديم ٤ : ١٩٥، وينظر معجم القاب الشعراء : سامي مكى العاني: ١٠٧.

(٤) الديوان: ١١٨.

(٥) الولي: الدفعة الثانية من المطر.

(٦) العمدة : ١ : ٢٨٥.

(٧) الديوان : ٣٧.

نسيت هناك بالعلم الايابا

لعلك والعلوم معنيات

وهو مأخوذ من المثل القائل (رضيت من الغنيمة الاياب)^(١).

وقوله: (٢)

نعم القوير يا بوس الاتجاد

عليا خص الضريح وانما

وفيه اشارة الى المثل القائل (عسى الضويراً بؤساً)^(٣)

وهو يضرب للرجل يقال له لعل الشر جاء من قبلك.

هذه اهم الوسائل البلاغية التي ساعدت على تشكيل صورته المختلفة والتي وجدت صداها في شعره، وقد اجاد الشاعر فيها اجادة موفقة ساعدته كثيرا في الارتقاء بصوره نحو مصاف الشعراء البارعين الذين اعتنوا برسم صورهم وتمييقها بالاتكاء على اساليب البلاغة العربية.

(١) مجمع الامثال للميداني: قدم طبع المصحف الشريف-بميدان الجامع الازهر، مصر ١٣٥٢ هـ، ج ٢، :

٣٨.

(٢) الديوان : ٦٥.

(٣) مجمع الامثال: ١ : ٤٧٧.

المبحث الثالث

الموسيقى والاوزان

أولاً - الموسيقى الخارجية:

يعد الوزن من اهم دعائم الشعر التي لا يمكن الاستغناء عنها بل هو ((اعظم اركان حد الشعر واولاها به خصوصية))^(١). اما قضية ارتباط الوزن بالمعنى فهي قضية شائكة اختلف فيها النقاد والباحثون قديما وحديثا، ولسنا معنيين بالحديث عن هذه الظاهرة وما يهمننا هو ميل الشاعر الى النظم في هذا البحر او ذلك، ومن خلال دراستنا لأشعار الرصافي البنسي، وجدناه قد احسن في اختياره لأوزانه حسب ما يقرره العروضيون، فقد جاءت اشعاره على الاوزان الآتية:

النسبة المئوية	عدد مرات استخدامه	عدد الابيات	البحر
٢٤,٥١%	٢١	١٧٧	الطويل
٢٨,٦٧%	١٩	٢٠٧	الكامل
٢٥,٢٠%	١٦	١٨٢	البسيط
١٠,٥٢	٨	٧٦	الوافر
٤,٨٤%	٢	٣٥	الرمل
٣,٠٤%	٦	٢٢	الخفيف
١,٦٦%	٤	١٢	المتقارب
١,٢٧%	١	٢	الرجز
١,٣٨%	١	١	السريع
١,١٠٨%	١	٨	الكامل المجزوء

وتبين لنا من الجدول السابق ان البحر الطويل قد احتل المرتبة الاولى فتصدر الاوزان التي نظم فيها الرصافي البنسي اذ استعمله احدى وعشرين مرة، ويبدو ان

(١) العمدة : ١ : ١٣٤،

شغفه بهذا البحر متأت من إنه بحر يتسم ((بالجلالة والنبالة والجد، ولو قلنا إنه بحر العمق لأستغنيا بهذه الكلمة عن غيرها))^(١)، لهذا وجدنا إن القصائد التي نظم عليها هذا البحر تميل الى ((الفخامة والابهة من حيث شرف اللفظ وهدوء النفس واستثارة الخيال وتخير المعاني))^(٢). والرصافي البلنسي من شعراء الاندلس الذين اجادوا النظم على هذا الوزن، ف جاء عنده بنسبة ٢٤.٥١ % من مجموع البحور. وقد استخدمه في أغراض شتى منها المديح والرثاء والاخوانيات والوصف... الخ. من ذلك قوله^(٣) في المدح :

فتى اريحي الطبع مهما بلوته بلوت الكريم الحر والسيد الندبا

فقد اتاحت تفعيلات البحر المختلفة نوعا من الفخامة والجلال للألفاظ وزاد من نغماتها الموسيقية الهادئة والتي ساعدت كثيرا في تزيين صورة الممدوح و اظهار خصاله الحميدة. ومن جميل استخدامه لهذا البحر في الاخوانيات قوله^(٤) (من الطويل):

ومهوى جناح للصبأ يمسح الربى خفي الخوافي والقوادم خفاق

فقد ساعد هذا البحر على توضيح صورة الحنين الى موطن الصبا لما فيه من جدة في تعميق و اظهار العواطف الجياشة. وقوله^(٥) في الوصف (من الطويل):

محل ابن رزق^(٦) جر فيه ذيوله من المزن ساق بحسن الجر والصبأ

(١) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها، عبدالله الطيب المجذوب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر، ط١، ١٩٥٥م، ١ : ٤١٤.

(٢) نفسه : ١ : ٤١٤.

(٣) الديوان : ٣٤. وينظر كذلك الصفحات ٦٧، ٧٩، ٨٤، ٨٥، ١٠١، ١٠٣، ١٠٥، ١١٢.

(٤) نفسه : ١١٣، وينظر كذلك ١١٤، ١١٥، ١٢٤.

(٥) نفسه : ١٣٣.

(٦) ابن رزق : هو الوزير ابو عمران موسى ابن رزق من النبهاء والادباء في مالقة وكان كريماً عالي الهمة ، جميل العشرة ، وكان الشعراء يجتمعون عنده ليلاً ونهاراً

فقد وظف الشاعر امكانية البحر الطويل لخدمة غرض الوصف من خلال تفعيلاته التي تناسب كل الموضوعات، فضلا عن الايقاع ذي النغمة الموحية بالجالل.

اما بحر الكامل فقد جاء بالمرتبة الثانية بعد الطويل وهو مكانه المناسب حسب تحديد د. ابراهيم انيس^(١)، اذ تكرر هذا البحر عند الشاعر تسع عشرة مرة أي بنسبة ٦٧ . ٢٨ % من مجموع البحور، وهو بحر ((فيه لون خاص من الموسيقى يجعله - إن اريد به الجد - فخما جميلا من عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن اريد به الغزل وما بمجره من أبواب اللين والرقة حلوا عذبا مع صلصلة كصلصلة الاجراس))^(٢)، فهو يعد من البحور الغنائية التي تحتوي الاداء الموسيقي الخالص، لذلك مال الرصافي البننسي الى هذا البحر ((لما فيه من اظهار العواطف البسيطة كالفرح والفخر والحزن... الخ))^(٣)، من ذلك قوله في رثاء شخص غرق في الماء (من الكامل)^(٤):

خاضوا عليك حشا الخليج ضنائة بك ان تضيع الدرة البيضاء
وتبادروا بك للصريح صيانة ان تكثر العقياتة الحمراء

لقد ساعد هذا البحر على اظهار مشاعر الحزن البسيطة وحالته النفسية القلقة وعاطفته المتأججة تجاه هذا الشخص مما حدى به الى المزج بين الالوان لأظهاره

(١) ينظر موسيقى الشعر : د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م : ١٩١.

(٢) المرشد : ١ : ٢٦٤

(٣) نفسه : ١ : ٢٧٧.

(٤) الديوان : ٣١.

صورة المرثي بالشكل اللائق والمؤثر في نفس المتلقي، وقوله في المدح (من الكامل)^(١):

صحبك خالدة الحياة، وكل ما يحتاز بابك جنة ونعيم

والكامل اضفى على البيت رنة موسيقية عذبة زينتها الالفاظ الفخمة الرشيقة مما عمق من صورة الممدوح الذي تقف الجنة والنعيم على بابهِ لجهاده ودفاعه عن حمى الاسلام لأنه سينالها بسبب هذا العمل الصالح في الآخرة.

ويأتي بعده في سلم التواتر بحر البسيط ، وهذا البحر (شديد الصلاحية للتعبير عن معاني العنف والتعبير عن معاني الرقة)^(٢)، وهذا البحر كثير الشيوخ في الشعر العربي وغالبا ما يقترن مع الطويل في الكثرة والانتشار او يأتي بعده بقليل^(٣)، لذلك مال اليه الشاعر وجعله اطارا موسيقيا لأبياته، فقد ورد هذا البحر في شعر الشاعر ست عشرة مرة وشكلت نسبته ٢٥,٢٠ % من مجموع البحور من ذلك قوله^(٤) في الغزل (بسيط):

ياراكباً واللوى شمال
نجداً على انه طريق
وحبي عني ان جزت حياً
امضى مواضيهم الجفون
عن قصده والغضا يمين
تقطعه للصباء عيون

وقوله في المدح (بسيط)^(٥):

-
- (١) الديوان : ١٢٤ .
(٢) المرشد : ١ : ٤٦٢ .
(٣) شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي ، عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بغداد، ط١، ١٩٧٥ : ١٣٨ .
(٤) الديوان : ١٣١ .
(٥) نفسه : ١٣٠ .

موت العدا بالظبا دين وان مطلت

به سيوفك فالايام ضمان

فقد استخدم الشاعر بحر البسيط في معنى من معاني العنف فعبر به عن قتل الأعداء بسيف الممدوح وكأنهم مدينون له بعدم طاعتهم له حتى لو قصرت سيوفه عن النيل منهم، فالايام ستحفظ ذلك الدين لهذا الممدوح وسيعيد الكرة عليهم من جديد.

وحل بحر الوافر بعده بالمرتبة الرابعة ودار في شعره ثماني مرات وشكل نسبة ١٠% من مجموع بحوره وهذا البحر ((يمتاز بالرقعة بتدفقه وتلاحق اجزائه، وسرعة نغماته، فهو وزن خطابي ان صح التعبير، يشتد اذا شدته ويرق اذا رققته))^(١) ((واحسن ما يصلح هذا البحر في الاستعطاف والبكائيات واطهار الغضب ف معرض الهجاء والفخر، والتفخيم في معرض المدح))^(٢) واستخدمه في المديح والثناء والوصف والغزل. من ذلك قوله (من الوافر)^(٣):

إذا انبعثت شبيبته انبعثا	[...] بقمي من على
ملأن جوى ضلوعي واكثرنا	لعشر من منيته خوال
	وقوله في المدح (وافر) ^(٤) :
تمر على اصالته الدهور	وجذم في الخلافة مستقر
يحط به عن الجيش الامير	وحكم تحته امر مطاع

فالوافر قد اضى على البيتين نبرة خطابية تهز السامع اليها وتحرك حواسه وتزيد اعجابه بهذا الامير الذي يقف بشموخ وبسالة امام عوادي الدهر ثابتا لا يتزعزع، وبذلك يعطيه نوعاً من التفخيم والاجلال.

(١) شرح تحفة الخليل : ١٥٣ .

٢

(٢) الديوان : ٥٠ .

(٤) نفسه : ٨٢ .

اما بحر الخفيف فكان الخامس في تسلسله عند الشاعر، اذ استخدمه ست مرات أي بنسبة ٣.٠٤% من بحور الرصافي البلنسي واستعمله في الرثاء^(١)، والغزل^(٢)، والوصف^(٣) والاخوانيات^(٤).

اما بقية البحور فقد استخدمها الشاعر في الموضوعات نفسها، فالرمل فقد ورد عنده مرتين، مرة نظم عليه قصيدة تتألف من ثلاثين بيتا في موضوع الغزل ومنها قوله (رمل)^(٥):

اوسعتنا في الهوى مرتفقا

وحلى نجد ستجزي ذكرها

مذ تباعدتم ولا طاب البقا

ما حلا بعدكم العيش لنا

ويعقب الرمل في شعره استعمال بحور السريع والرجز ومجزوء الكامل اذ استعمل كلا منها مرة واحدة، كما وان الشاعر لم ينظم على بحور الهزج والمضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك والمديد، ولعل السبب راجع في ذلك - برأينا - الى قلة النظم عليها في عصر الموحدين بل وفي كل عصور الادب العربي، ويبدو ان ميله الى البحور الشائعة كالطويل والكامل والبسيط والوافر كان تقليدا لشعراء المشرق، ولأن كل بحر منها يصلح لمختلف اغراض الشعر، فالعرب ((كانوا يمدحون ويفاخرون او يتغزلون في كل بحور الشعر التي عاشت عندهم))^(٦). لهذا يمكن القول بان ابيات الشاعر جاءت متوازنة محكمة النغم تتعاقب بايقاعات لينة رقيقة تجذب اليها الاسماع وتريح الأنفس الشجية، واختياره للبحر المناسب يأتي بحسب المناسبة والظرف الذي يعيشه ساعة نظمه القصيدة، فوازانه تبعا لذلك تأتي

(١) الديوان : ٥٢ .

(٢) نفسه : ٦٦، ١٠٦-١٠٧ .

(٣) نفسه : ٧٨، ١٠٢ .

(٤) نفسه : ٧٩ .

(٥) نفسه : ١١٢ .

(٦) موسيقى الشعر: ابراهيم انيس : ١٧٧ .

تارة عذبة رشيقة وتارة اخرى تتبض بالحماس و الفروسية والقوة مرتبطة بشجاعة الممدوح وقوته.

والجدول الآتي يبين خلاصة بالبحور التي استعملها الشاعر في شعره والتي بلغت سبعا وخمسين قصيدة ومقطوعة والقوافي.

ت	صدر البيت	الكلمة الاخيرة	القافية	البحر	عدد الابيات
١	خاضوا عليك حشا الخليج ضنانة	البيضاء	الهمزة	الكامل	٣
٢	ومهدل الشطين تحسب انه	لصفائه	الهمزة	الكامل	٣
٣	خليل ما ادري اذا ما اختل شملنا	نهبا	اباء	الطويل	٩
٤	يقولون لي يوما وقد عن جائزا	السربا	الباء	الطويل	٤
٥	رمى الموت ان السهم حابا	أصابا	الباء	الوافر	٢٦
٦	سراء شب بها الزمان الاشيب	كوكب	الباء	الكامل	٨
٧	انتني من تلك السجايا بنفحة	عجبي	الياء	الطويل	٨
٨	حيا و حياة سرمد وتحية	الشعب	الباء	الطويل	٣
٩	يقولون لي يوما وقد مر ضاربا	الغيب	الباء	طويل	٤
١٠	يا عمرو ابن عمير من كدى يمن	وبي	الياء	البسيط	٣١
١١	وروض جلا حدا العين به	مشربه	الباء	المتقارب	٤
١٢	عفا الله عني اني امرؤ	بابها	الباء	المتقارب	٤
١٣	[...] يغمي من علي	انبعاثا	الثاء	الوافر	٤
١٤	نشوان ما فوق الكثيب مهفهب	رماحه	الحاء	الكامل	٣
١٥	في ليلة سدكت بالارض فحمتها	مصاييح	الحاء	البسيط	٣

٤	الوافر	الحاء	البطاح	ادرها فالغمامة قد أجالت	١٦
٣	المتقارب	الحاء	الرماح	قصير الانابيب لكنه	١٧
٣٢	الكامل	الالف	الندى	ايدا تفيض وخاطرا متوقدا	١٨
٤٦	الكامل	الدال	الرند	الاجرع تحتله هند	١٩
٤٩	الكامل	الدال	أياد	ابني البلاغة قيم حفل النادي	٢٠
٥	الخفيف	الدال	الصدود	لا ومسك اللمي وورد الصدود	٢١
٤٨	الطويل	الراء	سكرا	خليلي ما للبيد قد عبقت نشرا	٢٢
٧	الطويل	الراء	الفطرا	سقى العهد من نجد معاهده بما	٢٣
٢٠	الطويل	الراء	نضرا	حياني على المدى بتحية	٢٤
٥	الخفيف	الراء	اشارة	بنفسي من لا اسميه الا	٢٥
٤	الطويل	الراء	صفر	عذيري من جذلان بيدي كآبة	٢٦
٣١	الوافر	الراء	الصدور	اذا كان الذي يعرومهما	٢٧
٣	الطويل	الراء	الزهر	بعيشك هل ابصرت من قبل احرفا	٢٨
١١	الطويل	الراء	بهار	وفي اذنك الجوزاء قرطا معلقا	٢٩
٦٢	البسيط	الراء	نور	لو جئت نار الهدى من جانب الطور	٣٠
١١	البسيط	الراء	أغمار	وارض شلب وما شلب وان ولدت	٣١
٣	البسيط	الراء	سار	هذه مساعي ابن حربون وكيف بها	٣٢
٤	البسيط	السين	اختلاسا	وذي حنين يكاد يشجوا	٣٣

٣٤	ادرها على امن فما ثم من باس	الأس	السين	الكويل	٣
٣٥	ومجدين للسرى قد تعاظو	كؤوس	السين	الخفيف	٣
٣٦	سلام ابا بكر عليك ورحمة	مختص	الصاد	الطويل	١٧
٣٧	ما مثل موضعك ابن رزق موضع	بتدفع	العين	الكامل	٦
٣٨	طرقت مطع الثريا وولت	الوقوع	العين	الخفيف	٥
٣٩	انظر الى نقش البديع	الربيع	العين	البسيط	٥
٤٠	ولم ار مثل صفار تصدى	السيوف	الفاء	الوافر	٥
٤١	يا وردة جادت بها يد متخفى	ناسقي	الياء	الكامل	٤
٤٢	ذات الجناح تقلمي	الحقوق	القاف	الكامل المجزوء	٨
٤٣	ايها الامل خيمات النقى	الحدقا	القاف	الرمل	٣٠
٤٤	دعاك خليل والاصيل كانه	الباقي	الياء	الطويل	٩
٤٥	ومنضومة سبعا وعشرين درة	رحيقها	القاف	طويل	٥
٤٦	قالوا وقد اكثروا في حبه عدلي	متبذل	اللام	البسيط	١١
٤٧	وعشى رائق منظره	الشمول	اللام	الرمل	٥
٤٨	واقول ان لم افه بثنائكم	ونمام	الميم	الكامل	٤
٤٩	لمحكك الترفيع والتعظيم	التكريم	الميم	الكامل	٣٢
٥٠	سبقت ولكن في الفضائل كلها	او الرغم	الميم	الطويل	١١
٥١	من عائد الحق لم يعضده برهان	وسلطان	النون	البسيط	٣٣
٥٢	يا راكبا واللوى شمال	يمين	النون	البسيط	٦

٤	الكامل	النون	الاخوان	يا صاحبي على النوى ولأنتما	٥٣
٦	البسيط	الياء	وجنتيه	تفاحة اهديت اليه	٥٤
٥	اطويل	الياء	السقيا	محل ابن رزق جر فيه ديوله	٥٥
					٥٦
					٥٧

ثانياً - حروف الروي: ان الشاعر الحاذق الذي يريد لشعره الخلود في ذاكرة الزمن عليه ان يغوص في اعماق اللغة ويتحول بين حروفها الجميلة لينتقي منها الروي المناسب لوزنه وقافيته، وان يختار ما يناسب نفسيته وغرضه، فكلما كانت القافية جادة كانت القصيدة اكثر جدا وكلما كانت القافية مستهجنة كانت القصيدة مستهجنة مستكرهة^(١).

والجدول الآتي يوضح انتشار حروف الروي في المقطعات والقصائد

فقط.

ت	حرف الروي	عدد الابيات	النسبة المئوية
١	الراء	٢٠٥	٣٠,٣٢٥
٢	الذال	١٠٠	١٤,٧٩٢
٣	الباء	٦٨	١٠,٠٥٩
٤	الياء	٥٤	٧,٩٨٨
٥	الميم	٤٧	٦,٩٥٢
٦	القاف	٤٣	٦,٣٦٠
٧	النون	٤٠	٥,٩١٧
٨	الألف	٣٢	٤,٧٣٣
٩	الصاد	١٧	٢,٥١٤

(١) ينظر المرشد: ١: ٣ - ١٢٨

٢,٣٦٦	١٦	العين	١٠
٢,٣٦٦	١٦	اللام	١١
١,٩٢٣	١٣	الحاء	١٢
١,٤٧٩	١٠	السين	١٣
٠,٨٨٧	٦	الهمزة	١٤
٠,٧٣٩	٥	الفاء	١٥
٠,٥٩١	٤	الثاء	١٦
	٦٧٦	المجموع	

ثالثا - القافية:

وهي ركن اساسي من اركان البيت الشعري فهي ((شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعرا حتى يكون له وزن وقافية))^(١)، وهي ((بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الاذان في فترات زمنية مختلفة))^(٢)، وهي تساعد كثيرا على اكتمال النص الشعري من جوانبه الايقاعية، ولهذا يقول صاحب نظرية الادب ((القافية ظاهرة بالغة التعقيد فلها وظيفتها الخاصة في التطريب كإعادة (او ما يشابه الاعادة) للاصوات))^(٣). وقد اشترط النقاد العرب في القافية ((ان تكون عذبة الحرف سهلة المخرج))^(٤).

والقوافي نوعان:

القافية المقيدة : ((هي التي يكون رويها ساكنا))^(٥)، وهذا النوع من القوافي قليلة الانتشار في الشعر العربي^(٦)، وفي شعر شاعرنا ايضا اذا نظم عليها احد عشر بيتا أي بنسبة ١,٤% من مجموع قوافيه وهي نسبة قليلة لا تكاد تذكر اذا ما قارناها بالقوافي المطلقة، ولعل الشاعر قد احس بالتقييد لقريحته الشعرية من جراء النظم على هذه القافية فلجأ الى القافية المطلقة، ومن انواع القافية المقيدة التي وردت عند الشاعر القافية المقيدة ((المتواترة)) وهي عبارة عن سكونين يفصل بينهما حرف متحرك^(٧)، ومن ذلك قوله^(٨) من البسيط:

(١) العمدة : ١ : ١٥١ .

(٢) موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢، ٢٤٦ .

(٣) نظرية الادب : ٢٠٨ .

(٤) نقد الشعر : ٤٢ .

(٥) علم القافية، د. ضياء خلوصي، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٣م : ٨ .

(٦) ينظر موسيقى الشعر: ٢٦٠ .

(٧) علم القافية : ٩ .

(٨) الديوان : ١١٤-١١٥ .

صافي الحشا ازرق الغلائل

وجداول كالجين سائل

يفتل من مائه خلاخل

عليه شكل صنوبري

إذا جاءت القافية في كلمة (غلائل - خلاخل) ساكنة مقيدة قبلها حرف متحرك قبله سكون ، والنوع الآخر من القوافي المقيدة التي جاءت عنده هي القافية المردوفة)) وهي القافية المحتوية على حرف مد قبل الروي))^(١) ومن ذلك قوله^(٢) (من الكامل المجزوء):

بجوانح القلب الخفوق

ذات الجناح قلبي

عطفي قضيبهما الوريق

وسليها بأرق من

فقد اعطت القافية المردوفة ايقاعا جميلا ساهم في تحسين صورة البيت الشعري . اما القافية المطلقة فهي ((القافية التي يكون رويها متحركا))^(٣)، وشغلت هذه القافية مساحة واسعة من شعر الرصافي البنسي لما فيها من حرية للشاعر في اختياره للروي المناسب لغرضه ، وجاءت هذه القافية بانواعها عند الشاعر ، فالقافية المطلقة المجردة من الردف^(٤) والتأسيس كقوله في الوصف (من الكامل)^(٥):

والجو بالغيم الرقيق مقتع

وعشية ليست رداء شحوبها

والليل نحو فراقنا يتطلع

بلغت بنا امد السرور تألقا

من دون قرص الشمس ما يتوقع

فابلل بها رمق الغبوق فقد اتى

فقد زادت القافية المطلقة من جمالية البيت وزادت من نغماته الموسيقية . وربما يكون روي القافية المطلقة موصولا بالف الاطلاق من ذلك قوله: ^(٦)

(١) علم القافية : ٩ .

(٢) الديوان : ١٠٩-١١٠ .

(٣) علم اقافية : ٨ .

(٤) الردف : هو حرف مد او بين يقع قبل الروي .

(٥) الديوان : ١٠٦ .

(٦) نفسه : ٦٩ .

على كبد الا امترى ادعا حمرا

محل اخر العهد لم نبد ذكره

وقوله (من الطويل)^(١):

يغار عليها الدمع ان تشرب القطرا

سقى العهد من نجد معاهده

وورد نوع آخر من القوافي عند الشاعر الا وهي القافية المؤسسة التي تأتي بعد الف، يفصلها عن الروي حرف متحرك يسمى بـ (الدخيل)^(٢) كقوله^(٣) (من الخفيف):

واجعل الشعر آخرا

اجعل العلم اولا

كنت لا شك شاعرا

فاذا ما فعلت ذا

وقوله (من الكامل)^(٤):

فاقمت ادب منه رسما عافيا

اقوى محل من شبائك اهل

فقد جاءت القافية المطلقة المؤسسة الموصولة بالف الاطلاق اذ وقع الحرف الدخيل الفاء بين الروي والف التأسيس مما اعطى للبيت ضربات موسيقية رائعة، زادت من جمال البيت وحددت المعنى تحديدا كاملا.

والنوع الاخير من القافية المطلقة التي وردت عند الشاعر هي القافية (المردوفة)) وهي القافية التي تأتي بعد حرف مد او لين^(٥) من ذلك قوله^(٦) (من البسيط):

وللخطاب كما للحرب اوطان

يسل مقوله ان شام منصله

(١) الديوان : ٧٤ .

(٢) ينظر علم القافية : ١٠ .

(٣) الديوان : ٧٩ .

(٤) نفسه : ١٣٣ .

(٥) ينظر علم القافية : ٣٤ .

(٦) الديوان : ١٣٠ .

وقوله (من البسيط)^(١)

فكن من الظفر الاعلى على ثقة منك الضبا ومن الاعناق اذعان

فالقافية المردوفة في البيتين قد اضفت نوعا من الايقاع الموسيقي العذب على هذين البيتين ووضحت صفات الممدوح وهي العلم والشجاعة وطاعة الرعية له.

من خلال ما تقدم وجدنا بان قوافي الرصافي البنسي جميلة رشيقة عذبة تشتمل على الايقاع والموسيقى تطرب النفوس وتمنحها نشوة الاستمتاع والارتياح، وقوافيه شأنه شأن الشعراء الاخرين موزعة بين التقيد والاطلاق.

(١) الديوان :

الموسيقى الداخلية :

تؤلف الموسيقى الداخلية وحدة النص الموسيقية والصوتية بمشاركة الموسيقى الخارجية من خلال النغم الايقاعي الذي تحدثه الالفاظ، وهي موسيقى ((خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات وكأن للشاعر اذنا داخلية وراء اذنه الظاهرة تسمع كل شكله وكل حرف وحركة بوضوح تام))^(١)، ((فالايقاع الداخلي للألفاظ، والجو الموسيقي الذي تحدثه عند النطق بها، يعتبر من اهم المنبهات المثيرة للأنفعالات الخاصة المناسبة، كما ان له احياء خاصا لدى مخيلة المتلقي والمتكلم على السواء))^(٢). وللرصافي البلنسي اذن موسيقية جعلته ينوع موسيقاه الداخلية في: الجناس، التكرار، ورد الاعجاز على الصدور، الترصيع، التدوير.

اولاً - الجناس :

هو التماثل بين لفظتين تماثلاً تاماً او جزئياً مع الاختلاف في المعنى^(٣)، يلجأ اليه الشعراء لخلق نوع من الانسجام بين الالفاظ من خلال اثاره هذه الالفاظ للتناغم الموسيقي والتماثل في الصورة، وهو نوعان :

أ - **الجناس التام** : وهو ((ان تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركتهما ولا يختلفان الا من جهة المعنى))^(٤) ونماذج هذا النوع تكاد تكون محدودة عند الشاعر من ذلك قوله:^(٥)

(١) في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط٣، ١٩٦٢م : ٩٧٥.

(٢) الاسس النفسية لأساليب البلاغة العربي : ٣٨.

(٣) فنون بلاغية : د. احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٥م : ٢٢٤.

(٤) فنون بلاغية :

(٥) الديوان : ٨٦.

وقالوا: تجلى بالمشيب عذاره فقلت: تجلى بالمشيب عذاري

فجانس الشاعر بين (عذار - عذار) فالاولى بمعنى الشعر النابت في العارضين
والثانية شدة العزم والاصرار.

ومن استعماله للجناس التام قوله: (١)

وارحموا في غسق الظلماء بات بالدمع يبيل الغسقا

فالجناس حاصل بين (غسق - الغسقا) فالاولى بمعنى الظلام والثانية بمعنى
الخد للدلالة على ما يعانيه الشاعر من الآم الحب والهوى بسبب جفاء الحبيب له.

ب-الجناس الناقص : وهو ما اختلف فيه ((اللفظان في الهيئة دون الصورة)) (٢). وقد
نال هذا النوع من الجناس الحصة العظمى من اشعاره وهو
على انواع (٣) منها :

١-الجناس المضارع ((وهو ان يجمع بين كلمتين لا اختلف بينهما الا في حرف
واحد)) (٤)، من ذلك قوله: (٥)

إذا جن ليل الحب لم يدر نائم به ما يقاسي هائم ويداري

اذ جانس بين (نائم - هائم) و (يدري - يداري) فاختلفت كل من الكلمتين
واختلفتا في المعنى، فكلمة نائم تعني النوم، وهائم تدل على الحب والشوق . اما
كلمة : يدري فيعني المعرفة بالشئىء، ويداري تعني الاهتمام الزائد بالشئىء مما
اعطى الجناس الناقص قوة معنوية للبيات ساعد في اظهار الايقاع الداخلي لها،
وقوله: (٦)

(١) الديوان : ١١١ .

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي : مطبعة التقدم العلمية بمصر ١٣١٩هـ - ١٨١ .

(٣) فنون بلاغية : ٢٢٥ .

(٤) المصدر نفسه: ٢٢٨ .

(٥) الديوان : ٨٥ .

(٦) نفسه : ٦١ .

[فوق] السماك النهدي والجهد

فعلت كرائمهم بهم وعللا

فالجناس حاصل بين (النهد - الجهد).

وقوله^(١):

صوام هاجرة قوام ديجور

ما زال يقضمها التقوى بموقدها

فالجناس الناقص كان في لفظتي (صوام - قوام) ، فالاولى تدل على المبالغة أي بمعنى كثير الصوم والثانية تدل على المبالغة ايضا بمعنى كثير القيام في الليالي المظلمة وهي صفات للمتقين مما حفز الشاعر على خلق اجواء موسيقية في اشعاره ساعدته على توضيح المعنى المراد وهو ابراز صورة عبدالمؤمن والصاق التقوى بشخصه والتي تدل على ان الممدوح قريب الى نفسية الشاعر النقية الورعة نظرا لما تتمتع به من صفات الزهد والورع.

ومن جناس المضارع قوله:^(٢)

فموضع الحد منه جد مشهور

فان يكن بيد المهدي قائمه

والجناس الناقص حصل بين لفظتي (حد-جد) فاختلفت اللفظتان بحرف واحد جاء في بداية الكلمة فقد زاد الجناس هنا من احياء البيت الشعري على شجاعة الممدوح ورسم صورة له بالغة الدقة فكان هذا الممدوح هو الجزء القاطع من السيف بيد مؤسس دولة الموحدين المهدي ابن تومرت.

ومنه ايضا قوله:^(٣)

(١) الديوان: ٨٨.

(٢) نفسه: ٩٦.

(٣) نفسه: ٦٠.

حمد بأحمد ما له حد

حمدوا الى جد واعقبهم

فالجناس الناقص في قوله (جد-حد) و (حمدوا-حمد-احمد)، فالحمد جاء بمعنى الثناء هنا، اما كلمة احمد فتعني الشخص الممدوح وهو الوزير احمد الوقشي ويظهر في هذا البيت التكلف والصنعة كما اشار اليهما د. محمد مجيد السعيد^(١).

٢- الجناس المطلق : ويعني ((ان تختلف الاحرف وتتفق الكلمتان في اصل واحد يجمعهما الاشتقاق))^(٢) ومثل ذلك قوله: ^(٣)

هي الوطن المحبوب اوكلته الصدرا

خليلي ان اصدر اليها فانها

اذا جانس بين ((صدر - الصدر)) فالاولى تدل على الخروج والثانية تدل على الصدر الذي يحوي القلب المشتاق ، لذا اراد الشاعر التعبير عن حبه وحنينه الى بلده التي ملأت قلبه شوقا وحباً، وقد ساعد الجناس على احداث هذا التماغم الموسيقي في البيت الشعري. وكذلك قوله: ^(٤)

شأى غير مجهود جياذ العلا خضرا

ومن سابق هذا اذا شاء غاية

والجناس المطلق في قوله (شاء - شأى) فالاولى بمعنى أراد ، والثانية بمعنى الانطلاق من الجري .
وقوله: ^(٥)

خمرا فمن مخمور وخمار

حتى لقد خلنتي شعشعت بينهم

فالجناس حاصل بين (مخمور - خمرا) فالاولى تعني الشخص الذي غلبه الخمر والثانية تعني المدمن على الخمر.

(١) ينظر الشعر في عهد المرابطين والموحدين : ٣٤١ .

(٢) فنون بلاغية : ٢٢٥ .

(٣) الديوان : ٧١ .

(٤) نفسه :

(٥) نفسه : ٩٩ .

ويرد نوع آخر من الجناس الناقص عند الشاعر الا وهو الجناس المختلف وهو ((ان تكون الحروف متساوية في تركيبها مختلفة في وزنها^(١)) وهو قليل عند الشاعر من ذلك قوله:

غزِيل لم تزل في الغزل جائِلة بنانه جولان الفكر في الغزل^(٢)

فالجناس الناقص في قوله (الغزل-الغزل) فالاولى تعني الصوف والثانية تعني التشبيب والحب.

من الامثلة السابقة نلاحظ ان الشاعر استعان بالجناس كوسيلة فنية جميلة اجاد فيها غاية الاجادة. وحقق بذلك انطبعا موسيقيا داخليا في الابيات الشعرية جعلت المتلقي يحس ويتذوق حلاوة الالفاظ التي تفيض بالجرس الموسيقي الاخاذ.

ثانيا : التكرار هو ((تناوب الالفاظ واعادتها في سياق التعبير، بحيث تشكل نغما موسيقيا يتقصده الناظم في شعره او نثره))^(٣)، وقد عرفت القصيدة العربية منذ زمن بعيد هذه الوسيلة اللغوية والايحائية والتي تؤدي وظيفة تعبيرية تساعد على زيادة فعالية القصيدة^(٤)، وقد لجأ شاعرنا الرصافي البننسي الى هذا الاسلوب حرصا منه على إعطاء قصيدته قيمة صوتية عالية، ونعم موسيقى تتلذذ له الاسماع وتشرح له القلوب، وورد هذا الاسلوب عند نقادنا الاوائل فعينوا المواضع التي يستحسن فيها والمواضع التي يستقبح فيها، يقول ابن رشيق ((اكثر ما يقع التكرار في الالفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الالفاظ اقل، فاذا تكرر اللفظ والمعنى جميعا فذلك الخذلان بعينه))^(٥).

(١) فنون بلاغية : ٢٢٥ .

(٢) الديوان : ١١٧ .

(٣) جرس الالفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر -

بغداد، ١٩٨٠م : ٢٣٩ .

(٤) بناء القصيدة الحديثة، علي عشري زايد، مكتبة دار العروبة - الكويت، ١٩٨١م : ٦٠ .

(٥) العمدة : ٢ : ٧٣-٧٤ .

وجاء التكرار عند الشاعر بصور متعددة منها : تكرر الحروف في كل بيت شعري من خلال ما يحدثه من ايقاع موسيقي جذاب ، ومن هذه الحروف التي تكررت في شعره هي (السين - والصاد) والتي تسمى بالحروف الصفيرية^(١) من ذلك قوله^(٢):

فلما انطوى ذاك الاصيل وحسنه على ساعة من انسنا صحت الرؤيا

فتكرر حرف الصاد مرتين وحرف السين ثلاث مرات مما اعطى للبيت نغمة موسيقية صاخبة. ومن تكراره للكاف والنون قوله: ^(٣)

وكنت اراني في الكرى وكأني اناول كالدينار من ذهب الدنيا

فتكرار حرف النون ثماني مرات فضلا عن تكراره للكاف اربع مرات قد احدث جوا موسيقيا مزدحما بالحركة والايقاع ساعد كثيرا في تحديد ملامح الصورة الشعرية لهذا البيت.

ويتكرر عنده حرف الفاء في قوله: ^(٤)

ومستفهم لي كيف كان ورودها فقلت له: ورد الشفاء على السقم

فقد صدقت رؤياي رقعتك التي كست عقبي من سوؤد ضخم

فالقاف والراء قد تكرر اربعة مرات في البيتين مما افاد في توزيع الموسيقى على هذين البيتين وترابط الالفاظ فيما بينهما وقوله: ^(٥)

(١) الاصوات اللغوية: دكتور ابراهيم انيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٦١ م .

(٢) الديوان : ١٣٣ .

(٣) نفسه .

(٤) نفسه : ١٢٥ .

(٥) الديوان : ٤٠ .

عسل وماء لفظها المستعذب

يحلو على طرف اللسان كأنما

مما تحاوله الكرام وتطلب

بلغت بك الايام قاصية المنى

ان الشاعر مال في هذين البيتين الى تكرار حرف الميم والتاء، فالاول تكرر سبعة مرات، والثاني اربعة مرات، ويومي ذلك الى تناغم موسيقي جميل داخل فضاء البيت الشعري ينسجم وصورة البيتين الجميلة التي ترسم صورة هذا المولود، الذي يحمل كل صفات الانسان الحميدة وهو غاية ما يتمناه كل كريم.

ويرى الباحث ان الشاعر في ميله لتكرار الحروف قد جاء من اجل غاية معينة هو ابراز الموسيقى الناشئة عن هذا التكرار فهو لم يكرر حروف معينة وانما حاول ان يكرر اكبر قدر ممكن من الحروف دون ان يؤثر ذلك على المعنى. مما يؤكد براعته اللغوية والفنية.

والنمط الآخر للتكرار عند الشاعر هو تكرار الالفاظ من ذلك قوله: (١)

انه اقتل سهم فوفا

لاو سهم جاء من نحوكم

فتكرار كلمة (سهم) في صدر البيت وعجزه قد ملاً البيت الشعري موسيقى عذبة حسنت كثير من صورة البيت ووضحت ما يعاينه الشاعر من الوجد والشوق وما يتعرض له قلبه من الصد من قبل الحبيب والذي سبب له هذه الجراحات العميقة التي تفوق وقع السهام

وقوله في الرثاء: (٢)

سقيا لتلك الجيرة الافراد

جارا لأفراء هنالك جيرة

فتكرر لفظ (الجار) ثلاث مرات ولفظ (الافراد) مرتين، قد احدثت موسيقى داخلية عذبة ساعدت ابراز المعنى وهو اشارة الشاعر الى ما يتمتع به الجار في

(١) نفسه : ١١٢ .

(٢) نفسه : ٦٤ .

الاسلام من منزلة عالية ، التي توجب الانسان الاحتفاظ بجزء من الوفاء للجار حتى بعد وفاته ، وقد لمسنا هذا الوفاء عند الشاعر بالدعاء لهذا الفقيد بالسقيا .

ثالثاً - رد الاعجاز على الصدور :

يتميز الشعر العربي بميزة اختلف بها عن الشعر في اللغات الاخرى الا وهي نظام الشطرين، الصدر والعجز، وهذا المصطلح يعني ان يأتي الشاعر بكلمة او قافية في نهاية البيت الشعري ويشتهق من كلمة في صدره، ويلجأ اليه الشاعر لتحقيق تماسكا وقوة في النظم، وتوحيد نغمته الموسيقية والايقاعية من خلال تكراره لكلمات معينة بين صدر البيت وعجزه وتكراره لأصوات هذه الكلمات، اذ (يكسب البيت الذي فيه ابهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائية وطلاوة)^(١)، وهو من الفنون البديعية التي شاعت في شعر الرصافي البنسي بصوره المتنوعة فمنها :

١- ما يوافق آخر كلمة في الشطر الثاني، للكلمة الاولى في الشطر الاول ومن ذلك قوله: (٢)

بجسر معان والرصافة إنه على القطر ان يسقي الرصافة والجسرا

فكلمة (جسر) في صدر البيت وافقت الكلمة نفسها في نهاية البيت مما اعطت البيت الشعري ايقاعا داخليا تولد نتيجة لتكرار الكلمتين في اول البيت ونهايته، وقوله: (٣)

داره القلب وهو يحتل اخرى قدس الله حيثما حل داره

فالكلمة الاولى وافقت الكلمة الاخيرة في عجز البيت، وهذا ما يسمى (بالتوشيح) الذي اشار اليه قدامة بن جعفر بقوله ((ان يكون اول البيت شاهدا بقافيته،

(١) العمدة : ٢ : ٣ .

(٢) الديوان : ٦٨ .

(٣) نفسه : ٧٨ .

ومعناها متعلقا به حتى ان الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، اذا سمع اول البيت عرف آخره وبانت له قافيته))^(١) ومنه قوله: ^(٢)

ومن المتمم في الزمان صنيعه الا كريم شأنه التتميم

فالبيت يدل على ان اكمال الاعمال العظيمة من شأن الكرماء، فليس كل انسان يستطيع حمل اعباء هذه المهمة الا هذا الممدوح، لذلك كان ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر معنى ابيت ائتلافا متناسقا.

٢- ما يوافق اخر كلمة في عجز البيت آخر كلمة في صدره ومنه قوله: ^(٣)

قد رزقناها وكانت عيشة قلما فاز بها من رزقا

وكذلك قوله: ^(٤)

ما ان يني تعب الاطراف مشتغلا افيده من تعب الاطراف مشتغل

فالموافقة حاصلة بين آخر كلمة في عجز البيت وبين آخر كلمة في صدره، وترافق مع التكرار في احداث ايقاعا واضحا على البيت الشعري مما أعطاه نوعا من الرقة والعدوية التي توافق مقام الغزل. وكذلك قوله: ^(٥)

هيهات ابغي سواه في الهوى بدلا اخرى الليالي وهل في الحب من بدل

فلفظة بدل في نهاية البيت الشعري وافقت كلمة بدل في نهاية صدر البيت مما خلق هذا التوافق نوعا من الموسيقى الداخلية ساعدت على تناسق البيت واكسبته رونقا وجمالا.

(١) نقد الشعر : ١٦٦ .

(٢) الديوان : ١٢٢ .

(٣) نفسه : ١٢٢ .

(٤) نفسه : ١١٧ .

(٥) نفسه : ١١٦ .

٣- ما يوافق كلمة في نهاية عجز البيت كلمة في حشوه ومنه قوله: (١)

تصدى بها الركب المغرب غدوة فقلت: امن دارين مدلج الركب؟

فقد وافقت كلمة (الركب) في نهاية العجز نفس الكلمة في حشو البيت مما زاد
من ترنم البيت وإيقاعه.

(١) الديوان : ٤١ .

رابعاً - الترصيع:

(هو جعل البيت الشعري مسجوعاً او شبيهه بالمسجوع)^(١)، وسمي بالترصيع ((من قولهم رصعت العقد اذا فصلته))^(٢)، وقد ورد هذا المصطلح عند ابن الاثير وهو يعني عنده المساواة بين الالفاظ في الوزن والقافية)^(٣)، وعلى هذا الاساس يكون الترصيع نمطاً موسيقياً يعطي البيت الشعري نغمات موسيقية منبعثة من السجع مما يدخل البهجة في النفس فتطرب له الاسماع، لذلك اولع شاعرنا الرصافي البننسي بهذا الاسلوب ليخلق موسيقى داخلية مصطنعة في حشو البيت لكي ينال استحسان المتقي واعجابه، من ذلك قوله:^(٤)

ولوجهك التقديس والتكريم

لمحكك الترفيع والتعظيم

فكلمة (لمحكك) تقابل بالوزن كلمة (لوجهك) وكلمة (الترفيع) تقابل كلمة (التقديس) وكلمة (التعظيم) تقابل كلمة (التكريم) وعلى هذا النحو تجري ابيات الرصافي البننسي، وكذلك قوله:^(٥)

طليق كريان الشباب الذي مرا

انيق كريعان الحياة التي ظلت

وله كذلك :

لا ولا الند^(٦) مثل ختم النهود^(٧)

لا ولا البدر مثل صبح المحيا

(١) العمدة : ٢ : ٢٥ .

(٢) الصناعتين : ٣٩٠ .

(٣) ينظر المثل السائر : ١ : ٢٦٤ .

(٤) الديوان : ١٢٠ .

(٥) الديوان : ١٢٠ .

(٦) نفسه

(٧) نفسه : ٦٦ .

فالتوازن بين الالفاظ قد خلق موسيقى داخلية وايقاعا لاجذابا منبعثا من السجع مما اكسب البيت الشعري قدره النفاذ الى اذهان وعقول المتلقين جعلتهم يعيشون اجواء من الطرب والسرور.. وقوله (١):

غصن بان وزهر روض جمال ريم انس وبدر افق سعود

فالعذوبة ورشاقة الالفاظ قد بدت واضحة وفاضت منها الموسيقى في اكثر من جانب، فقد احدث الترصيع ترددا نغميا مع تكرار (النون) ثلاث مرات ساعد على ايجاد نغما ايقاعيا رائعا دللت على اقتدار الشاعر وبراعته في النظم. وقوله: (٢)

فارسل الماء عن فراق وارسل الريح عن رقيب

فالالفاظ متطابقة في الوزن والقافية مما اعطى البيت الشعري شحنة موسيقية جميلة، وعلى هذا المنحى يمضي الشاعر في ترصيعه. نستشف من الامثلة السابقة ان شاعرنا يمتلك موهبة عروضية عالية جعلته يضع الالفاظ في مكانها الصحيح اللائق مما يدل على براعة الشاعر وتفننه وعبقريته في حسن استعماله للالفاظ واستغلاله لإيحاءاتها التعبيرية عن خلجات نفسه.

(١) نفسه : ٦٧ .

(٢) نفسه : ٤٨ .

خامساً - التدوير: هو (ان يستدعي وزن البيت ان يكون بعض حرف من كلمة في آخر الشطر الاول داخلة في وزن الشطر الثاني) (١)

ويحاول الشاعر من خلال هذا الاسلوب ان يجعل للبيت الشعري موسيقى داخلية تتولد من خلال دوران الالفاظ فيه، فالبيت الشعري في هذا الفن عبارة عن وحدة متصلة لا يمكن فصل الشطر الاول عن الثاني من جهة المعنى ونحن لم نجد تدويرا في مطالع القصائد عند الرصافي البنسي وانما جاء التدوير عنده في ابياته الداخلية لكي يجعل المعنى متصلا ومسترسلا في البيت الثاني فلا يحرم المتذوق من متعة التشويق في قراءة اكبر عدد من الابيات دون قيود ومن ذلك قوله: (٢)

وتساقطي بالسرحتيب

ين تساقط الدمع الطليق

وقوله: (٣)

نعم الحديث الحلو تملكه الـ

ركبان حيث رمى بها الوخد

وقوله: (٤)

ولقد أراني بالبلاد و

آمال البلاد ببابه وفد

وقوله: (٥)

يا دار دار امير المؤنين بسفـ

ح الطود ، طود الهدى، بوركت في الدور

لقد افاد التدوير في الابيات السابقة استكمال معاني الابيات وذلك بارتباط الشطر الاول بالشطر الثاني برابطة المعنى فضلا عن الموسيقى المتولدة عن هذا الارتباط.

(١) الشعر والنغم ، د - رجاء عبير ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

(٢) الديوان : ١١٠ .

(٣) نفسه : ٦٠ .

(٤) نفسه : ٦١ .

(٥) الديوان : ٨٨ .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة مع الرصافي البننسي والتي وجدناه فيها علماً بارزاً من اعلام الشعر العربي في الأندلس، وله - كما رأينا في مختلف فصول الدراسة - جضه الوافر من الاصاله والشاعرية، وبراعته في الوصف والتصوير ، واسلوبه الخاص في التعبير عن خلجات نفسه، وعلى الرغم من حياته القصيرة، الا انها مليئة بالتجارب والمشاهد والخبرات، والتيارات الثقافية التي انعكست على شعره. كما ظهر لنا ان الشاعر ولد في بداية النصف الأول من القرن السادس الهجري في بيئة اسلامية خالصة وتلقى ثقافته العربية الاسلامية في مدينة بننسية فغلبت على شعره روح المحافظة على الاصول المشرقية والتي شملت القرآن الكريم واللغة العربية وكتب التراث. اما مكانته الشعرية والتي حضيت باهتمام النقاد والباحثين والمؤرخين القدامى والمحدثين في شعره، فقد تبعت هذه الآراء والتي وضعت في مكانه الحقيقي وارتقائه المكانة المناسبة التي يستحقها كشاعر مرموق له منزلته بين شعراء الاندلس، لأن لهذه الاحكام اهمية كبيرة كونها صادرة من علماء لهم خبرتهم في تذوق الشعر وتقويمه.

- ففي دراستنا الموضوعية وجدنا الشاعر قد طرق اغلب اغراض الشعر والتي تصدرها المدح، ففي مديحه السياسي جنح نحو حكام الموحدين والتي اظهر فيها نوعاً من التعاطف نحو هؤلاء الحكام الذين يرى الشاعر فيهم رمزا لانقاذ الوجود الاسلامي العربي في تلك البقاع التي يتربص بها الاعداء في كل لحظة، في حين كان الدافع لمدائح الرصافي البننسي احساسه بعظم الدور الذي يؤديه هؤلاء الحكام في الدفاع عن الاسلام والمسلمين وهي غاية خلقية نبيلة جسدها الشاعر في شعره مبتعداً عن المدح التكبسي الذي يبذل الشاعر فيه كرامته من اجل الحصول على المكسب الملطخ بالذل والمهانة.

- ان ابراز الفضائل والمعاني التي تناولها في مديحه هي المعاني نفسها التي تردت في الشعر العربي قديماً وقرها النقاد الاوائل والتي شملت الشجاعة والعدل

والبطولة والعلم والحلم والعقل والشرف... الخ. والسبب في ذلك برأينا ان المدح غرض تقليدي ارسيت قواعده منذ القدم فضلا عن معانيه التي حددها النقاد الاوائل، لذلك يجد الشاعر نفسه مكبلا بهذه القيود مما يجعله يدور في فلك معاني الشعراء السابقين.

- اما الوصف فقد برع الشاعر فيه وبلغ منزلةً عالية نالت استحسان النقاد لا سيما وصف الطبيعة والجديد المبتكر في وصفه هو وصف اصحاب المهن ومن خلالهم يصف هذه المهن ببراعة، والابتكار الاخر في وصفه هو وصف مظاهر الحضارة ومنها وصف الدولاب والصنوبرة والتي جعلته يتميز في هذا الجانب عن شعراء عصره.

- وفي موضوع الاخوانيات ركز الشاعر على المعاني الانسانية والاجتماعية والذاتية والتي اظهر فيها تمسكه بروابط الاخوة والصداقة والمحبة والوفاء... الخ حرصاً منه على قيام مجتمع متماسك يسوده التعاون ويعمه الامن والسلام، وهي معاني جاءت من صلب عقيدة الاسلام الحنيف.

- والغزل لم يظهر غرضاً مستقلاً عند الشاعر، فجااء غزله عفيفاً تغلب عليه الرقة، ومثل فيه دور المحب ببراعة على الرغم من انه لم تكن له علاقة عاطفية مع امرأة معينة .

- وفي غزله الغلmani كان موفقا في هذا الضرب من الشعر فأظهر تعلقه بهذا الفتى او ذلك وهذا الغزل لا ينبع من نفسية ماجنة وانما هو التقليد ومجارات الشعراء في عصر سيما وان هذه الظاهرة انتشرت بكثرة في ذلك العصر والداعي لها هو حياة اللهو والمجون بين احضان الطبيعة الساحرة.

- والرتاء لم يحظ بالنصيف الوافر، فكان غرضاً ثانوياً والذي وجدناه مجيدا في هذا الغرض الشعري ، والذي نم عن عاطفة فياضة وصدق المشاعر .

- اما الحنين فجاء عند الشاعر غرضاً أنياً املته ظروف الهجرة والبعاد عن موطن الصبا والذي بدا فيه يذرف الموع الغزار على بلنسية التي هجرها وظل يذكرها في شعره وانها لم تغب عن باله في يوم من الايام.

- واكل الاغراض في شعره هو الهجاء ويكاد لا يذكر، والسبب كما نرى نفسية الشاعر التي تأبى ذكر معاييب الناس وفي هذا جانب اخلاقي يوافق الشاعر به قيم وتعاليم الاسلام التي تنهى عن هذا النوع من الشعر لما فيه من زرع الضغينة والعداوة وتفسد العلاقات ما بين افراد المجتمع.

- وفيما يخص الدراسة الفنية، فقد تناولت بناء القصيدة عند الرصافي البنسي ووجدت انه التزم قواعد القصيدة المدحية من تشبيب ووصف الرحلة وذكر الممدوح متعرضاً لمطالع قصائده، وحسن التخلص، وبعدها الخواتيم وقد الفيهاها متنوعة لا تسير على نمط واحد، والنمط الاكثر وضوحاً عنده القصائد الخالية من المقدمات والسبب في ذلك الظروف العصبية التي عاشتها الاندلس وكثرة النزاعات والحروب.

- وفي دراستنا للغة الشاعر لمسنا الامكانية الواسعة في قدرته على تطويع اللغة في اشعاره لتتصهر في هذه النصوص حاملة معها ذوق العصر وتحضره، وتكلمنا عن المعجم الشعري واختياره لألفاظه من القاموس العربي القديم، ومال في لغته نحو جزالة الالفاظ وفخامتها في موضوع المدح ورقتها المتناهية في موضوع الغزل والحنين والاخوانيات والذي مكنه من ذلك ثقافته اللغوية الواسعة وامتلاكه لخزين ثر من الالفاظ الشعرية المعبرة، ولم نجد في الفاظه أي اثر للمفردات الاعجمية مما يؤكد صفاء لغته ومتانتها.

- يمكن ان ندرج اسلوب شاعرنا تحت (الاسلوب السهل الممتنع)، فقد مزج بين الجزالة والرقفة في الفاظه، وكان يبالغ في استعمال التشبيهات والاستعارات، ومن خلال دراستنا لخصائص اسلوبه تبين لنا انه كان يكثر من اساليب الاستفهام والتقديم

والتأخير ، والشرط ، والنداء ، والامر والنهي ، والدعاء، وقد وفق في استعمالها الى حد الاجادة على الرغم من اخفاقه في نزر قليل منها.

- واما الصورة الشعرية فقد اعتمد في تشكيلها على الفنون البيانية والبديعية فوجدناه في صوره الشعرية مرفه الحس يقتنص ببراعة تدل على خياله الواسع وعواطفه الجياشة فجعل من اشعاره لوحة فنية بديعة الاتقان .

- وكان المبحث الاخير قد تناول الموسيقى الشعرية والاوزان والذي سلك الشاعر فيه النهج الذي اتبعه العرضيون في النظم فجاء بحر الطويل بالمرتبة الاولى وتلاه الكامل وحل الوافر ثم تسلسلت بقية البحور وكان الشاعر واعياً في اختياره لبحوره واستخدم قوافي اللام والراء والميم والنون... الخ وهي شائعة الاستعمال في الشعر العربي .

- اما الموسيقى الداخلية والتي شملت الجناس والتكرار ورد الاعجاز على الصدور الترصيع والتدوير . والتي استطاع الشاعر من خلالها ان يخلق اجواء موسيقية جميلة ساعدت على ايجاد نوعاً من التطريب داخل الابيات الشعرية.

لقد حاول البحث دراسة الشعر القديم برؤية معاصرة فينسق من تحليل النصوص والوقوف عند ابرز المحاسن والمساوىء لكي نكون موضوعيين في احكامنا مبتعدين عن التعصب الاعمى والهوى الشخصي .

وفي الختام اتمنى ان تكون هذه الدراسة فاتحة خير لدراسات اكثر عمقا، لتمهيد الطريق الى ابراز تراثنا المشرق في الاندلس على حقيقته الناصعة والتي هي ثمرة الباب وقرائح مثمرة خلقت لنفسها الاحترام والثناء فخلدت في سجل التاريخ.

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم :

- اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري - د. يوسف حسين بكار، دار المعارف مصر، ط ١٩٧١م.
- الاحاطة في اخبار غرناطة لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٤م.
- اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، لابي بكر الصنهاجي، تحقيق ليفي بروفنسال، مطبعة بولس لنتر، باريس ١٩٢٨ م .
- الاخوانيات في شعر العصر العباسي الاول، رمضان صالح عباس، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٩ م .
- الاخوانيات في الشعر الاندلسي من عصر الطوائف الى افول الحكم العربي، عباس احمد سالمين، كلية الاداب / جامعة بغداد، ٢٠٠١ م .
- الادب الاندلس موضوعاته وفنونه، د. مصطفى الشكعة. دار العلم للملايين، ١٩٧٤م
- الادب العربي في الاندلس، علي محمد سلامه، الدار العربية للموسوعات، بيروت - لبنان ١٩٨٩م.
- الادب العربي في الاندلس، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥ م .
- الادب في ظل بني بويه، د. محمود غناوي، مطبعة الامانة - مصر ١٩٤٩ .
- ادباء العرب في عصر الانبعاث، بطرس البستاني، دار المكشوف و دار الثقافة (د-ت).
- ادباء مالقة المسمى (مطلع الانوار ونزهة البصائر والابصار) لابي بكر محمد بن محمد بن علي بن خميس المالقي (ت ٦٣٨هـ)، تحقيق صلاح جرار، دار البشير، مؤسسة الرسالة، عمان - الاردن ١٩٩٩م.

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى،للشيخ ابي العباس احمد بن خالد الناصري ،ت١٣١٥هـ) ، تحقيق جعفر الناصري، و محمد الناصري، دار الكتاب - الدار البيضاء، ١٩٥٤.
- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، رسالة دكتوراه، كلية العلوم - جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة
- الاسلام في المغرب والاندلس، ليفي بروفنسال، ترجمة السيد محمود عبدالعزيز و محمد صلاح الدين، مكتبة النهضة - مصر (د-ت).
- اشعار ابي الشيص الخزاعي، د. عبدالله الجبوري، وزارة التربية، ١٩٦٧.
- الاعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ١٩٧٩ م .
- الاعلام عن اصل مراكش واغمات في الاعلام ، تأليف عباس بن ابراهيم المراكشي ، المطبعة الجديدة ، بطالعة فاس ، ١٩٦٠ .
- الاعمى التطيلي، (دراسة موضوعية فنية) محمد عويد، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٩م.
- اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الاسلام ، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.
- آمالي اليزيدي، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٥٨ م.
- الامير الشاعر ابو الربيع سليمان الموحد، د. عباس الجراري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٩م.
- الانيس المطرب بروض القرطاس في ملوك المغرب ومدينة فاس ، لأبن ابي زرع، طبعة فاس ١٨٨٥م.
- انوار الربيع في انواع البديع، السيد علي صدر الدين، تحقيق د. شاكرا هادي شكر ، مطبعة النعمان - النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨م.
- الايضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة (د-ت).
- بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، (ابو جعفر احمد بن يحيى ابو عميرة الضبي القرطبي) (ت٥٩٩هـ)، طبع في مدينة مجريط بمطابع روخس ١٨٨١م.

- بناء القصيدة في النقد العربي القديم، د. يوسف حسين بكار، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٣م.
- البيان المغرب ، لابن عذارى المراكشي ، تحقيق محمد بن تاوت واميروس هوسي مراندة ، دار كراماديس للطباعة ، تطوان ، ١٩٦٠ .
- تاريخ الادب العربي ، د . عمر فروخ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- تاريخ الاندلس في عصر المرابطين والموحدين للمستشرق يوسف اشباخ، ترجمة عبدالله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مؤسسة الخانجي - القاهرة (د-ت).
- تاريخ الاندلس، لأبن الكردبوس ووصفه لابن الشباط (نصان جديان)، تحقيق د. احمد مختار العبادي، معهد الدراسات الاسلامية بمديرية ١٩٧١م.
- تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى، د. محمد عبدالرحيم غنيمه، تطوان ١٩٥٣م.
- تاريخ الفكر الاندلسي، أنخيل جنثالث، ترجمة د. حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٥م.
- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين الذين جعلهم الله ائمة وجعلهم الوارثين ، لابن صاحب الصلاة ، تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت ، ١٩٦٤ .
- تذوق الفن الشعري في الموروث النقدي والبلاغي، د. حسن البنداري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٩م.
- التعبير البياني (رؤية بلاغية) د. شفيق السيد، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة ١٩٧٧م.
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، عني به عبدالسلام الزغبى (د-ت).
- التكملة لكتاب الصلة، لابن الابار (ابي عبدالله محمد بن عبد الله القضاعي الأندلسي) (ت٦٥٨هـ)، طبع بمطابع روخس ١٨٨٦م.
- التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٩٠٤م.
- جواهر البلاغة، احمد الهاشمي، مطبعة الاعتماد - مصر ، ط١، ١٩٤٠.
- الحلة السبراء، لابن الابار، تحقيق د. حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر (د-ت).

- الحيوان ، ابو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٦٩م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، سوريا ١٣٠٤هـ.
- دلائل الاعجاز في علم المعاني، عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق السيد محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ١٩٦١م.
- ديوان ابي تمام بشرح التبريزي، تحقيق احمد عبد عزام، دار المعارف بمصر (د-ت).
- ديوان امرىء القيس، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- ديوان ذي الرمة، عني بتصحيحه وتنقيحه كارل هنري، طبع على نفقة كلية كمريج، ١٩١٩م.
- ديوان الرصافي البلسني، جمع وتقديم د. احسان عباس، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٣م.
- ديوان محمد بن عمار ، تحقيق الدكتور صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ١٩٥٧ م .
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابي الحسن علي الشنتريني الملقب ابن بسام ، القاهرة ١٩٣٩م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة بيروت (د-ت).
- رايات المبرزين وغايات المميزين، للشيخ علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد، تحقيق غرسية غومس - مدريد، ط١ (د-ت).
- الرثاء، تأليف لجنة من الاقطار العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- الرثاء، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ١٩٥٥م.
- الرثاء في الشعر العربي،محمود حسن ابو ناجي ، مكتبة الحياة، ط١، بيروت، ١٩٨١م.
- رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق، د.عبدالكريم راضي جعفر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٨ م.
- روائع البيان لمعاني القرآن، ايمن عبد العزيز جبر، دار الارقم - مؤسسة الرسالة، عمان، (د-ت).

- الروض المعطار في خبر الاقطار، عبدالمنعم السبتي الحميري، نشر وترجمة ليفي بروفنسال، ط ١، القاهرة ١٩٣٧م.
- زاد المسافر، صفوان بن ادريس، تحقيق عبدالقادر محداد، بيروت ١٩٣٩م.
- شذرات الذهب ، للمؤرخ والفقير والاديب عبد الحي أبي العلاء بن العماد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان . د ت .
- شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي، عبد الحميد الراضي، مؤسسة الرسالة، بغداد، ط ١، ١٩٧٥م.
- الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه، غرسيه غومس، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٥٢م.
- شعر الرثاء في العصر الجاهلي (دراسة فنية)، مصطفى الشورى، الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٨٣م.
- شعر العتاب والاعتذار في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، محفوظ فرج ابراهيم رسالة ماجستير ، كلية الاداب / جامعة بغداد - ١٩٨٨ م .
- الشعر في ظل بني عباد، د. محمد مجيد السعيد، وزارة التربية، ط ١، ١٩٧٢م.
- الشعر في عهد المرابطين والموحدين في الاندلس، د. محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات - بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م.
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيث درو، ترجمة سلمى الخضراء، بيروت، منشورات دار اليقظة العربية ١٩٦٣م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، تحقيق احمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ١٩٦١م.
- الشعر والشعراء في البصرة في القرن الثالث الهجري، احمد جاسم النجدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٣م.
- الشعر والنغم ، د . رجاء عبير ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م
- الشعرية، د. أحمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الاربعين، ١٩٨٩م.
- صفة جزيرة الاندلس المنتخبة من كتاب الروض المعطار، عبدالمنعم الحميري، عني بنشرها وتصحيحها ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٧.

- صلة الصلة: لابن الزبير ، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، ١٩٣٧م.
- الاصوات اللغوية - د . ابراهيم انيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ٣ . ١٩٦١ م .
- الصورة الشعرية ، سي دي لويس ، ترجمة ، احمد نصيف الجنابي و آخرين مراجعة د . عناد غزوان ، دار الرشاد للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ .
- الصورة الفنية في شعر ابي تمام، د. عبدالقادر الرباعي، جامعة اليرموك، اربد، ط١، ١٩٨٠م.
- ظهر الاسلام، أحمد امين، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٣، ١٩٥٩م.
- العبر في اخبار من غير، للامام شمس الدين الحافظ الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٣م.
- عصر المرابطين والموحدين في الاندلس، محمد عبدالله عنان، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
- عصر المنصور الموحي، محمد رشيد ملين ، مطبعة الشمال الافريقي (د . ت)
- علم اساليب البيان، غازي يموت، دار الاصاله للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
- علم القافية، د. صفاء خلوصي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٣م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط٢، ١٩٥٥م.
- عيار الشعر، لأبن طباطبا العلوي، تحقيق عباس عبدالستار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٨٢م.
- الغربية والحنين في الشعر الاندلسي ، احمد محمد حاجم ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب / جامعة بغداد - ١٩٨٣ .
- فن المديح وتطوره في الشعر العربي، احمد ابو حاقه، دار الشروق، بيروت ١٩٦٢م.
- فنون بلاغية، د. احمد مطلوب، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٥م.
- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين ، د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب، بيروت ١٩٨١م.

- في الادب الاندلسي، محمد رضوان الدايه، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠٠٠م.
- في الشعر الاندلسي، عدنان صالح، دار الثقافة، الدوحة، القاهرة، ١٩٠٠م.
- قصة الادب في الاندلس ، د . عبد المنعم خفجي ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- قلائد العقيان في محاسن الاعيان، لأبن خاقان، القاهرة ١٩٠٠م.
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تصنيف ابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد الجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٥٢م.
- لغة الشعر بين جيلين، د. ابراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- مأساة انهيار الوجود العربي في الاندلس، عبدالكريم التواني، مكتبة الرشاد، الدار البيضاء، ط١، ١٩٦٧م.
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر (لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن عبدالكريم المعروف بابن الاثير)(ت٧٣٦هـ)، تحقيق احمد الحوفي و بدوي طبانه، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة (د-ت).
- مجمع الامثال ، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم النيسابوري الميداني، مطبعة المصحف الشريف، القاهرة.
- محاضرات في ادب الاندلس وتاريخها ، ليفي بروفنسال ، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرة ، وعبد الحميد العبادي ،
- المرشد في فهم أشعار العرب ، عبد الله الطيب المجذوب، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٩٥٥م.
- مسالك الابصار وممالك الامصار، لأبن فضل الله العمري، يصدره فؤاد سزكين، وعلاء الدين جوقاشا، طبع بالتصوير عن مخطوطة ٢٣٢٧، المكتبة الوطنية، باريس، معهد تاريخ العلوم العربية الاسلامية في اطار جامعة فرانكفورت، المانيا الاتحادية، السفر السابع عشر ١٩٨٨م.
- المستدرك على ديوان الرصافي البننسي، د. عبدالكريم الواركلي، مجلة دراسات اندلسية، العدد العاشر، ١٩٩٣م.

-المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى نهاية عصر
الموحدين، عبد الواحد المراكشي، تحقيق سعيد العريان، القاهرة
١٩٦٣م.

-معجم القاب الشعراء، د. سامي مكي العاني، مطبعة النعمان، النجف
الاشرف ١٩٧١م.

-معجم المؤلفين في اخبار العلماء والمصنفين، محمد بن اسحاق بن النديم
(ت ٣١٠هـ).

-المغرب، حسن محمد جوهر، صلاح العرب، دار المعارف - مصر
١٩٦٤م.

-المغرب في حلى المغرب، لأبن سعيد، تحقيق شوقي ضيف - مصر
١٩٥٥م.

- مفتاح العلوم ، للسكاكي ، مطبعة التقدم العلمية ، مصر ، ١٣١٩ هـ .
- المفردات في غريب القرآن ، الحسن بن محمد بن مفضل الملقب
بالزغب الاصفهاني ، المكتبة المرتضوية ، ١٩٦١ م .

-المقتضب من تحفة القادم، لأبن الابار، تحقيق ابراهيم الابياري، الطبعة
الاميرية - القاهرة ١٩٥٧م.

-مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي، القاهرة ١٩٩٥م.

-ملاحح الشعر الاندلسي، د. عمر الدقاق، دار الشروق، بيروت ١٩٧٥ م.

-منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني، تحقيق محمد الحسب ابن
الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦م.

-موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م.

-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين ابي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ-)، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.

-نظرية الادب، رينيه ويلك، ارسن وارين، ترجمة محي الدين صبحي، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية، مطبعة خالد الطربيشي، ط٣، ١٩٦٢م.

-النظرية البنائية في النقد الادبي، ترجمة صلاح فضل، دار الشؤون الثقافية، ط٣، ١٩٨٧م.

- نوح الطيب لغصن الاندلس الرغيد ، احمد المقرئ التلمساني ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

-النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط٣، ١٩٦٢م.

-النقد الادبي عند العرب الى نهاية القرن الثالث الهجري، محمد طاهر دروش، دار المعارف - مصر ١٩٧٩م.

-نقد الشعر ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ-)، تحقيق كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٤٨م.

-الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٠م.

- الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي .

- الوافي في نظم القوافي ، لابي البقاء الرندي ، نسخة مخطوطة برلين ، الموجودة في مكتبة المجمع العراقي تحت تصنيف ٥٦٧ / ح ق .

- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية، د. نوري حمود القيسي، دار
الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل ١٩٧٤م.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم و محمد البجاوي، دار الفكر - بيروت
١٩٦٦م.
- الوصف في الشعر العربي، عبدالعظيم قناوي، مطبعة مصطفى بابي
الحلبي، مصر، ط ١،
- الوصف في الشعر الاندلسي، رياض كريم، اطروحة ماجستير، جامعة
بغداد، كلية الآداب ١٩٨٩م.
- وفيات الاعيان، لأبن خلكان، تحقيق احسان عباس، دار صادر - بيروت
(د-ت)، دمشق، المطبعة الهاشمية، ١٩٥٩م.